الموسيقى الشرقية

والغناء العربي

نصرة الخديوي اسمعيل للفنون الجميلة

الجزء الثالث

تأليف

قسطندي رزق

الثمن اربعون قرشاً صاغاً

المطبعة العصرية
لصاحبها : الياس انطون الياس
شارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر





مولاى إن عجز القلم عن إظهار صدق ولائى وحار دعائى بتوطيد عرشكم ودوام عزكم فانى أستعين بالموسيقى لأعبر بألحانها عن معانى الاخلاص منشداً سراً وعلانية الدور المشهور الذى أنشده عبده الحمولى فى حضرة جدكم العظيم المغفور له ساكن الجنان الخديو اسماعيل باشا وهو

الله يصونه دونه حسنك على الدوام من الزوال

ويصونه فؤادى من نبلك ماضى الحسام من غير قتال

اهداء

كتابي الثالث في الموسيقى الشرقية والغناء العربي ونصرة الخديوي اسماعيل للفنون الجميلة وحياة عبده الحمولي إلى حضرة صاحب الجلالة الفاروق المفدّى ملك مصر والسودان المعظّم

مولاي   كلفت منذ نعومة أظفاري بالموسيقى الشرقية كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفّس الصباح يوم سمعتُ غناء عبده الحمولي مطرب ساكن الجنان المغفور له الخديوي اسماعيل باشا جدّك العظيم ويُخيّل إليّ عند ما كنت أسمعهُ أنه رفع نفسي الى المراتب العلوية واني رأيت الملائكة امام عرش الله ساجدين

وكان الغرض الذي إليه نزعت ، والغاية التي إليها قصدت الاحتفاظ بروح مصر الخالدة وطابع فنها العربي الذي – هو كاللغة – مظهر يمثل ما للعرب من مفاخر أثيلة ومآثر جليلة

ولما طمى على موسيقانا فساد التجديد   تصدّيت لصونها منه غيرةً على مالها من عظمة في النفوس وسحر يلعب بالألباب وابقاءً للرمق الباقي منها ولكنني وياللأسف لا أزال أرى بعض المجددين راكبين رؤوسهم فى طمس آثارها ودرس معالمها مع نشري على صفحات الجرائد المقالات المنذرة بالويل والثبور وعظائم الامور لأن الفن الجديد ان لم يتفرع من الفن القديم فهو بلا شك هادم لاركان الفن العربي من قواعده وذاهب برسوم عروبتنا ومغرّق للبقية الباقية من أغاني الخالدة التى خلّفها لنا عبده وعثمان فى لجّ لا يُعرف لهُ دركٌ ولا ساحل على ان لكل مزاج نغمة تشاكلهُ ولكل طبع لحنًا يلائمهُ . ولكل أرض نباتًا ينمى فى جوّها وان أعظم الألحان وأطربها نغمات مصر التي تروق أهلها ويلذّ لهم سماعها بدون أن يألفوا غيرها ولا عجب فى ذلك فان عبقرية الفنون الجميلة ظهرت قديمًا فى المصريين والبابليين والفينيقيين أبناء اسماعيل بن ابراهيم وان مصر الحديثة قد امتازت عن سائر البلاد الشرقية بحسن مقرّ الحركات وتسليماتها ولا سيما تجويد القرآن الذي هو أكثر إبداعًا وأعظم وقعًا فى النفوس

ولما كان المصريون أئمة العلوم والفنون وملقني العقائد الفلسفية وعنهم أخذ أكثر الامم وكان الشرق مهبط الوحي ومبعث الشعور والوجدان ومنبت المُثُل العليا والمكارم الغرآء وجبَ أن تظلّ مصر التي قطعت تحت لوائكم الخفّاق شوطًا بعيدًا فى ميادين الثقافة والعرفان واخترقت طريقًا فى الأمور الاقتصادية والعمرانية مجد الفراعنة وزعيمة العرب ومركز دائرة المدنية . ولذا أرفع الى الأعتاب الملكية السامية كتابي هذا تحقيقًا لأغراضنا القومية واحتفاظًا بعروبتنا وروح مصر الخالدة سائلاً من لا يُسأل سواه أن يوطد عرشكم ويجعلكم لبلادنا السعيدة ركنًا حصينًا وللعلوم والفنون نصيرًا وظهيرًا

خادمكم المطيع : **قسطندي رزق**

مقدمة

معلومٌ ان الفن العربي رمز العروبة والرجولة وعنوان المشاعر والميول ولما كان الفن يسكن الروح على حدّ قول القديس أوجستان ولا ينفصل عنها وكانت الشمس تكوّن الزهور كما يكوّن الفن الحياة وجب على المتفنن أن يكون دائمًا صادقًا فى عمله وللناس لأن نجاحه يُعْزى الى أمانته فى أفكاره الخاصة والى ماينتجه عقله ويبتكره وذلك من دون أن يقلد أحداً من أرباب الفنون .

ومما تنبغى مراعاته أن يكون المثل الأعلى مستقراً فى عقل الحفار ليحفر التمثال على أسمى وجه وفى عقل الموسيقيّ ليسمو فى أثناء التلحين الى ذروة الجمال وكذلك فى عقل المصوّر لينافس الطبيعة وهو ممسك بالقلم منافسة ودّية وجهًا لوجه وليشعر فى قلبه بالسلام وفى عقله بالهدوء وطول الاناة حتى تمثل الطهارة فى الصناعة ويظهر على العمل سماء الصلاح والانشراح وقصارى القول ان الهدف الدائم لمن يعمل إن هو إلاّ الجمال على حدّ قول وليام موريس كنصّه بالانجليزية

Work-and for everlasting aim — Beauty

وقد قال نقولا تشايكوسكى كما يأتي : هل تعطى فنّك جزءاً من نفسك وهل تصعد نفسك مع الفن الى المراتب العلوية المشرّفة التى يصبو اليها قلب الانسان الذي هو منبت الفن لأنه بدون هذه النزعات يصبح مكوّنًا من صور وأغاني شكلية لاتستقر على أساس قوي وعميق ؟ وزد على ذلك فان الفن يمتزج بالفضيلة ولا يتنحى عنها واليك تعريفه الفن خلق الجمال كما قال إمرسن وقال غيره هو كمال الطبيعة وهو ولا جرم لا يُعد إغراقًا فى درس حقيقة إيجابية بل سعياً وراء الحق الأعلى وذريعةً يُتذرع بها الى بلوغ المطلب الذى تنطلق له النفوس جذلاً وارتياحًا

وأول ما ينبغى للمتفنن الاهتمام به أن يكون متصفًا بكمال الفضائل دَمِث الطبع باسم الثغر رحب الصدر طلق اليدين لايحدوه حادي الخيلاء وأن يخلق التلحين الساحر متمشياً مع روح عصر البلد الذى يعيش فيه ويتنشق هواءه لكى ينقل إحساسه المرهف الى الناس ويشرح صدورهم وبذلك يتم لعقله التسلط على روح عصره ويظفر بالمعنى المطلوب الذي ينشده فى تلاحينه ومما يجب عليه التنبه له مراعاة القوانين والسياسة والعادات والتربية والعقيدة والاصطلاحات الجارية عند معاصريه حفظًا لطابعهم واعتقاداً منه ان الفن الجديد مُكوّن من الفن القديم . أما اذا استبدْ الملحن

برأيه وذهب به التيه وأقام بينه وبين معاصريه ومواطنيه حواجز تمنع تلاحينه من تمثيـل عوائدهم وأساليبهم غشّ أمته وأضاع تراث السلف الصالح

ومما لاشك فيه ان أول شروط الحسن فى المسموع أن تكون الاصوات متناسبة لا متنافرة والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فاذا كانت الأصوات على تناسب فى الكيفيات وكان التنقل متناسباً وكانت الانغام متداخلة بعضها فى بعض كانت التلاحين ملائمة وتدخل الآذان بلا استئذان بخلاف مايأتيه والعياذ بالله بعض المجددين من أصوات غائرة يفاجئون بها السامعين تكون من الشدة بحيث تشبه تارةً نداء المنادي وطوراً قصف الرعد وآونة اطلاق البارود وفيها ما تكون كأصوات الندابات والثاكلات النائحات مما ينذر بالويل والثبور وعظائم الامور ومما تنبو عنه الاسماع وتشمئز منه النفوس

فانظر بعينك ياصاح هل سمعت ان فى مصر عواصف تهب وتقتلع الأشجار أو زلازل تنسف الأبنية الشامخة أو أي اضطراب يحدث فى الطبيعة فتأخذ الأهلين الرجفة من حيث لا يشعرون ؟

على ان الانتقال من أفق الى أفق آخر دفعةً واحدة يجرّ على الانسان مضرّة وان الهجوم على موسيقى فجائية قد نبتت فى غير وادى النيل ونمت فى غير جو مصر ليس وراءه طائل واذا سلمنا ان السلم الموسيقيّ اتفاقي لاطبيعي وقابلنا بين السلم الافرنجى والسلم الغربي رأينا بينهما فرقاً فى ان «مى» الافرنجية تعلو ربعاً على السيكا الغربية وان « سي » تعلو ربعاً على الاوج واذا انتقل بعض المجددين الى الهرمونيا ودسّوها بين أنغامنا دساً مع ماهي عليه من التفاوت والاختلاف كان انتقالهم اليها والحالة هذه أشبه بالطفرة ولا يفوتهم ان فى التعريب لا يمكن أن تدس اللفظة الاجنبية بين الفاظنا العربية إلا بعد أن تجانسها وتؤاخيها

فعلى شباننا الذين بُني صرح الاستقلال على كواهلهم والذين هم خليقون أن يكونوا دعاةً لخير الوطن أن يكونوا أعواناً لحفظ موسيقانا العربية وعلينا نحن أن نستأنف العزم ونجدد السعي فى استرجاع ذخيرتنا ونتفرغ لتوسيعها على قدر ماتسمح به حالتها وما تصل اليه جهودنا هدانا الله سواء السبيل وهو ولي التوفيق م

قسطندي رزق

المغفور له الملك الراحل فؤاد الاول

وُلد الملك الراحل فؤاد الاول بقصر والده المغفور له الخديوى اسماعيل بالجيزة فى ٢٥ مارس سنة ١٨٦٨ م وهو أصغر أنجاله والحاكم التاسع من الأسرة المحمدية العلوية ولما بلغ السنة السابعة من عمره تلقى مبادىء العلوم بالمدرسة الخاصة التى أنشأها والده للامراء فى قصر عابدين ولما أكمل العاشرة من عمره أرسله الى جنيف (سويسرا) فدخل مدرسة توديكم وفى سنة ١٨٨ دخل الأمير فؤاد المدرسة الاعدادية الملكية فى مدينة تورينو ولما أتم دروسه فيها نقل الى المدرسة الحربية بتورينو ثم دخل مدرسة تورينو الحربية العليا حتى سنة ١٨٨٨ وانضم الى آلاى الطوبجية الثالث عشر فى مدينة روما وأُلحِق بالبلاط الملكى الايطالى وفى سنة ١٨٩٠ سافر الى الآستانة لزيارة والده الذى تنازل عن عرش مصر فى ٢٥ يونيه سنة ١٨٧٩ وانتدبه السلطان عبد الحميد ملحقاً حربياً لسفارة الدولة العلية فى فينا (النمسا) وفى سنة ١٨٩٢ استدعاه المغفور له الخديوى عباس حلمى وعينه كبيراً لياورانه وأنعم عليه برتبة اللواء . ولما اعتزل الأمير فؤاد هذه الوظيفة كرس حياته لخدمة العلم وقام بأعباء الجامعة المصرية وذلك فى سنة ١٩٠٨ وتعهد الجمعية الجغرافية التى أسسها والده المغفور له الخديوى اسماعيل فى سنة ١٨٨٥ بعد أن أصابها



المغفور له الملك فؤاد الاول

من الوهن ما أصابها وقد كلفه المغفور له السلطان حسين العناية بها وولاه رئاستها فى الثلاثين من شهر اكتوبر سنة ١٩١٥ ورئاسة المجمع العلمى المصرى والجمعية الدولية الاقتصادية والمعهد المالى وجمعية الاسعاف والجمعية المصرية للحشرات التى أنشئت سنة ١٩١١ ثم انتخب رئيساً للجامعة وأسس المجمع اللغوى الثانى فى سنة ١٩٠٧ جاعلا مقره فى عابدين وفى ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ نودى سلطاناً على مصر خلفاً للمغفور له السلطان حسين وفى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ أعلن نفسه ملكا وأعلن استقلال مصر للدول التى اعترفت به بالاجماع وذلك بناء على معاهدة لوزان المؤرخة ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٣ وأمر بتشييد المدرسة الفاروقية البحرية وعمد الى تعليم الفتاة المصرية تعليما عاليا مجاراة للفتاة الغربية وشجع التأليف والنشر وأغدق على معهد فؤاد للموسيقى العربية أموالا طائلة يبلغ قدرها ٤٠٠٠ جنيه منها ٣٠٠٠ جنيه اعانة سنوية و ١٠٠٠ جنيه عند افتتاحه رسميا سنة ١٩٢٩ وأمر بتنظيم المؤتمر الموسيقى الذى عقد تحت رئاسته فى سنة ١٩٣٢ بدار الاوبرا الملكية بحضور مندوبى الدول الشرقية والغربية وفى سنة ١٩٢٧ أنشأت وزارة المعارف إدارة خاصة لتفتيش الموسيقى ولم يأل جهداً إسوة بأبيه العاهل العظيم فى رفع مستواها حتى أصبحت الموسيقى درساً مهماً داخلا فى برامجها يتعلمه الطلبة والطالبات فى مدارس البنين والبنات ورياض الاطفال

أما التمثيل فحدث عن ميله اليه ولا حرج بدليل انه استدعى غير مرة الفرق التمثيلية الى القصور الملكية فمثلت فى حضرته عدة روايات شائقة نذكر منها فرقة الاستاذ عبد الرحمن رشدى التى قامت بتمثيل رواية « فى سبيل الفن » على مسرح عابدين ، ومما جاء فى مذكراتى فى نصف قرن تحت عنوان « تمثيل رواية المهدى وفتح السودان » يتبين ان جوق اسكندر فرح افندى مثل فى هذه الأثناء (رواية المهدى وفتح السودان) وهى تمثل حرب السودان وتنتهى بدخول العساكر المصرية الى أم درمان ووقوع التعايشى أسيراً فى أيديهم . وقد كان الازدحام شديداً جداً على حضور هذه الرواية رغم ان الفرقة رفعت أسعار الدخول مما دل على اتجاه الافكار بحركات الجيش المصرى فى السودان»

هذه صفحة من تاريخ فقيد العلم الملك فؤاد الذى أشرب فى أثناء رحلاته الى أوروبا روح الديموقراطية والذى كرس حياته لخدمة مصر ونشر لواء العلم فى البلاد وإذا أردنا أن نحيط بكل ما اضطلع به من الأمور الخطيرة والاعمال الباهرة أيام كان أميراً فملكا للزمنا عدة مجلدات .

أسكنه الله فسيح جناته وجزاه عن أعماله الصالحة خير جزاء

محمد توفيق باشا خديوى مصر

ولد المغفور له الخديوى توفيق باشا سنة ١٨٥٢ م وتولى الأريكة الخديوية فى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ ه الموافق ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ ومما يؤثر عنه انه ألغى الضرائب الباهظة التى كان يرزح تحتها المزارعون وتجول فى الوجهين القبلى والبحرى ورفع عن الأهلين نير المظالم وهيأ لهم أسباب الهناء ورغد العيش وأمر بتقسيط الاموال الاميرية والعشور على أقساط تدفع فى الاشهر الموافقة لمحاصيل الزراعة – على ماجاء « بالكنز الثمين لعظماء المصريين » ونشر ألوية العلم فأسس كثيراً من المدارس وفى مقدمتها المدرسة التوفيقية بشبرا والمدرسة الخديوية بدرب الجماميز وشيّد مدرسة عابدين وأمر بتجديد مدرسة الطب وتنظيم مستشفى القصر العينى وسنّ للبلاد النظم الدستورية بتأليف مجالس المديريات وشورى القوانين والجمعية العمومية والمحاكم الاهلية وأصدر لائحة المعاشات للموظفين حفظاً لحقوقهم وردفها بلائحتى المعاشات الملكية والعسكرية

وقد توفاه الله فى ٨ يناير سنة ١٨٩٢ بحلوان وجاء نقلا عن مذكراتى فى نصف قرن للحاج احمد شفيق باشا « ان أُدخل النعش من باب التشريفات الصغير من قصر عابدين ثم خرج به حاملوه من الباب الكبير وسار الموكب يضم النظار وممثلى الدول والعلماء والامراء والرؤساء الروحانيين وكثيراً من وفود الاقاليم والجموع الكثيرة من الشعب وأذكر أنه كان من الهيئات المشيّعة جماعة الماسونيين لأن المتوفى كان ماسونياً فاجتازت الجنازة شارع عبد العزيز فالموسكى حيث صُلي على الفقيد فى المشهد الحسينى ثم ووري فى مقره الاخير بتربة العفيفى بين مظاهر الحزن العميق من جميع الطبقات » انتهى

على ان الخديوى توفيق باشا رحمه الله كان أستاذاً أعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى بدليل ما أسفرت عنه ملابسه الماسونية العظمى المكونة من مئزر منطق به وعقد ملوكي معلق فوق صدره (انظر صورته هنا) ولما كانت الماسونية لعهده شائعة بين الطبقات المثقفة وبالغة ذروة المجد بما ساد حولها من المودة والألفة والانتظام بحيث كان الاخوان فى الاجتماع كأنجم الثريا نظم اسماعيل صبرى باشا وكيل وزارة الحقانية آنئذ دوراً إنسانياً بديعاً قام بتلحينه محمد عثمان وأجاد فى إلقائه

عبده الحمولي وكان الباعث له كما لايخفى وجدان حركة فكرية ظهرت فى أنحاء القطر وشاعت شيوع البرق الخاطف واليكم بيانه

المذهب - عهد الإخوة نحفظه بالروح ومالنا غير كده
واجب علينا نلحظه بعين صفانا الود ده
حسن الوفا حسن بكل ما أمكن
والصب لو أعلن يكيد به العدا

دور - عيد البشاير والفرح لاح لي بوجهك يا قمر
لما الحسود شاف المنح من سعدنا قلبه انفطر
طالع سعودك جد بالنصر فوق الخد
مافيش خلافك حد اسمع كلامه إلى أمر

وقد عبر الناس على مثل هذا الاعتقاد السليم أحقاباً متطاولة فى الشرق والغرب بين الناس حتى الملوك منهم ورؤساء الجمهوريات كالولايات المتحدة وفرنسا والعلماء والباحثون ذوو الروية الثاقبة ممن بثوا روح المحبة والسلام بين جميع المخلوقات مهما تباينت عقائدهم واختلفت موالدهم وانتهوا بأن انتحبوا من بينهم بعض ملوك انكلترا ورؤساء الولايات المتحدة وغيرها أساتذة أعاظم لسائر محافلهم وهنا نستميح الناقدين أن نوجه التفاتهم صوب ما ينشأ من الخير العظيم والنفع العميم عن الجمعيات بوجه الاجمال التى تنص تعاليمها على مؤاساة البائس وتخفيف بلاء المريض وتربية الايتام والعاجزين بما تنشىء بها من ضروب المرافق وبناء المستشفيات والملاجيء وتعليم الاحداث والمتشردين مما يكون من شأنه تخفيف وطأة الشقاء وإنارة عقول الجهلة فى جميع العصور

ومما يحسن إيراده قبل أن نمسح القلم من هذا الموضوع أن نذكر أن الحرية والمساواة والاخاء هى الاسس التى بنى عليها صرح الماسونية منذ القدم وقد قيل ان الحرية نبات شذَّب أغصانه خالق الكون الذى لا يقلع جذوره أبداً إذ انه خلقنا أحراراً لاعبيداً بل إخوة وقال تنيسون الحرية عظيمة للاعمال الخطيرة أما المساواة فهى ترمى الى محاربة الأثَرَة والاستبداد بالرأى ولا تقيم للارستقراطية وزناً – ارستقراطية المولد - لا ارستقراطية الثقافة والتفكير لأن الاعجاب آفة الألباب والناس سواء فى نظر الله سبحانه وأمام القانون . وأما الاخاء فانه معجزة الحياة ودستورها الفعال وحيرٌ للانسان أن يهلك ان لم يُحب وعليه أن يُحب ليُحَب وأن يعطى لا ليأخذ وأن يخدم لا ليُخدم . ومن

الحب تتفرع التضحية التي هي سرّ السعادة الأرضية ونحن لانشعر بها إلا عند ما نكون يداً قوية بسطها الى يد أخرى وقت الحاجة ونصبح كأسا ملأى قوىّ نمدها الى نفس بشرية لتنقع بها ظمأها فى إبّان الفاقة والضعف على ان علم البنايه الحرة كان يحقق فى عصره الذهبى فاهتدى به عدد كبير من الناس وانتهوا الى غايتها السامية ورقت قلوبهم عملا بمثلها العليا فأطعموا الجائع وقاموا بمواساة المضطر ومحالٌ أن يبيت الانسان مبطانًا وحوله بطون غرثى وأكباد حرّى ويكون كما قال الشاعر

وحسبك داءً ان تبيت ببطنةٍ وحولك اكبادٌ تحنُّ الى القِدّ

وكان للخديوي توفيق ولع شديد بالموسيقى الشرقية (ومن شابه أباه فما ظلم) ولذا كان يطلب عبده ليغنيه فى قصره بعابدين ومن أحب الأدوار اليه الدور الذى كان يسمعه منه أثناء مروره بكاز ينو حلوان وهو من نغم السيكاه كما يأتي

مذهب

متع حياتك بالاحباب	أنسك ظهر
شأن الطرب يشفى الاوصاب	للي حضر
وكيد زمانك واتهنى	واشرب وطيب
وانفى همومك بالاكواب	سعدك أمر

دور أول

انظر لخلّك قلبه داب	ياما الهوى
لوّع كتير قبلي احباب	مثلي سوى
والقلب صابر تتهنى	على الدوام
يا ريت زماني مرّه طاب	آدى الدوا

دور ثان

دهده الدلع ده والتتيه	يادى القمر
حق اللى حبك تهنيه	من غير كدر
قضى زمانه فى حبك	وشاف كتير
يكفى بقا غير ده تتيه	قلبه انفطر

ومما يؤثر عنه فيما يختص بقدره المغنين المصريين قدرهم انه (قدس الله ثراه) لم يقطع عنهم المرتبات التى كانوا يتقاضونها من المعية فى عصر والده ساكن الجنان الخديوى اسماعيل وهى مخصصة كالآتي ١٥ جنيهاً الى عبده الحمولي و ١ جنيهات لكل من المظ ومحمد عثمان واحمد الليثى وابراهيم سهلون ومحمد العقاد الكبير ومحمد خطاب وهذه المرتبات – ولو ظهرت ضئيلة فى أعيننا الآن – تعتبر فى وقتها ذات قيمة كبيرة . وقد زار الخديوى توفيق عقب عودته من الوجه القبلى عبده الحمولي فى داره بحلوان حيث كان عدد كبير من المطربين والعارفين مجتمعاً تحيةً لمقدمه وغناه عبده الدور المومأ اليه متع حياتك بالأحباب وكان من اشد المعجبين به وودع عند انصرافه وداعاً حماسياً وهتف له المطربون بدوام العز وطول البقاء



المغفور له الخديوى محمد توفيق باشا بالملابس الماسونية

حسين الاول سلطان مصر والسودان

وُلد السلطان حسين فى اليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ١٢٧ ه) الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م) وذلك فى عهد ولاية عباس باشا الاول وتلقى العلم فى عدة مدارس ولما بلغ أشده عينه المغفور له الخديوى اسماعيل والده مفتشاً للوجهين القبلي والبحرى فناظراً للمعارف والاوقاف والاشغال العمومية التى فى خلال نظارته لها أنشأ سكة حديد حلوان جاعلا أولى محطاتها ميدان محمد علي ثم عُين حيراً ناظراً للحهادية (الحربية والبحرية) ورُزق سنة ١٨٧٥ ولداً سماه كمال الدين

وللسلطان حسين ولع سديد بالزراعة فقام بتأسيس الجمعية الزراعية ورأس عدة شركات وأنشأ المدرسة الزراعية بدمنهور وقد عني باقامة المعارض الزراعية والصناعية وخصص ترغيباً للناس فى المباراة واتقان الزراعة وتربية الماشية جوائز سنية للسابقين أقرانهم فى معروضاتهم وقد اعتاد أن يرتحل الى اوربا فى فصل الصيف من كل سنة متجولا فى نواحى بعض ممالكها كفرنسا وايطاليا وبلجيكا لتفقد آثارها والوقوف على سائر أحوالها الزراعية والاقتصادية مما عاد على الفلاح المصري بالفوائد الغزيرة ولذلك لقبه الاهلون فى القطر المصرى بأبى الفلاح

على انه عين فى شهر يناير سنة ١٩٠٩ رئيساً لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وله اليد الطولى فى ترقية شؤون الجمعية الخيرية الاسلامية التى استمر متقلداً رئاستها عدة أعوام وكذلك جمعية الاسعاف العمومية

وفى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ رقي أريكة السلطنة المصرية ونُودى خلفاً لعباس حلمى باشا سلطاناً على مصر فعمد الى اصلاح شؤون التعليم للبنين والبنات وأكثر من فتح المدارس تثقيفاً لعقول الشعب المصري على حد الحكمة المأثورة القائلة « من يفتح مدرسة يغلق سجناً »

وفى مدة حكمه السعيد الذي دام ثلاث سنوات استذرى المصريون كافة بظل السكينة وورقت عليهم ظلال الأمن ورفلوا فى حلل السعادة والرخاء وقد هنأه المرحوم اسماعيل باشا صبرى بقصيدة لمناسبة توليه عرش جده وأبيه نقلا عن « الكنز الثمين لعظماء المصريين » واليكم أبياتها

اليوم آن لشاكر أن يجهرا ‍ ‍ ‍ بالشكر مرتفع العقيرة فى الورى
ان الامارة لم تزل فى أهلها ‍ ‍ ‍ شماء عالية القواعد والذرى

والتاج مقصورٌ عليهم ينتقى منهم كبيراً للعلاء فأكبرا
وان العرش ان أحلاهُ منهم ماجدٌ ذكر الاماجد بينهم وتخيّرا
أحسينُ حبك فى القلوب محققٌ قد أظهر الإخلاص منه انصمرا
فاحرص عليه فهو ملك آخرٌ إن شئت مُلكاً جنب ملك انضرا
فالملك آل اليك يحدو خطوة شوقٌ اليك وإن أتى متأخرا
لم يَعْدُ فى ما فات بابك ناسياً بل وانياً حتى يشبَّ ويكبرا
يا ناظر الماضي وشاكر عهده والحالُ بين يديه أجمل منظرا
هذى الحقائقُ باهراتٌ فانتبه لا يلهينَّك طيف ماضٍ فى الكرى
هذا ابن اسماعيل نجمٌ طالعٌ لهداية السارى فحى على السُّرى
الملكُ من يمناهُ فى يد حازمٍ إن أورد الاقدام ورِداً أصدرا
والنيل لم يبرح على العهد الذى أخذته قبلُ عليهِ ناضرة القُرى
متهادياً بين البقاع مناجياً أرجاءها بالخصب يكتنف الثرى
والشرع بين الناس ناه آمرٌ ما زال حكم الله فيه موقرا
والبيتُ بيتُ محمدٍ قد شاده لبنيه لم يستثنِ منهم معشرا
والعم أكبر حكمة ودرايةً بالأمر لو ان المكابر فكّرا
حالٌ اذا نظر الأديب جمالها شكر الاله وحقُّهُ أن يشكرا

ومن أغاني اسماعيل صبرى باشا مانظمه تحيةً للسلطان حسين كامل

حيّي الأهلة فى الأعلام وحيّا النجوم شارات الفخر
واقرا السلام طول الأيام على أمر طالع فى مصر
غمرت ملكك بالاحسان يبات يسابق فيه أمرك
حسين كدا يكون سلطان الله يبارك فى عمرك

ونظم أيضاً فى مدحه

فى (عابدين) سلطان وفى السما بدر زاهي
شوف دا ودا بامعان ان كنت تفهم وضاهى
دا فرع اسماعيل حاسب دا مولى الموالى

فين بدر وادي النيـل وفين بدر الليـالى

وفى صيف ١٩١٦ قام بزيارة بعض مديريات الوجـه البحرى نخصّ بالذكر منها الغربية والدقهلية والشرقية وفى نهاية هذه السنة لم يحرم الاهلين فى الوجه القبلي رؤية وجهه الكريم لما انه سافر الى اسوان في رحلة نيلية على اليخت فيروز وفى أثناء عودته عرّج على مديريات ومراكز الوجه القبلى حيث أغدق على الفقراء والمعوزين من سجال عرفه ما أطلق ألسنتهم بالشكر والحمد وقد شغف بالموسيقى الشرقية الى حدّ بعيد وخصّ عبده الحمولى مطرب أبيه بمودته وكان يغمره بعطائه و به يُقتدى فى البذل وكيف لا فانه ترك فى قلوب سكان القطر ذكراً لا تمحوه الأيام لاسخائه وعطفه على المعوزين منهم فحسب بل لعدله فى الحكم وسهره على رفاهيتهم وإسعادهم وقد انقطع الى دار البقاء فى يوم ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ وفى اليوم التالى احتفلت الأمة بتشييع جنازته أسكنه الله فسيح الجنان

وقد عثرنا على قصيدة من عيون الشعر للمرحوم احمد شوقى بك يهنئه فيها بتبوئه العرش

الملكُ فيكم آل إسماعيلا لا زال بيتكمُ يظلُّ النيلا
لطف القضاء فلم يمِلْ لوليكم ركنًا ولم يَشف الحسود غليلا
هذى أصولكمُ وتلك فروعكم جاء الصميم من الصميم بَديلا
الملك بين قصوركم فى داره من ذا يريدُ عن الديار رحيلا
(عابدين) شُرّف بابنِ رافعُ رُكنه عزاً على النجم الرفيع وطُولا
مادام مغناكم فليس بسائلٍ أحوى فروعاً أم أقلّ أصُولا
أنتم بنو المجد المؤثَّل والنّدى لكُم السيادةُ صبيةً وكهولا
النيل إن أحصى لَكُم حسناتكم ملأ الزمان محاسناً والجيلا
أحيا أبوكم شاطئيه وابتنى مجداً لمصر على الزمان أثيلا
نشرَ الحضارةَ فوق مصروسوريا وامتدَّ ظِلاً للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام بيانَهم وحمى الى البيتِ الحرام سبيلا
حفِظَ الإله على الكنانة عرشها وأدام منكم للهلال كفيلا
بنيانُ (عمرو) أمنتهُ عنايةٌ من أن يزعزع ركنهُ ويميلا

وتداركَ الباري لوآءَ (محمدٍ) فرعى لهُ غُرراً وصان حجُولا
في برهة يَذَرُ الاسرةَ نحسُها مثلَ النجوم طوالعًا وأفولا
اللهُ أدركهُ بكم وبأمةٍ كالمسلمين ألاولينَ عُقولا
حلفاؤنا الأحرارُ إلاَّ أنهم أرقى الشعوب عواطفًا وميولا
أعلى من الرومان ذكراً فى الورى وأعزُّ سلطانًا وأمنعُ غيلا
لما خلا وجهُ البلاد لسيفهم ساروا سماحًا فى البلاد عدولا
وأتوا بكابرِها وشيخ ملوكِها مَلِكاً عليها صالحاً مأمولا
تاجان زانهما المشيبُ بثالثٍ وجدَ الهُدى والحقُّ فيه مَقيلا

***

سبحان من لا عزَّ إلا عزُّهُ يبقى ولم يكُ ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس من ملكوتهِ إلا رضىً بقضائهِ وقبولا
الخيرُ فيما اختاره لعباده لا يظلمُ اللهُ العبادَ فتيلا
ياليت شعري هل يُحطم سيفُه للبغي سيفًا في الورى مسلولا
سلب البرية سَلمها وهناءَها ورمى النفوس بألف عزرائيلا
زال الشبابُ عن الديار وخلَّفوا للباكيات الثكلَ والترميلا
طاحوا فطاح العلمُ تحتَ لوآئهم وغدا التفوقُ والنبوغُ قتيلا
الله يشهد ما كفرتُ صنيعةً فى ذا المقام ولا جحدتُ جميلا
وهو العليم بأنَّ قلبى موجعٌ وجعًا كدآءِ الثاكلاتِ دخيلا
مما أصابَ (الخلق) فى أبنائهم ودهى الهلالَ ممالكاً وقبيلا
أأخونُ اسماعيلَ فى أبنآئه ولقد وُلدتُ بباب إسماعيلا
ولبستُ نعمتهُ ونعمة بيته فلبستُ جزلاً وارتديتُ جميلا
ووجدت آبائى على صِدق الهوَى وكفى بآباء الرجال دليلا
رؤيا (علي) يا (حسينُ) تأولت ما أصدق الاحلام والتأويلا
واذا بناةُ المجد راموا خُطَّةً جعلوا الزمانَ محققًا ومنيلا
القومُ حينَ دهَا القضاءُ عقولَهم كسروا بأيديهم لمصر غُلولا

هدَموا بوادي النيل ركن سيادةٍ ... لهمُ كركن العنكبوتِ ضئيلا
إرفأ سريرَ أبيكَ وَالبَس تاجهُ ... وأكرُم على (القصر المشيد) نزيلا
مرت أويقات عليه مُوحشاً ... كالرمس لا خلواً ولا مأهولا
ليست معالى الأمر شيئاً غائباً ... عنكم وليسَ مكانُكم مجهولا
كم سُستموه فى الشبيبة مُضلعاً ... وحملتموهُ فى المشيب ثقيلا
وحميتمُ زرعَ البلاد وضرعها ... وهززتمُ للمكرُمات بخيلا
يا أكرم الاعمام حسبُك أن نرى ... للعبرتين بوجنتيك مَسيلا
من عثرة ابن أخيكَ تبكى رحمةً ... ومن الخشوع لِمن حباكَ جزيلا
ولو استطعتَ إقالةً لعثاره ... من صدمة الأقدار كنتَ مُقيلا

* * *

يا أهل مصر كلوا الامورَ لربكم ... فالله خيرُ موئلاً ووكيلا
جرت الامورُ مع القضاء لغاية ... وأقرَّها مَن يملكُ التحويلا
أخذت عِناناً منهُ غير عنانها ... سبحانه متصرّفاً ومُديلا
هل كان ذاك العهدُ إلاَّ موقفاً ... للسلطتين وللبلادِ وبيلا
يعتزُّ كلُّ ذليل أقوامٍ بهِ ... وعزيز كم يلقي القيادَ ذليلا
دفعت بنا فيه الحوادثُ وانقضت ... إلا نتائجَ بعدها وذُيولا
وانفضَّ ملعبهُ وشاهدهُ على ... أن الرواية لم تتمَّ فُصُولا
فأدمتمُ الشحناء فيما بينكم ... ولبثتمُ فى المضحكاتِ طويلا
كل يؤيّد حزبهُ وفريقهُ ... ويريد وجودَ الآخرين فضولا
حتى انطوت تلك السنون كلاعبٍ ... وفرغتمُ من أهلها تمثيلا
واذا أراد الله أمراً لم تجدْ ... لقضائهِ رداً ولا تبديلا

الخديوى اسماعيل باشا

مقته لاحتكار المغنين وتقديره لهم

كان عبده الحمولي بادي بدء مغنيا للخاصة الخديوية وللطبقات الارستقراطية ولا يمكن لأحد أيا كان أن يدعوه للغناء فى عرس من الاعراس مالم يتقدم الى المعية عريضة يطلب فيها الترخيص له بذلك وبعبارة أخرى استمارة مستوفية البيان ولكن المغفور له الخديوى اسماعيل الديمقراطى مقت هذا الضرب من الاحتكار وأبطله في الحال وأباح له أن يغنى شعبه الطروب بلا قيد ولا شرط استجماماً لقرائحهم وترفيهاً لنفوسهم وما كاد الخديوى رحمه الله يتأكد أمرهُ حتى أخذ يمتع الطبقات كافةً بصوته الرخيم الأخّاذ موآثراً الفقير التعس على الغنيّ المقترّ مصداقاً لما رثاه به أمير الشعراء احمد شوقي بك فى قصيدة منها قوله



والأبيّ العفيف فى حالتيه ... والجواد الكريم فى إيثاره

يحبس اللحن عن غنيٍ مدلّ ... ويذيق الفقير من مختاره

يا مغيثاً بصوته فى الرزايا ومعيناً بماله فى المكاره

ومُجلّ الفقير بين ذويه ومعزّ اليتيم بين صغاره

وعماد الصديق إن مال دهرٌ وشفاء المحزون من أكداره

لستَ بالراحل القتيل فتنسى واحد الفن أمةٌ فى دياره

كان الخديوى اسماعيل كثير التطير من صراخ نساء العامة وراء نعوش الموتى - شأن كل عظيم مثله تقمص لباس العزّ وعرف ان الحياة خليط من السرّآء والضرّآء - فأمر بأن لا تمرّ الجنائز بساحة عابدين ولما سمع بخبر وفاة « ألمظ » التى كانت تطربه فى قصوره سَمح بأن يمر جثمانها أمام قصر عابدين وهو محمول على المناكب بمهابة تليق بمقامها وعند ما اقترب مشهد الجنازة أطلّ الخديوى من احدى شرفات السراى وحنى رأسه تخشعاً وترحّم عليها بعد أن قرأ الفاتحة والخديوى اسماعيل هو نور ساطع ظهر حديثاً فى سماء الشرق على حدّ قول دون دي ليون

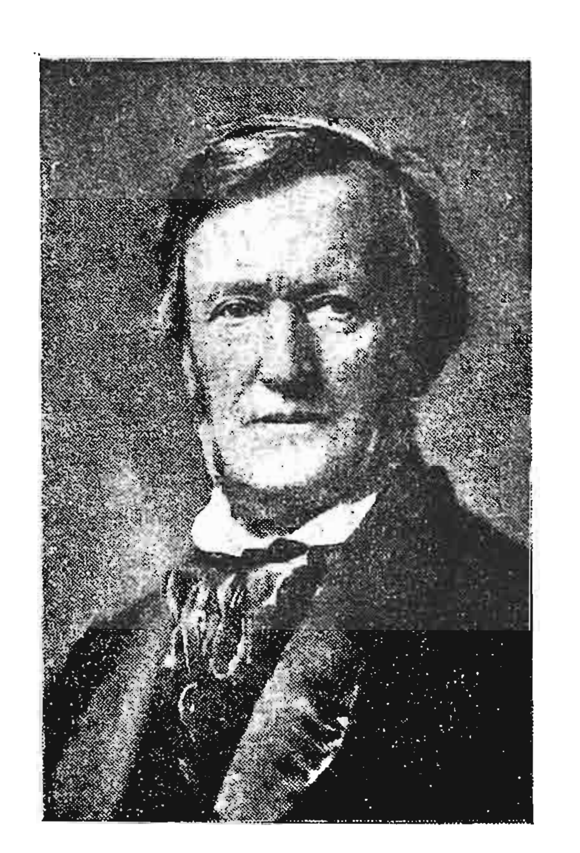
ولما اعتزل امارة مصر سنة ١٨٧٩ وأقام آخراً فى الاستانة زاره عبده الحمولى فى قصره فأكبر الخديوي حسن وفآئه وشملهُ بعطفه وعانقه عند انصرافه من حضرته عناق الأب الصالح للولد البار . ومَثَلهُ فى هذا التعظيم مَثَل لويس ملك بافاريا الذى امتطى صهوة جواده ذات ليلة حينما سمع بخبر وفاة رتشارد ڤاجنر قاصداً الى بيروث (بافاريا) حيث دُفن الأخير وزار ضريحه قائلاً له (يامعلم) والأغرب ان المانيا دفنتهُ بجانب جوتا الكاتب والفيلسوف وبين أضرحة عظمآء رجالها وأكابر قوّادها هكذا يتمجّد الموسيقيون فى الغرب كما مجّد الخديوى اسماعيل الموسيقار المصري محيي الفن العربي الذى لم يكن شيئاً مذكوراً



هذا مشهد جنازة المغفور له الخديوى اسماعيل وهي مارّة بميدان ابرهيم باشا (الاوبرا)
وقد اشترك المصريّون حكومة وشعباً فى تشييع جثمانه بالاجلال والتعظيم الى مقره الاخير

ڤاجنر

وُلد ڤاجنر (ويلهلم رتشارد) بمدينة لبزيج فى ٢٢ مايو سنة ١٨١٣ ومات فى سنة ١٨٨٣ وقد



تعلَّم أصول البيانو فى لبزيج مع جوتلياي مولر والموسيقى على أنواعها مع وينليج وذلك بعد أن أتمَّ دروسهُ العالية فأخذ بادى بدء يسعى فى التصنيف ووضع مقطوعات موسيقيَة للعزف وأُوبرا أُطلق عليها اسم «الزواج» وأهملت لعدم إستيفائها ثم أوبرا أخرى سمّاها «الجنيّات» Les Fées عُرض عزفها على الجمهور سنة ١٨٨٨

وقام أيضا بوضع مؤلف سمّاه ليسفربوت أخذ موضوعهُ عن رواية هزليّة لشكسبير وذلك بعد أن عُين مديراً للفرقة الموسيقية فى مجدبورج وبعد قليل انخرط فى سلك تياترو كونيجسبرْج ولم يلبث به طويلاً لأنه أُقفِل بسبب إفلاسهِ ثم عرَّج على مدينة ريجا حيث عزف فوق مسرحها مقدمتين سنفونيتين لأوبرتين من تأليفه وهما « كولمبوس وقانون بريطانيا »

وفى سنة ١٨٣٩ تزوّج ممثلة فى ربيع العمر يُقال لها ميا بلانر واستصحبها فى السفر الى باريس حيث عكف على وضع عدة أُوبرات مختلفة يجدر بنا أن نذكر من ضمنها ملكة قبرص وهليفى ونديمة دونيزتى وروايتين مهمتين سمّاهما رينزي والمركب الخيالي (Le Vaisseau Fantome)

ولما عاد الى ألمانيا أجرى تمثيلهما فى درسْدن أولاهما سنة ١٨٤٢ والثانية سنة ١٨٤٣ وهذه هى التى كانت سبباً فى تعيينه أستاذاً لكنيسة البلاط الملكي لما لقيه من الاقبال والاستحسان

على أن رواية رينزي فقد ضربت على قالَب الاوبرا التقليديّة واختلفت عن رواية المركب الخيالي

وفى أثناء مقامه بدرسْدْ وذلك فى سنة ١٨٤٥ وَضَعَ رواية تانيهوزار التى تشبه رواية لوهنجرين من حيث مايحدثه تأثير ويبر الروائى الالمانى

ومما يسوء ذكره ان ڤاجنر إشترك سنة ١٨٤٩ فى الاضطرابات التى وقعت فى درسْدْ وفرَّ هاربا ولجأ الى سويسرا وهناك وَضع عدة مؤلفات تحت العناوين الآتية الفن والثورة (١٨٤٩) وفن المستقبل (١٨٥) والفن والمُناخ (١٨٥٠) وأوبرا ودرامة (١٨٥١) وبفضل مساعي ليزي وُفّق الى تمثيل رواية لوهنجرين على مسرح مدينة ولمِار وذلك سنة ١٨٥

وكان مع كل ماذُكر معُنيًا بتأليف رواياته الأربع التلحيية المسمّاة (La Tétralogie) وهى التى أيّد فيها مبادئه على أوضح وجه

ثم قصد الى باريس فى سنة ١٨٥٠ وأقام فى صالة فنتادور ثلاث حفلات كبرى موسيقيّة وتوصّل بفضل مساعيه الى تمثيل رواية تانهوزار على مسرح الاوبرا بباريس وأخيراً قفل راجعاً الى ألمانيا

وفى سنة ١٨٦٤ طلبهُ لويس الثاني ملك بافاريا الشابّ ولما حضر الى مونيخ أكرمهُ الملك وأهدى لهُ « فيلا » فخمة على ضفاف بحيرة إستادنبرج إعترافا بعبقريتهِ وتقديراً للجهود التى بذلها فى سبيل النهوض بالغناء التمثيلى الى ذروة الكمال والسؤدد ، ودعا ڤاجنر تلميذه هنس دى بولوف الى مونيخ للإشراف على اعماله الكثيرة وعينه مديراً للتياترو الملكى وكلّفهُ تحضير رواية تَريستان وايزولد وقد مُثلت سنة ١٨٦٥ فى مونيخ وكذلك رواية دجّالى نورمبرج (Les Maitres Chanteurs de Nureuberg) التى ظهرت فى سنة ١٨٦٨ وقد عكف ڤاجنر طول هذه المدة على تأليف روايات حاتمةنيبلنج الاربع التى سماها « ذهب الرين » (كمقدّمة) « ووالكيري » و « سيجفريد » وفجر الآلهة

على أنه منذ سنة ١٨٦٩ أخذ يمثّل ذهب الرين » - الرواية الأولى التى أُعجب بها الملك لويس الثانى كل الاعجاب التى هيأت لهُ الاسباب فى الحصول على تشييد تياترو خاص لتمثيل رواياته حسب الرسوم والمواصفات .والتى وضعها بنفسه واقامة مسرح للاركسترا بعيد عن انظار المتفرجين فى بيروث وذلك بمعونة الملك المشار اليه وقد أصبح هذا التياترو مهوى أفئدة المعجبين وكعبة آمالهم وفوق مسرحه مُثّلت فى سنة ١٨٦٧ روايات حَلَقة بيبلنج بتمامها بحضور غليوم الأول ولويس الثانى وبسببه أحرز من الفوز مالم يكن لهُ فى الحُسبان أما درامة برسيفال الموسيقية التى وضعها سنة ١٨٨٢ فانها كانت خاتمة تآليفهِ الخالدة

على أنه تزوج للمرة الثانية كوزيما ليزت مطلقة حنا بولوف زوجها الأول وذلك فى سنة ١٨٦٩ بعد أن طلق زوجته

وعن شهرته العالمية فحدّث ولا حَرَج فهو بلا مرآء نابغـة عصره قد أربى على الأكفآء بما أُوتى من قوة الارادة والمثابرة والاقتدار على الإنتاج العقلى وفرط الذكآء مما حداهُ على ابتكار التجديد وعدم التقيد بالأساليب البالية للأوبرا التقليدية وقد وصل الموسيقى بالمسرح وعدّل الغنآء التمثيلي جاعلاً الصـلة بين الموسيقى والشعر وثيقة العُرى وممّا لاشك فيه أن تآليف الأوبرا القديمة ترتكز على رقص السماع المعروف عنـدنا الذى أسماه الغربيون "ballet" واللهو والتسلية المأخوذة عن الأوبرا الايطالية والفرنسـية واليهِ يرجِع كل الفضل فى إدماج الغنآء بالتمثيل وعرض موسيقاه مبوَّبة ومقسمة على فصول وأدوار لاعلى نمر

وقد امتازت ابتكاراته التلحينية التي تخللت التمثيل بسـلامة الذوق وحسن الصياغة وشـديد الحسّ وذلك بأساليب لم يسبقهُ اليها سابق فضلاً عن نظمهِ من غرر القصائد ما يُشنّف الآذان ويخلب القلوب بما انطوت عليه من البدائع والطُّرَف وحُلو التغزُّل ولو أنَّ اصطلاحات ڤاجنر وقصائده الطويلة المملة لاتخلو من مطارح النقد فالحق يُقال انه يُعدّ شاعراً وفيلسوفاً وموسـيقياً كتب اسمهُ بأحرفٍ من ذهب فى عصره الذهبي وقد نفحته الآلهة وهو فى المهد بأنفس العطايا وملأت يديه بآلآء الطبيعة ومعجزات وحيها

«ساكنة»

ساكنة أول مطربة ظهرت فى عهد ساكن الجنان عباس الأول وما كاد نجم سعدها يبزغ فى سماء مصر حتى بان شأوها على جميع من عاصرها من الفقهاء المنشدين وأولاد الليالى والعوالم لما إتصفت به من قوة الصوت وحسنه وقيل أنها كانت ترسله إرسالا بلا عناء . ولما أعجب بها الترك كانوا ينادونها باسم « ساكنة بك » على أنها استمرت تتمتع بحسن الأحدوثة مدة حكم عباس الأول وظل نبراسها ساطعاً إلى آخر عهد ساكن الجنان سعيد باشا والى مصر.



(المطربة ساكنة)

وكان لها مزاح يضحك الحزين ويفرح قلب العابد لما انطوى عليهِ من تهذيب اللسان وخفة الروح وطيّب المنافثة فضلا عما عُرفت به من سرعة الخاطر وقوة البديهة اللتين كانت تستعين بهما على صائب الاجابة ومستملح الفكاهة – تلك صفة من الصفات التى انفرد بها المطربون والمطربات فى قطرنا السعيد تفصياً واستراوحاً وظلت هذه العادة جارية إلى وقتنا هذا كما قدّمنا فى الجزئين السابقين من هذا الكتاب بحيث كان يُختار بعض مشاهير المضحكين للنزول إلى ميدان المضاحكة بين كل وصلة غنائية وأخرى فى الأعراس التى اعتاد إقامتها ذوو الجاه والثروة .

وقد اتفق أن لمع فى أفق مصر كوكب « ألمظ » وذلك فى أول حكم ساكن الجنان الخديو إسماعيل باشا ولما سمعتها ساكنة أخذت تتجاهلها فى كل مكان ودسّت عليها نمائمها وأضمرت لها السوء .

ولما عجزت عن مناوأتها ضمّتها إلى فرقتها لتأتمر بما تأمرها ولتتقي شر منافستها لها وتفوقها عليها إلا أن أمر انضمامها إليها هيأ لها أسباب النجاح بفضل ما وصلت اليه من مزاولة التمرُّن على الغناء فوق تختها وما أحاطت به خبراً من ضروب التفنن. ولما رأت سا كنة إن من المحال التغلب عليها ومحاولة الرغبة عنها أنفةً واستنكافاً نبذتها نبذ النواة. وما كان من «ألمظ» إلا أنها أنشأت لها تختاً خاصاً وزاحمتها زحاماً قضي على صيتها قضاء مبرماً ولما قلب لها الدهر ظهر المجن وأفل نجم سعدها لزمت دارها وتركت الفن لتلميذتها التي بذّتها إلى أن وافاها الحمام وذلك في عهد الخديو اسماعيل من دون أن تترك وراءها ثروة لذوي قرباها.

رأى شارل ديدياى فى « سا كنة »

شارل ديدياى (Charles Didier) كاتب سويسرى ومن أصل فرنسوى وُلد فى جنيف سنة ١٨٠٥، ومات منتحراً بباريس فى ٨ مارس سنة ١٨٦٤ بعد فقده بصره وهو من أكابر الرحّالات، وقد زار إيطاليا وأسبانيا ومرّاكش وألمانيا ومصر وبلاد العرب ولهُ عدة مؤلفات أشهرها: روما تحت الأرض (١٨٣٣) وهو المؤلف الذى أكسبه شهرة عظيمة وسنة فى إسبانيا (١٨٣٧) ورحلة روما (١٨٤٢) والتنزه فى مرّاكش (١٨٤٤) والاقامة عند شريف مكة (١٨٥٧) وخمسون يوماً فى الصحرآء (١٨٥٧) وخمسمائة فرسخ فوق النيل (١٨٥٩) وليالى مصر (١٨٦٠) وله ديوانان من عيون الشعر وانخرط فى سلك الصحافة وكتب عدة مذكرات لم تُطبع بعد

دُعى شارل ديدياى بعد عودته من ناحية المطرية (خط الزيتون المطرية) إلى حفلة ساهرة أقامها يعقوب قطاوى بك المالى الاسرائيلى المعروف لمناسبة ختان ابنه، وإليكم ترجمة وصفه لها بقلمه قال قد لبيت هذه الدعوة شاكراً ودخلتُ بيتـه فوجدته مزيناً بأفخر الرياش وأرض حجراته المتلألئة بأسطع الأنوار مفروشة بأفخم السجاجيد العجمية وفوقها مقاعد مريحة مكسوة بالحرير وقد أعدّ صاحب الدار لى ولمدير البوليس الذى يقال له خورشد باشا حجرة خصوصية ولم يكن إكرامه مقصوراً على كل منا بأن طيف علينا بأطباق الحلوى والفواكه المطبوخة «بالقشطة» بل كان الخدم يقدمون المرطبات بدون انقطاع لسائر المدعوين والماء البارد فى أوان (قال) من الفخار القنائى غير أني لاحظت أنه ينقص هذا المهرجان الفخم

الجنس اللطيف الذى بوجوده تبلج الصدور وتخفق الأفئدة طرباً وما كاد هذا النقد يبلغهُ حتى أباح لى وللآخرين الدخول إلى الصالة التى جلست فيها السيّدات وكم كانت دهشتى عظيمة حينما شاهدتهن جالسات فوق الدواوين وتجلى لى من معانى الجمال الاسرائيلى الاصلى وبثَّ فيهن من عوامل الفتنة ما يستعبد القلب والنظر مما قل نظيره فى العالم حتى فى الشرق وكانت هذه السيدات تلبس اللباس الشرقى الجميل الذى حُرمتهُ المرأة الأوروبية وكانت الأصغر منهن سناً متوشحات بالأثواب البيضاء ومتنطقات بأحزمة من حرير حمراء وزرقاء اللون وكانت أكمامهن الكبيرة المفتوحة لغاية أكواعهن مسترسلة إلى الأرض يُرى من بينها أذرعهنَّ مزينةً بالاسورة وكن يلبسن بأرجلهن العارية الصغيرة شباشب مزركشة ومما يخلب الاب أن الأحجار الكريمة التى تزينت بها رؤوسهن كانت ترسل إلينا أنواراً متلألئة جذابة وقد سمعنا صوت آلات النفخ من جوقة رومانية موسيقية فى فناء هذه الدار وقد راقنا سماعها لما احتوت عليه هذه الموسيقى من ضروب الهرمونيا الرزينة من السماعى الثقيل الشبيهة بالموسيقى الالمانية ويحق لنا أن نشكر قطاوي بك علي أن أتاح لنا الفرصة فى سماعها مع عدم ميل الأهلين إليها.

ومما لا شك فيه أن « ساكنة » التى دعاها قطاوى بك للغناء فى مقابل أجر قدره $\frac{\text{ص}}{١٢٠٠}$ (أى ثلاث مئة فرنك) كان المدعوون ينتظرون قدومها بفارغ الصبر وكان الغرض من دعوة صاحب الدار لى أن أقف على حالة غنائها وما كادت السيدات تسمع من الشباك صوت صاروخ أُطلق خصيصاً ليخبر وصولها حتى دوى المكان بالتصفيق ومس الحضور تيار كهربائى فأقبلت تختال تيهاً واستعدت للغناء بعد ما سطعت عليهن كما تسطع الشمس على الناس وكنا آذاناً صاغية وقلوباً مجتذبة اليها مع عدم رؤية وجهها لأن البوليس فى عهد عباس الأول كان يحتم على المغنيات ألا يغنين سوى السيدات وراء الستار وهُنَّ محتجبات عن أنظار الرجال تمسكاً بأصول الحشمة ووفقاً للنظام فى ذلك العهد.

وكان من عادتها على ما لاحظت أنها تغنى منفردة وبيدها الرق (الطار) أما المساعدات فانهن كنَّ يقمن بترديد اللوازم مما يشبه بوجه التقريب ما يردده بعض الأفراد فى جوقاتنا الغربية من الاشطر أو النهايات التى يقال لها بالفرنسية (refrains) وقد بدأت عملها بموّال عرّبه إلى الفرنسية فى الحال ، وها كم نصه نقلاً عن فصل من كتابه الذى تحت عنوان (Les Nuits du Caire)

" Ton père et ta mère t'ont engendré
" Pour le tourment de mes entrailles.
" Pourquoi ton père a-t-il visité ta mère ?
" Pourquoi ton père et ta mère t'ont-ils engendré ?
" Lorsque les muets te rencontrent,
" Leur langue se délie pour chanter tes louanges.
" Lorsque les aveugles te sentent passer,
" La lumière se fait pour eux
" Et ils admirent ton attrayant visage
" pareil à la lune aux regards caressants
" Où Radouan[1] était-il lorsqu'on
" t'a dérobé au Paradis ?

و يحتمل أن تكون ساكنة غنّته باللغة العاميّة بحسب نفس معناه على الكيفية الآتية

أبوك وأمك جابوك   على شان عذاب قلبي
ليه يا ترى أبوك زار أمك ؟
ليه أبوك وأمك خلّفوك ؟

لما الخُرس يقابلوك لسانهم ينفكّ على شان يمدحوا صفاتك ولما العميان يحسوا بأنك فايت عليهم تنور عيونهم ويشوفوا بها وجهك الجذاب اللى يشبه القمر ولحاظك اللى تجرح فين كان رضوان لما خطفوك من الجنة ؟

وجاءت بأغنية ثانية لا بد من إيرادها تفكهة للقراء وهي كما يأتى

يا حبيبي و يا مهجتى « إن طيب رائحة اليمن وطيب رائحة ريحانة بستان الجن » ولذة الشبيبة لا تفوق عاطر ذكرك من ذا الذى يقول لى إننا سنجد بعد الحياة في مكان الراحة الابدية أولئك الذين نحبهم فى الارض وأفراح الازمنة الغابرة التى تفوق الوصف ؟

(١) (رضوان الملك الذى يقوم بحراسة أبواب الجنة)

(1) Radouan est l'ange qui garde les portes du paradis

فيا أيتها القوافل العلوية و يا أيها الملائكة المعزّون أسمعونا الانغام المطربة التى تسحرون بها السموات أخبرونا إذا كان الذى بفضل حكمته ضمّ الواحد منا إلى الآخر يستطيع أن يجمع فى السماء شتيت ألفتنا ؟

واستطردت فى الغناء إلى المقطوعة الآتية بعد أن لعبت بالطار الذي أحبه مراهق جميل أوقد النار التى لا تطفأ فتأججت فى قلبي وخداه الناعمان كالمخمل خاليان من الزغب (صفار الشعر) ولذا فان حبه نفذ قلبى نعم أيها الحبيب فان الحب لاجلك يسبب عذابى ولأجلك تتصبب دموعى كم من بكاء وكم من آلام من جراء الحب الاول وإنى أقسم بالذى خلق الرحمة فى قلوب الرجال إني طول حياتى لم أحبّ سواكَ .

أما المقطوعتان الآتيتان فهما كما يتضح للقارىء أمرهما - موسومتان بميسمين مختلفين الاولى تتصمن شكوى أَمَة أحبها مولاها فهجرها ثم باعها .

والثانية تنم على لعنات معشوقة مهجورة تفور من الغضب وإليكم ماتقوله الأَمَة الشاكية :

انت هجرتنى . هذا الامر مكتوب وإني سأنتظرك يا خائن حتى تنتهى من الدوران حول الارض وتجد أمة تعتنى بك وتخلص لك ولاءها مثلى ومع ذلك فانك تكون بمرأى من جميع الناس وبصحبتك عصابة من المتشردين الاوباش من جميع الاصناف أما أنا فأطلب من الله أن يكون معك قد تركتنى مع غرباء أضياف . اذهب وثق أن نفسى لا تتركك أبداً فضلاً عن أنى لم أبعك بالذهب كما بعتنى أنت بأبخس ثمن

على أن القصة الثانية الخاصة باللعنات فهى كالآتى لما ابتعد حبيبي عن عيونى أخذنى الزويل والعويل ولما نزفت عبرتى ولزمت السكوت جاشت فى صدرى غصص الهموم وترادفت عليّ الاسقام آه لو كنت أستطيع أن أصل إليك أيها البغيض المتوحش الذى مزّق شمل الاحباء لطرحتك فى سجن من الغاب الناشف حيث أحرق أحشاءك وأقذف في الهواء رَمادَك القذِر بيدى

ويُلاحظ ان أغاني ساكنة التى أدّتها ترمى إلى المبالغة في الثناء على الرجال وتشمل افتتانهم بسحر عينيّ المرأة ووقوعها بقلوبهم وشكواها من هجرهم إياها على حد ما يرى فى الأُغنية الآتية

التي إن هى إلا زفير عاشق سُبى بلطف دَلّ إمرأة قد بان لعينيك الآن حبى الذي جعلته مدة طويلة فى وعاء غير سرب لقد ألبستنى ثوباً قاتماً تبرّمتُ به لما يستشف من ورائه من ملل مميت وأطلب أن تتقمص لباس السعادة والبهجة التى لا نهاية لها . وأردف شارل ديدياي قائلا ويخيل إلي ان ساكنة أرادت بالغناء المقدم ذكره استمالة الرجال الحاضرين اليها والاطناب فى فضائلهم وعندما رأت بين الحضور بعض الأوربيين وجهت الينا أغنية جديدة تناسب المقام لانها تشير الى ابنة الناسك التى اعترفت انها سلبت فؤاد أحد الأوربيين ، وإليكم نصها :

« حبيبى لابس قبّعة (برنيطة) وبنطلونه تزينه ربطات ووردات صغيرة وعندما أردت أن أقبل وجنتيه أعرض وقال بالطليانية Aspetta - الذى معناها إنتظر فأجبته قائلة قبلنى يا من يدير بين فكّيه لساناً أحلى من الشهد فضلا عن ان لغته الطليانية لهى الرحيق المختوم وأنا أسأل الله أن يجعلنى فى مأمن من نظراته وقد افتتنت بسحر عينيه التي تحاكى عينىّ الغزال »

وفى خلال الاستراحة عقب الخمسة عشر أو العشرين موالا التى أدتها أردت أن أنتهز هذه الفرصة ليكتحل ناظري بمرآها غير أن مارى بك قنصل فرنسا الذى كان معى قال لى ان هذا الامر من وراء الطاقة وإن أقدمت عليه من تلقاء نفسي قد يتأتى منه إثارة حنق مضيفى قطاوي بك وكان غاية ما ارتجيت الظفر به مع شق النفس هو أن أتصفح ساكنة وفرقتها تصفحاً خاطفاً من خصاص الباب ولكن ويا للأسف لم يقع نظرى فى تلك الحجرة إلا على نسوة كن يعاقرن الخمر - العرقي - ولم تكن ساكنة جالسة بينهن فعدت إلى مكاني بخفيّ حنين متأثراً وفوضت أمري إلى الله وجلست بجانب خورشد باشا المولع بشرب « الشوبوك » - ذلك التركي الذي لم يظهر على محياه أي أمارة تأثر من صوت ساكنة - بل كان عابساً لا يستهشه الطرب ولا يأبه لفكاهة مستملحة وأخشى أن أقول ان هذا الجمود يرجع فى الغالب إلى شىء من البلادة وبعد زمن الاستراحة استأنفت ساكنة نشاطها وكانت بفضل تخلُّعها فى الشراب تعمل بجهد جهنمى وتبعث صوتها من حنجرة نحاسية فأخذت تنشد القسم الثاني من غنائها الذي يدل على التغزل بامرأة هى الحسن مجسما والجمال ممثلا . ولعل القارىء الكريم بعد أن يتصفح ما يأتي من عبارات الحب ، ينزع إلى مقالة شارل ديدياي ، وإليكم وصف عاشق لمعشوقته قد ضرَّم الحب أنفاسه وأنحل السهد جسمه

« عندما تسيرين فى الطريق الوحيد الموصل إلى بستانك الناضر وترفعين عن وجهك الحجاب الذى يحجب عن العيون جمالك الفتان لأجل استنشاق الهواء العليل فى الظل يدهش مِنكِ البلابل ويضرب صفحاً عن تغريده الذى به يشكو ألم الجوى وتكفهر لك الوردة – زوجته المعبودة – من الحسد وتغشاها حمرة الخجل بعدما تعلوها صفرة الكمد وينحنى خيزران الساقية بين يديك ساجداً وتبرز الشمس فى ثوب بهائها لتمحضك مودتها وتخاص لك ولاءها فلماذا قلبى لا يشرب حبك بعدما تبين لى ان نظراتك السماوية تأسر الأفئدة وان حديثك ترياق الهموم وان قبلاتك تمتزج بالارواح امتزاج الماء بالراح وان ملاطفاتك لهى إكسير السلوان . ففى حبك العجب العجاب وهو لا يُجارى لا من قبل ولا من بعد »

وإن تكن ساكنة غنت القطعة المتقدم ذكرها بعدما ضربت بالرق حسب عادتها فاننا نعتبر ان المقطوعة التالية هى الجزء المتمم لها ، قال شارل ديدياى ما ترجمته « ان الحورية التى تفترق الأبصار وتعبدها كل النفوس تتوجه نحونا ووجهها مغطي بالحجاب تعففاً ولما كانت على مقربة منا اجتذبت اليها الابصار ورقّت لها القلوب وهى هيفاء القوام تترنّح ترنّح الغصن المائس وتزري بأفنان الخمائل الضافية الظلال . وها هى ترفع الحجاب لنقرأ فى وجهها نسخة الحسن . وكيف لا وقد صاح القوم وقد أخذهم الذهول من حيث لا يشعرون ، وقاموا يتساءلون عن السبب وقالوا أهذا برق سماوى يلمع امام أعيننا ، أم هذه نيران أجَّجَتْها القافلة فى الصحراء وأضاءت ببهجة فى الليل ؟

اسمعوا الآن هذه القطعة الغرامية التى تسربت الينا من لير هوراس أو لير اناكريون على ما يتراآى لنا وهى كما يأتى « إن قدك الأهيف ياقرة عينى أكثر طواعية وليانًا من ساق الزنبقة وقد آن الأوان لنتناسى بين أثناء مسرات الحب ولذاته الزمن الذى يمر بنا بلا انقطاع ، ولا تنحرفى عن إسداء المعروف الى كل سائل وأوسعي له كنف رحمتك لانك تقدرين أن تصدقيني ان قلت لك أن الشبيبة تنقضي وتزول كما يزول المسك الذى تقلته الريح ، وما المرأة إلا كائن فانٍ – شأن كل الاشياء فى هذه الدنيا وليس في مقدور أى أحد أن يجعل مملكة الجمال خالدة »

لا سبيل إلى سرد ما غنته ساكنة طول الليل لانها غنت كثيراً من الأغاني وليس فى وسعى أن أترجمها كلها وإلا لزمنى أن أقضى ليلة كاملة فى الترجمة غير أني أقتصر على ذكر قصيدة مؤثرة ترمز إلى غناء المنفي وإن تكن أطول من الأغاني السابقة ، وهي كما يأتي

« يا عقلي يا روحي ! أنت تذهب فى أسرع من لمع البرق ومن ريح الصحراء أنت تذهب صوب الوادى وإن الحمامة الزرقاء التى تجتاز سماء بغداد الصافية مارة فوق بساتين الخليفة الزاهرة أصابها فى أثناء طيرانها سهم من يد صياد خائن . وقد نزل بها جرح أليم فهي تجتهد فى بلوغ العش الشذيّ الرائحة حيث ينتظرها عزيزها لتلفظ فيه آخر نفسها -تلك الأسيرة على الارض الغريبة - فرس نجد الفياح الحزين المنهوك القوى الذى يرنو بمنخريه إلى تنشق هواء الصحراء -ولما تحقق لفوره من روائح الوطن العطرية . كسر قيوده ليطير فى وسط الخَلَوات قاصداً المرج حيث يمرح أترابه والخيام حيث تُعدّ عدة القتال وهكذا يا عقلى أنت تذهب صوب الوادي حيث تركت حبيبتى وصوب خيام آبائنا حيث يجلس زعماء القبيلة فى ظل النخيل المصياف وهم فيما أظن ينتظرون قدومى لأقص عليهم مغازى عنترة الحربية الخطيرة أو أتبعهم إذا لزم الامر الى ساحة الوغى . أنت تذهب ياعقلى و ياروحى وها انى مضطجع على عتبة الدار الغريبة وعيناى شاخصتان نحو السمآء الذى أريد أن أجتازه طلباً لبلوغ المكان الذي تقصدين اليه .

لكنّ ساكنة أبت ألا تبث فى السامعين روح المرح والانشراح بعدما تأثروا من غناء المنفي الحزين وسرعان ماغنت دور انتصار الحب السعيد وهو كما يأتي :

هي رشيقة القد فاترة اللحظ لا تفتح العين على أتم منها حسناً وطفاء الاهداب وهي من غير شك حورية من حور الجنان أتت لتبحث عنى فى المغرب وفوق خديها ألف وردة فكيف لا أخطب ودها ولا يشرب قلبى حبها . فياله من جمال يستعبد القلب والنظر الخ . ثم استطرد شارل ديدياى وقال : وعن إعجاب الحاضرين بغنائها فحدث ولا حرج ، أما ما كان من أمرى فاني أصرح بأن غناءها العربى الحاد النغمات لم يرقنى فى بادىء الامر ولكنهُ أخذ رويداً رويداً يدخل أُذنيّ بسهولة وبكل ارتياح وقد استنتجت من حركات الموسيقى العربية المتهيجة ومن نغماتها البطيئة المملة بعد إدمان سماعها طول الليل نوعا من الاطراب الذى لايوصف وقد أثارت فيّ جاذبية متزايدة

نعم ان موسيقانا الاوربية المبنية على العلم بلغت مبلغها من الاتقان ولكنى شعرت بسحر الموسيقى العربية الأولية وتأثيرها فى سمعى والمسئلة مسئلة تعود سماعها ، وأؤكد للقارىء انى كنت مضطجعاً فوق الديوان ورأسى مائلة الى المخدة وعيناى مغمضتان ومرهفاً أُذنيّ لاستراق السمع ، فكان يتمثل فى نفسى اني غارق فى بحر هذه الأنغام الساحرة الجديدة لديّ بدون أن أفكر فى ما أثارته فيّ من تأثيرات جديدة

المغفور له اسماعيل صبرى باشا

وُلد اسماعيل صبري باشا بمدينة القاهرة فى ١٨ شعبان سنة ١٢٧ هـ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٨٥٤ وتلقى الدروس الثانوية فى المدارس المصرية ونال شهادة الليسانس فى الحقوق من كلية مدينة إكس (فرنسا) فى ٢ مايو سنة ١٨٧٨ وأنعم عليه بالنياشين الآتية المجيدى من الدرجة الثالثة (١٨٩١) وبرتبة الميرميران (١٨٩٥) والمجيدى من الدرجة الثانية (١٨٩٥) والعثماني من الدرجة الثانية (١٩) ، وتُوفي القاهرة فى ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ ودُفن بمدفنه بالامام الشافعى



المغفور له اسماعيل صبرى باشا

شغل صاحب الترجمة عدة وظائف فى القضائين الأهلى والمختلط وعين رئيساً بمحكمة الاسكندرية الاهلية فمحافظاً لها وآخراً وكيلا لنظارة الحقانية

من تصفّح تاريخ الفقيد وما نظمه من الشعر وجد انه امتاز فيه بسمو الخيال وحب الجمال وخفة الروح ورقة التشبيب وحب الموسيقى ، ولا غرابة فى ذلك لما أن النظم موسيقى الالفاظ وأن الموسيقى نظم الأنغام وهما متحدان اتحاداً كليًا ومحالٌ أن الذى يحب أحدهما يكره الثانى فصلا عن أن شعره لا يخلو من الرغبة فى إصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على ظلم أو دعاء الى التئام أو نهي عن فرقة

ومن بديع ما نظمه فى أربعة أبيات ضمّنها اخلاص النصح للمسلمين والاقباط ودعوتهم الى الوئام والسلام بسبب الفتنة التى نشبت بينهم سنة ١٩١١ ، قال مخاطبًا القبط

خفّفوا من صياحكم ليس فى مصـ ـر لأبناء مصر من أعداء
دينُ عيسى فيكم ودينُ أخيه أحمدٍ يأمراننا بالإخاء
مصرُ أنتم ونحن إذا قا مت بتفريقنا دواعى الشقاء
مصر ملكٌ لنا إذا ما تماسكـ ـنا ، وإلا فمصرُ للغرباء

ومن أشجى ما أنشده فى شكوى الألم قولهُ

يا مقرَّ الغزال قد صح عندى الـ يوم انى اقتحمت منك عرينا
وابني فيك ما أرى من عيونٍ بات يُعزى بها السواد عيونا
ضلوعٍ جاءتك وهى خوالٍ ثم عادت ملأى هوىً وشجونا
ما الذى يبتغى غزالك منى بعد كونى عبداً له أن أكونا
كلما قلتُ قد أبلَّ فؤادى ساورته الذكرى فَجُنَّ جنونا

وقال مخاطباً فؤاده فى أبيات لحَّنها بعض المغنين

أقصر فؤادى فما الذكرى بنافعةٍ ولا بشافعةٍ فى ردّ ما كانا
سلا الفؤاد الذى شاطرته زمناً حمْلَ الصبابة فاخفق وحدك الآنا
ما كان ضرَّك إذ عُلِّقتَ شمس ضحى لو ادَّكرتَ ضحايا العشق أحيانا
هلا أخذت لهذا اليوم أهبته من قبل أن تصبح الاشواق أشجانا
لهفى عليك قضيت العمر مقتحما فى الوصل ناراً وفى الهجران نيرانا

ومن المقطوعات الغنائية المشهورة التى نظمها ولحنها المرحوم محمد عثمان فى عصره ، قوله مع نغم البياتى

قدّك أمير الأغصان من غير مكابر
وورد خدك سلطان على الأزاهر
والحب كله أشجان يا قلب حاذر
والصد ويا الهجران جزا المخاطر
يا قلب أدنت حبيت ورجعت تندم
صبحت تشكى مالقيت لك حد يرحم

صدّقت قولى ورأيت ذل المتيم
ياما نصحتك وبهيت لو كنت تفهم
أعرض لحسنك أوراق واكتب وأدوّن
وابات صريع الاشواق وأحسب وأخمّن
داهجر وصبابة وفراق يا رب هوّن
وارحم قلوب العشاق دا شيء يجنّن

ومن أبدع أغانيه قولهُ مذهب حسينى لمحمد المسلوب

الحلو لما انعطف أخجل جميع الغصون
والخد – آه – ما انقطف ورده بغير العيون
لما بدا لي الحبيب يشبه لبدر التمام
صار الفؤاد فى لهيب فى الحال وهام بالقوام

***

وحين رأى الحبّ فيه زاد والغرام اشتهر
من العذول السفيه عاذر وعني اقتصر

***

حبيت أشوف لي سبب أبنى عليه الكلام
لكن اتميت الطلب بعيد وصعب المرام

***

إرحم ياسيد الملاح مغرم ضناه البعاد
دمعه على الخد ساح من حرّ نار الفؤاد

***

يا اللي ابتليت بالهوى وصرت مغرم أسير
خلّي اصطبارك دوا حتى يهون العسير

***

الحب حاله عجب يلذ فيه العذاب

ذكر الحبيب فيه طرب ودمع عينه شراب

ومن أغانيه مانظمهُ للمرحوم عبده الحمولى

خلّي صدودك وهجرك واطفي لهيبي ووجدي
ساعة وصالك وقربك أغلى من العمر عندي
بصدّي انتم رضيتم وهان عليكم بعادي
وانتم قطعتم ودادي الله يصبّر فؤادي

***

يانرجس الروض مالك سلَّطت لحظك عليّ
اللي كواني جمالك اسكن سببها عِنيّ
حني إديك من دموعي وارسم عليهم أساور
وان كنت خايف عذولي وارخى شعورك ستاير

***

لاجلك هجرني منامي وفيك جفيت كل صاحب
ولاجل قربك ووصالك صاحبت غير الحبايب

ومنها ما يأتي

محبَّك في هنا وسرور صفا له يوم صفيت الدهر
مليت البيت علينا نور سلامات يا شقي البدر
سلامات يامنى الأحباب وأهلاً يا فريد العصر
جعلت العمر نصُّه غياب عن المغرم ونُصُّه هجرْ

ومما يُنسب اليه فى المواليا قولهُ

فى ظل أهداب عيونك ورد خدك آل (١) وحسن يوسف ميراث عنه لوجهك آل (٢)
والشمس ويَّا القمر فى حسنهم لك آل ولو قلت للصبّ قل كل الملاح جندي
ولى الجمال اجمعه من غير مشارك آل (٣)

(١) آل القيلولة (وقت الحر) (٢) آل اى رجَعَ (٣) آل اي اهلّ

وله أيضاً

الوصـل نسَّاني العتاب وكان كتير و بعـد ما شفت العذاب هان العسير
وردّت الروح فى العليل والرب أسـعف بالجميـل
شـجن كتير ونوم قليـل كن لى نصـير

وليس بخافٍ أنه هو الذي قال

طرقتُ الباب حـتى كلَّ متني ولما كلَّ متنى كلَّمتـني
وقالت أيا اسماعيـلُ صـبرا فقلت أيا اسما عِيلَ صبري

ولهُ الأغنيَّة الآتية التى لحَّنها المرحوم ابراهيم القباني على نغم الرصد سار كار

مذهب الفـؤاد مخـلوق لحبَّـك والعيون على شان تراك
والنفـوس تحيـا اقربك والملوك تطلب رضـاك
راعِ ربَّك رقّ قلبك إشف صـبَّك من لمـاك

دور الجمـال مسـوب اشـكالك والقمر محسـوب ضـياك
مين يطول فى الملك وصالك وانت فى باهي عـلاك
مين يـاثالك مين يعادلك مين يليق لك فى سمـاك

وكان اسماعيل صليب العود ديمقراطيَّ الروح يقدّس حرية الرأيوحرية القول وحرية العمل وله فى السياسـة مواقف مشرفة وحسبك حادثة دنشواى المؤلمة ، وقد قامت عنده قيامة الاحزان أسفًا على ضحاياها الأبرار وشهدائها الأحرار ، فنظم قصـيدة عامرة نذكر من آخرها الأبيات الآتية مخاطبًا الخديوي عباس حلمى باشا رحمه الله

وأقلت عثرةَ قريةٍ حكَمَ الهوى فى أهلها وقضى قصآئه أخرق
إن أنَّ فيهـا بائسٌ مما بهِ وأرقٌّ جاوبَهُ هناكَ مطوَّقُ

وآرحمتي لجُنـاتهم ماذا جَنَوا وقضاتهم ما عاقهم أن يتّقوا
ما زال يُقذي كل عين ما رأوا فيها ويؤذى كل سمع ما لَقُوا

وأراد مصطفى كامل أن يخطب الشعب فى الاسكندرية يوم كان اسماعيل محافظاً لها فأوعزت اليه الحكومة أن يمنع هذا الاجتماع خشية إثارة الرأى العـام والاخلال بالأمن ، إلا أنه نبذ أمر الحكومة وراء ظهره ، وأباح لمصطفى أن يلقي خطبته وتحمل أى تبعة تقع عليه ما دام محافظاً وحاكم على الاسكندرية ، وعلى الجملة فاذا رجعنا إلى منثوره وجدنا فيه من التأنق فى الالفاظ والاغراب فى المعانى وتوخّي الصور المجازية وتلوينها بكل صبغة من الخيال ما كان أشد تأثيراً فى النفس وأثبت أثراً فى المدركة بحيث انه لو نُظِمَ لجاء من أعلى طبقات الشعر فضلا عن أن فى سمعه توقيعاً موسيقياً أخاذاً وترجيعاً ساحراً مما يُجزئ عن الشعر وقد شبَّهَ وليام ولسون بأبياته الانكليزية الآتية الغناء بوردة فوق شفاه الحق ونور فى عيون الحكمة

Forget not brother singer that though prose
Can never be too truthful nor too wise,
Song is not truth nor wisdom but rose
Upon truth's lips, the light in wisdom's eyes.

الفن

١ – تعاريف الفن – الفن والطبيعة

الفن – الذى اختلف فى وصفه كبار الفلاسفة وجهابذة أهل النظر – هو اللسان الذى به تعبر الانسانية عن نزعاتها الغير الواعيــة واعتقاداتها الايجابية وهو المظهر الذى يمثل عن طوع عجيب وثبات فائق جميع المدنيات على اختلاف أنواعها و يبين كل حالات نفس الانسان المتتابعة ونحن نورد عدّة تعاريف للفن إيثاراً للفائدة العامة و إليكم البيان

قال إمرسن « ألفن خلق الجمال وهو الطبيعة التى تدخل فى أنابيق الانسان وقال جوته هو الواسطة فى كل مالا يستطيع اللسان أن ينطق وقال لا كوردير هو العنصر الثانى فى حيــاة الشعب وقال السير براون هو كمال الطبيعة وقالت جورج سند الفن هو طلب الحق الاسمى بدون أن يختص بدراية حقيقة إيجابية . وقال ستوفرد بروك هو شكل بديع يبرره حس متهيــج . وقال براونتج هو حب الوداد ونزوة المعرفة والنظر والحس فضلا عن أنه حقيقة الأشياء المطلقة لأجل الحق الــكامل الأوحــد وهو تقليد الطبيعة ومن شأنه الجهاد فى محاكاة أثر إصبع الله وهو غــير محدود وعديم النظير . وقال آخر هو المنهاج الذي يسلكه الخالق توصلاً إلى عمله وقال تولتسوى الفن لغة أخلاقية فاضلة للحياة الانسانية غايتة الاتحاد والمودة بين الناس ونحن ننتهى من هذه التعاريف التي استوعبت أطراف الفن وأحاطت بغرائب إنتاجاته والتى هي حريّة بأن تُكتب على جبهة الدهر ونستميح القــارىء الــكريم فى ذكر وصف جون رسكن لهذا الفن قال هو صنع الروح بواسطة الجسد وعن طريق داخله وصنع المخــلوق الــكامل الدائم الناتج من قلب سريع حساس وشيّق الذى يقوم العقل باتمــامه وتنتهى أخيراً منه الأيدى تحت الرقابة المباشرة لهــذه القوى العظمى »

على أن الفن إذا فحصنا عن غرضه فهو مظهر الجميل و إذا ترسَّمنا وسائله فهو تفسير الطبيعة وهو ينقطع عن الوجود إذا لم يُلتفت فيه إلي الجميل وتنــكرت فى تركيبه معالم مساوقة الطبيعة وأقيستها وهو بنزوعــه الى النبل والطهر والجمال والخُلُق العظيم يصبح فنّاً جميــلا وتشترك فيه يد الرجل ورأسه وقلبه معاً مع العــلم أن الــكامل يصدر عن القلب الذى هو مستودع الاحساسات النبيلة

أما الرأس فهو أدنى مرتبةً من القلب واليد أدنى مرتبةً من القلب والرأس ولا سبيل لأي آلةٍ مخترعةً كانت أو تحت الاختراع أن تحاكي أصابع يد الانسان فى دقة العمل والاحسان ولا يمكن أن يُطلق على أى فن قامت بعمله الآلات الميكانيكية اسم الجميل ولو كان بالغاً فى الأناقة مبلغه .

أما المراكب والسفن والمركبات التى تُصنع بواسطة الآلات والتى يشترك فى إنتاجها رأس الرجل ويده فهى داخلة تحت مسمَّيات « الفنون » ليس غير

على أن الفنّ الجميل الذى ظهر فى عهد فيدياس وازدهر منذ ألفى سنة بعده سيظل الى ما شاء الله حافظاً لنواميسه كلها ومالكاً ناصية التأثير على عقل الانسان مهما اتسع نطاق اختراع الآلات الحِيَلية وضوعفت صنوف المكتشفات الفنية

والمتفنون فريقان فريق يسعى وراء مسرَّة الفن المكسوّ بثوب من لامع الألوان والموَّه بخطوط - طاويا - كشحاً عن تضمينه الصدق . وفريق يجنح الى الصدق أولا ثم ينزل تدريجاً إلى مسرَّة الفن وألوانه وخطوطه

أما الفن الذى يرمى فقط الى المسرة فهو خاص بالأمم المتوحشة الفظَّة الأخلاق الضعيفة الادراك الغليظة الأكباد بخلاف الفن الذى يرجع إلى الصدق فى تمثيل الواقع تمثيلا طبيعياً بلا مواربة ولا خدعة فانه يدل دائماً على خفة الظل والحنوّ وذكاء الفهم والجدّ فى الأمور .

وقد تبين للباحثين أن الذين تصدوا للتخصص بالنوع الثانى من هذا الفن وأبرزوا فى ضمن حدوده ما أوحت إليه ضمائرهم وأملت له وجداناتهم فأولئك هم الذين أُوتوا من محكم الصريمة وبعد النظر والجد فى الحياة الدنيا ما جعل لهم فى تاريخ الفنون مفاخر أثيلة وآثاراً خالدة

ما أجمل الطبيعة وما أبهج مناظرها أليس عجيبا أن يُجزَل للمصورين والموسيقيين الهبات وأن تسافر الناس زرافات ووحداناً من أقاصى المعمور ليشاهدوا فى سائر المعارض صوراً ومنحوتات لعباقرة الفنون وليسمعوا أغاني المطربين ومقطوعات العازفين حال كون الطبيعة تكفينا مؤونة السعى المُضني بما تعرضه كل يوم للناظرين من رائع المناظر وعظمة الصانع وما تُشنِّف به آذانهم من شجي الألحان وساحر الانغام

فاذا أردنا أن نعيش عيشة راضية وجب علينا أن نتصل بالطبيعة إتصالا وثيقاً وهى لا تتوانى أن تجعل الارض التى نمشى فوقها كتاباً لم يدع البدع الكائنات آبدة إلا قيدها فيه ولا معجزة الا

ردَّها اليه . ولنقرأ كتاب الطبيعة هذا لـكى نرى رأى العين العجائب والمعجزات التى يمر عليها أغلب الناس من غير أن يروها ومثَلُهم فى ذلك على ماقاله توماس هنرى هكسلى مثل من يمر فى وسط معرض للفنون الجميلة فيرى صوره مقلوبة على وجوهها ، أى ظهورها الخشبية بمرأى منه ووجوهها صوب الجدران المعلقة عليها ، وأيد رأيه جون رسكن وقال « لا شىء أعظم قدراً وأكبر شأناً تستطيع النفس البشرية أن تعمله من أن ترى شيئاً ما إذ أن المئين من البشر يستطيعون أن يتكلموا عن شخص يكون دأبه التفكير إلا أن ألوفا تستطيع أن تفكر فى واحد آخر يقدر أن يرى (وهذا هو بيت القصيد) فيكون إذن التأمل شعراً وديناً ونبوءة مجتمعة كلها فى واحد . »

لا جرم ان مفتاح الانسان تفكيره ، وان العين تنشط لعمل الروح وتُمثّل الحقيقة والواقع بخلاف اللسان ، الذى كثيراً ما يخدع الانسان ويعطي اللئيمُ الانسان من طرفه حلاوة ويروغ منه كما يروغ الثعلب .

أن يكون للانسان عينان ليس معناه انه ينظر بهما الى الشيء ومن الجائز ان يكون حائزاً لأداة البصر ويكون غير قادر على اجتلاء ذلك الشيء على انه كثيراً ما تقتحمنا فى الحياة كؤوس مُترعة سعادة وبهجة ونحن عنها غافلون دون أن تذوق سفاهنا عذوبتها لا لسبب سوى غشاوة أبصارنا وظلام بصائرنا ، وأغرب من ذلك اننا نحترم التأمل الواجب إتّباعهُ فى كل آن ونتجافى عن سبر غور الأمور فنجعل الآخرين يقومون بها ثم نقول اغتباطاً انا أنعمنا النظر فيها وميزنا بين السمين والغث وأفحمنا الخصم

خصّ الله الانسان بالتبصر والتأمل بواسطة القلب والخاطر وكثيراً ما يتأتى بالوحى ومناجاة الضمير على حدّ الانبياء وكبار المفكرين والزعماء الذين يتأملون الأمور مليا ويقلّبونها بطنا لظهر وينظرون الى جمال الكون وعجائب الطبيعة وخيراتها لا بعيون أجسامهم فحسب بل بعيون قلوبهم وعقولهم

ويُشترط على الذين ميزهم الله بين خلقه أن يكونوا على جانب عظيم من التقوى وحر الخلال والطهر وكمال الايمان ليروا ما وراء الحجاب بعيون الفضائل والحكمة .

ولقد وقفنا فى هذه الايام على كلام فى هذا المعنى نشرته إحدى المجلات الانكليزية فأحببنا تعريبه لما فيه من الفائدة قال

يقول وردسورث عن أخته دوروثى انها فتحت عينيه لرؤية الجمال ، وهو لا يعنى انها أزاحت

القناع عن عينيه ليرى شكل الجمال البديع بل أعطته عيونًا غير عينيه وجعلته يرى بعينيها الكون العظيم الذي خلقه الخالق والجمال الفتان الذى كان لها السحر الحلال والذى أثار فى نفسها عوادل المرح والغبطة ، ثم أردف قائلا انها عمدت إلى تعليمه رويداً رويداً الوسائل المؤدية الى رؤية هذا العالم الواسع الممتلىء بجمال السماء ، ولذا نظم بالانكليزية الأبيات الآتية ، التى نوردها بنصها الشائق وهى كما يأتى

She gave me eyes, she gave me ears, and humble cares, and delicate fears:
a heart the fountain of sweet tears. and love, and thought and joy

وإليكم ما ترجمته

قد أعطتنى عيونًا وأعطتنى آذانا وأحذاراً متواضعة ومخاوف لاذة وقلبًا وتفكيراً وسروراً .

وهناك أشياء أخر أطالت بها المجلة ضربنا صفحًا عنها لضيق المقام ، بيّن ان الفن يتولد من الحب وانه كالعلم شائع بين الناس ووطنه العالم وهو غير محدود وقابل لزيادة الترقى ويعدّ انه لا يزال فى المهد مع تقدمه المتواصل عند أهل الغرب ، ومما لاشك فيه انه لا يمكن لنا أن نصل الى النجح فى أعمالنا ما لم نكدّ ونستقصى فيها الذرائع الممكنة ونحب الجمال .

على ان الذين يفتشون عن جمال الطبيعة فانهم يجدونه في أدنى الزهور وفى قطرة زهرة الثلج الطاهرة (نبتة ذات زهرة بيضاء تطلع فى أول الربيع) وفى مشهد غروب الشمس وفى تغريد الطيور فى الغسق وتمايل روابى الحقل وأنين خرير الماء وطنين النحل . الخ الخ.. كم من دروس نافعة تعلمنا الطبيعة بدليل ان الزهور تعلمنا الوداعة والبهاء والشفاعة وتكشف عن أفكار تستبكى العشاق، وان الاشجار التى يخيل الينا انها مقتصرة على تحريك أوراقها تؤلف لنا قوانين آلهية ، وان الطيور تكلمنا عن السماء بتغاريدها الشجية وان البلابل رُسُل السلام والمرح تبشرنا بالحق وان البنفسج الذي اعتاد منذ اجيال ان يخبّئ رأسه بين العوسج والذي نمّت رائحته الزكية على وجوده ضَرب للعالمين مثلاً عالياً فى التواضع وانكار الذات هذا شيء من أشياء وهذه حسنة من حسنات الطبيعة التي اعتادت أن تفاجئنا بعجائبها وعلى الجملة فان الجمال يكتب اسمها فوق وجه الارض طيلة كل أيام السنة بأحرف مختلفة تعبّر عن الحب الخالص وهي تعمل أعمالها الجسيمة بهدوء وسكينة لتكون شافيةً مجلة الانسان ومسكنةً روعهُ ويخيَّل الينا انها تمدّ ذراعيها لتحضنه لمـا انه ولدها العزيز الذي تتبّع خطواته بين الورد والبنفسج وانها تحني اكناف عظمتها إجلالا لهُ وإيثاراً لفائدته الخاصة وتُسبغ عليه آلاءها

فاذا ما إضطلع بعماله بالحق والشجاعة والطهر وكانت أفكاره تحكي عظمتها ترآى لهُ أنهُ احتذب اليه السمآء وجعلها لهُ هيكلاً والشمس مبدأً

ومن غريب ماقالهُ هنري برتون في هرمونية الطبيعة مايأتي

« ألم يكن فقط من محاسن الاتفاق أن يظهر قانون السلالم الموسيقية محتوياً على كل الاشيآء المنظورة والاشيآء الزمية بالمثل بمعنى انه من الواضح أن تكون الهرمونيات البصرية التي هي رمز الجمال مبنية على السبعة الألوان الأولية على حدّ هرمونية الصوت التي ترتكز على طبقات الموسيقى السبع فضلاً عن أن الزمن نفسه فانه يُعطي بضربات مقيسة أليس يدل القانون على ان المنظور والمسموع متصلان اتصالاً وثيقاً وانه من الممكن ان قوانين الهرمونيا التي تسيطر على عالم الصوت تستطيع أن تسيطر أيضا على عالم السكون ويمكن أن تُوجد موسيقى منظورة كما تُوجد موسيقى صوتية ولنتسآءل عن الجمال الذي تعطينا اياه الطبيعة والجواب هو أن جمال الشكل واللون الذي يعجز عن نسخه الفن هو الموسيقى البصرية التي تجاب لعيوننا نفس العذوبة الهرمونيّة التي تجلبها الموسيقى السمعية لآذاننا » ونحن نزيد في ذلك فنقول ان الطبقات السبع للموسيقى الصوتية تشجي الآذان كما تفرح العيون السبعة الالوان في قوس قزح وغير ذلك مما نضرب عنهُ صفحاً

ومن المعلوم ان الطبيعة تقضي أن تخلو نغماتها من نشوز عن السلم الموسيقي الطبيعي وهي لا تعطي ي نغم ناشز صداه مالم تحذف منه ماتنافر وترجعه الى الهرمونيا الكاملة الصحيحة على أساس سلمها الذي تعلو درجاته الواحدة على الاخرى علوًّا متساوياً مما يوافق ويطرب أذواق الشعوب مهما طرأ عليها من مكيّفات وواجهت من تقلبات الدهر

ومما يُستغرب من أمر الطبيعة انها اذا وجدت من بين المتعبدين من كان حديد السمع وقوي روح الحس هيأته لسماع موسيقى العوالم التي تتكون من نغمات الكواكب حينما تسير سيراً مهيباً في مختلف افلاكها حول الشمس حالة كون موسيقانا عاجزة عن محاكاتها مما دعانا الى تسمية خالق السكون عزَّ وجلَّ الموسيقي الأول العظيم

لمحة خاطفة فى الفن البيزنطى والفن العربى

معلوم ان قسطنطين قد أسس مدينة القسطنطينية فوق مكان بيزنس القديمة وجعلها عاصمة مملكة كبيرة بسبب حسن موقعها الجغرافى وبصفة منطقية بدأة تاريخ الامبراطورية البيزنطية (٣٣٠) وقد كان الطابع القوى الذى وسم به اليونان ولايات المملكة الرومانية الشرقية مبعثاً لتكوين شعب من جنس واحد يرتكز فى المملكة الجديدة على مبادىء الحياة والوحدة ويرتبط بعضه بعضاً بروابط العقيدة واللغة والأفكار .

ولما مات تيودور سنة ٣٩٥ انقسم العالم الرومانى الى قسمين وأخذت المملكة الشرقية بادىء بدء جبلتها الأصلية مع تظاهرها عدة أجيال بحفظ الطابع الرومانى وظفرت فعلاً منذ الجيل الرابع بأن تصبح بيزنطية محضة . أمَّا حكومتها فلا سبيل الى وصف ما كانت عليه من الفوضى والشدة فى الأحكام . لكن يقال أنها كانت فى أوائل أمرها خلوة من القوانين والأنظمة إلا أنها ولابد كانت تحت سيطرة الامبراطور الذى استولى فيها على أعنة الأحكام السياسية والدينية معاً مما أدى الى الاضرار بمصلحة المملكة والكنيسة على حد سواء وكان سبباً للمنازعات الدينية والاضطراب داخل القصر ولبثت هذه الامبراطورية متولية الحكم أكثر من ألف سنة (١٤٥٣ - ٣٩٥) تقاوم فى خلالها البربر الآتين من الشمال والهون والآفار والسلاف والبلغار والروس والبتشنيج وتدفع غارة الغزاة من فرس وعرب وأتراك وبفضل مقاومتها وحسن دفاعها وقوتها الحربية طوال مدة الحكم خلَّصت أوربا من البلايا التى كادت تتوالى عليها من كل صوب .

ولا مساحة فان هذه الدولة كانت مَقرًّا لأبهج المدنيات التى عرفها تاريخ الاجيال المتوسطة والتى انتشر حسن صيتها فى جميع الآفاق وقد كانت بيزانس على ماقاله المسيو رامبو للعالم السلافى الشرقي مثلما كانت روما للعالم الغربى الجرمانى وفضلاً عن ذلك فانها بما أُوتى أهليها من دهاء فى تولي أمور الحكم وعظيم عنايتهم بنشر العلوم والفنون والصناعة وترويج التجارة أصبحت المعلمة لجميع شعوب اوربا الشرقية . وحتى الغرب اللاتينى نفسه فانه مدين لها فى كل الامور وعنها أخذ أكثر الامم المعاصرة لها ولا سيما الشرقيون لما كان بينهم وبينها من قرب الجوار وكثرة المخالطة

وعن الفن البيزنطى فحدث ولا حرج فانه كان سائداً طيلة الاجيال المتوسطة لدرجة أن سمت

بطابعه جميع مباني روسيا القديمة (كنيسة القديسة صوفيا في كياف التى بُنيت فى الجيل الحادى عشر) ومبانى جورجيا وارمينيا ولا سيما عرب سوريا واسبانيا والاتراك فانهم اتّسموا بسمته بان استعملوا فى منازل أرباب الغنى والترف منهم الفُسَيفساء على أشكال هندسية بديعة وفى الهياكل وأشباهها وقصور الحكام وغيرها وقد كان أهل الشام وسكان إيطاليا فى الجنوب وفى أواسطها يتخذونها لتبليط الدور الفخيمة فى الجيل العاشر والحادي عشر الى أن ساعت فى جنوب فرنسا والمانيا

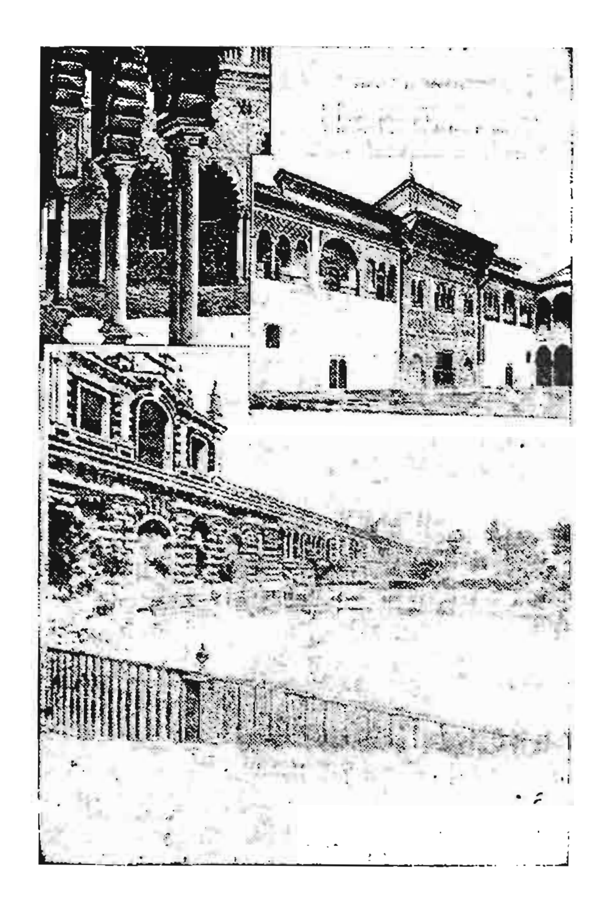
ولا يختلف اثنان فى أن حضارة الاسلام امتدَّت من أطراف آسيا الى أقاصى أفريقيا وقلب أورپا ولسنا ننكر ما كان لهم من عظيم الأثر فى بديع الصنائع وجميل الفنون والفضل يرجع اليهم فى نشر ألوية الحضارة والرقيّ فى البلاد التى افتتحوها . وإذا سلمنا أنهم اقتبسوا العلوم عن كتب اليونان إلا قليلا عن كتب الهند والفرس مع ما أمكنهم اقتباسه من الامم المغلوبة وجب علينا ألا نبخسهم حقهم فى إيضاح مبهمات العلوم التى اقتبسوها وتوسيع مباحثها وأن نعترف بعلو منزلتهم فى تاريخ العمران وما لهم من قَدَمٍ فارعة فى خدمة العلم ورفع مناره حتى أصبحوا قادة الفكر فى الشرق ومعلّمي الغرب .

ومن بديع ماتفننوا به حفر الترع للرى الذى اقتبسوه عن قدماء المصريين والبابليين والذى جعلوه شأنهم فى كل البلاد التى وطأوها إنمآء للزراعة ، كما أخذوا عن السوريين والفرس عدة صناعات قاموا باتقانها وقد تلقوا العلوم والفنون فى مدارس اليونان والفرس ونقلوها فيما بعد إلى بلاد الغرب مسهبة الشروح ومبسوطة المسائل مما أعلى شأنهم فى تاريخ العمران للأجيال المتوسطة .

وغنىّ عن البيان ان المعجم الفرنسى مدين للغة العرب - اللغة الشرقية القديمة العهد فى أوربا - فى عدة ألفاظ اكتسبها عنها (أمثال alcôve, alcool, magasin, etc.) فضلاً عن ألفاظ عربية أخرى أكثر عدداً أخذتها منها لغتا اسبانيا والبرتغال ولا يخفى أن كثيراً من الشعوب الاسلامية كالفرس والترك والهندوستانيين وأهل مالېزيا يستعمل فى الكتابة اللغة العربية

ومن بدائع القصور التى بناها ملوك العرب نذكر الكازار اشبيلية (قصر أشبيلية) بناه العرب فى الجيل الثانى عشر ووسَّعهُ كلٌّ من بطرس الثانى وشارل الخامس وفيليب الثاني وفيليب الثالث وفيليب الخامس وهو وان يكن أقل مرتبة من حمرآء غرناطة بديع الصنع يشهد بمهارة المتفننين من

العرب وسلامة الذوق ويجمع بين النموذج الشرقي والنموذج الجوتي وهو مكوَّن من ثمانية وسبعين طابقاً رئيسياً و يُعدّ أحدها – وهو الاكثر إناقة – لاستقبال السفرآء وفيها من نفائس الآثار القديمة ما يعجز عن وصفه القلم مع العلم بان تلك القصور التى اشترك فى بنآئها ملوك مسيحيون وملوك من العرب قد فاقت في جمالها سائر ما بُنى فى ذاك العصر وقد قيل ان المتوكل أنفق على بنآء قصوره ألف ألف دينار . ومن بدائع وصف البحتري قولهُ فى البركة التى كانت فى حديقة المتوكل



(قصر أشبيلية)

تنصبُّ فيها وفود المـاء معجلةً
كالخيل خارجةً من حبل مجريها
كأنما الفضـة البيضآء سائلةً
من السبائكِ تجرى فى مجاريها

اذا علتها الصبا ابدت لها حُبُكاً — مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس أحيانًا يغازلها — وريّق الغيث أحيانًا يباكيها
اذا النجوم تراءت فى جوانبها — ليلاً حسبت سمآءً رُكِبْت فيها
لا يبلغ السمكُ المحصورُ غايتها — لبعد مابين قاصيها ودانيها
يَعُمْنَ فيها بأوساطٍ مجنَّحةٍ — كالطير تنفض فى جوٍ خوافيها
لهن صحنٌ رحيبٌ فى أسافلها — اذا انحططنَ وبَهْوٌ فى أعاليها
صُورٌ الى صورة الدُلفين يؤنسها — منهُ إنزوآء بعينيه يؤاذيها

وقوله يصف قصراً للمتوكل

فرفعتَ بنياناً كأنَّ منارهُ — أعلام رضوى أو شواهق صيبرِ
أزرى على همم الملوك وغضَّ مِن — بنيان كسرى فى الزمان وقيصرِ

عالٍ على لحظِ العيون كأنما ... ينظرن منهُ الى بياض المشتري
ملأت جوانبهُ الفضاء وعانقت ... شرفاتهُ قطع السحاب الممطرِ
وتسير دِجلةُ تحته ففناؤه ... من لجةٍ غمرٍ وروضٍ أخضرِ

وقولهُ يصف القصر الذى بناه المعتز بالله وقد دعاه الكامل

لما كملت رويةً وعزيمةً ... أعملت رأيك فى ابتناء الكامل
ذُعر الحمام وقد ترنَّم فوقهُ ... من منظرٍ خطرِ المزلّة هائلِ
رُفعت لمخترق الرياح سموكهُ ... وزهت عجائب حسنهِ المتخايلِ
وكأنَّ حيطان الزجاج بجوّهِ ... لججٌ يمجن على جنوب سواحلِ
لبستْ من الذهب الصقيل سقوفُهُ ... نوراً يضيء على الظلام الحافلِ
فترى العيون يجلن فى ذي رونقٍ ... متلهّب العالى أنيق السافلِ
أغنتهُ دجلة اذ تلاحق فيضها ... عن فيض منهمر الرباب الهاطلِ
وتنفّست فيه الصبا فتعطفت ... أشجاره من حُيّلٍ وحواملِ
مشى العذارى الغيد رُحن عشيةً ... ما بين حاليةِ اليدين وعاطلِ

قصر الحمراء (الهمبرا)

من أجمل القصور التى بنتهُ يد الانسان ، قصر الحمراء سُمّي كذلك نسبةً الى الطوب الأحمر الذى بنى به هذا القصر العظيم الواسع وهو قديم العهد و يعتبر على ما أبانه التاريخ قلعة ملوك المغرب فى غرناطة ، ويرجع تاريخ قصور ملوك المغرب الى ثلاثةِ عصور فانه فى العصر الأول بُني قبل الجيل الثالث عشر المبانى الآتية المحراب وفناء الجامع والباب الرئيسى القديم ، وفى العصر الثانى الذي يبدأ فى أوائل الجيل الثالث عشر ،

وحينما أسست أسرة الناذرين بنى بهو الآس ، أما العصر الثالث فقد بُنِى فى خلاله بهو الأسود والحجرات التابعة له أمثال (حجرة المحكمة وحجرة قبيلة ابن سراج بالجيم الشجرية Abencérages) « لفظة اسبنيولية معناها فارس ظريف » - وحجرة الأختين (العروسين) وقاعة لندراكسا البهيجة (الخاصة بالسيدات) ، والعصر المذكور يرمز الى ذروة المجد الذى بلغه الناذرون مدة حكمهم ويبين ما وصل اليه فن العمارة الهندسى لعهد الدولة الاسلامية من عظيم الشان وظاهر الأبهة مدى كل الأزمنة وفى جميع البلاد إلا أن خارجه لا يدل إلا على شكل تنبو عن منظره الأحداق وبالعكس فى أثناء الدخول من باب الحشر فان مابه من متنوع الرسوم البهيجة والزخارف والنقوش العربية والمغالاة فى اقامة التماثيل يملأ العين حسناً ويذهل العقول ، فضلا عن أن بين الأبهاء المشار اليها يوجد خصوصاً بهو ابن سراج حيث كما جرى عليه العرف قتل نفر من الامراء التعساء ، وكذلك بهو الأسود الذى لايقل عن ٣٠ متراً طولا و١٦ متراً فى العرض والذى بُلِّطت أرضه بالرخام الأبيض وهو محاط بايوان مرفوع فوق مئة وثمانية وعشرين عموداً من الرخام الأبيض أيصامع العلم انه يوجد فى وسطه بركة وحوض من المرمر أُقيم على اثنى عشر أسداً من الرخام الأسود كان يتدفق من أفواهها الماء ليُصب فى مجارٍ تتصل بأجزاء القصر ناهيك بالرياض التى تظللها الاشجار والمناظر الرائقة والحجرات الفسيحة والرسوم العربية والنقوش والأوانى الفخار البالغة كمال الاحكام والأناقة والفسيفساء المزينة به الجدران والسقوف المذهبة وقِطَع الزجاج الملوَّن والذى ينظر الى هذه المناظر الخلاَّبة الرائقة يجزم بأن الحمراء مع ما بلغت من الكمال والعظمة تشهد بنبوغ العرب فى الفنون وشغفهم بها .

وعلى الجملة فان بين البناية الهندسية الاسلامية والبناية الرومانية شبهاً ولذلك يظهر ان آثار الفن البيزنطى كان يمثلها قصور الحمراء والالكازار (القصر) بأشبيلية وبعض جوامع قديمة فى مصر وبقايا خرائب (تلمسن) وجامع سيدي بومدين بناحية العبَّاد بالقرب من تلمسن ، ومما لاشك فيه فان هذا الفن كان مقصوراً عند العرب على الرسم أو النحت أو عليهما معاً مع رسم أشكال بديعة للزهور والفواكه فوق المبانى وغصون ملوية وقد جعلوا فوق هذه وتحتها قلائد زهور متدلية حُبًّا للزينة وصافوا اليها زهوراً أنيقة مكتوبة بالاحرف العربية الهجائية على أشكال معوجَّة ، غير انه لم يعرف ان العرب ملكوا فيما بعد ناصية الاختراع وان الهنود أخذوا عن اليونان طريقة التصوير على الاقمشة والأبسطة وذلك قبل فتح الاسكندرية ، وأمعنوا فى رسم حيوانات ضخمة وأشكال بشرية

لانهم لم يكونوا كالعرب مقيدين نزولاً على مانهى عنه القرآن الكريم وقد حذا البطالسة حذو اليونان بان صنعوا فى الاسكندرية اشغالاً يدوية وأقمشة شبيهة بأقمشة الهنود ومما يشهد بسلامة ذوق الفن العربيّ ان رافائيل العبقري الايطالي قام بوضع نماذج من الاشكال العربية فى بعض انتاجاته استحساناً لها وياللاسف فان هذه الرسوم العربية التى لم يتجاور استعمالها القرن السادس عشر أُهملت برمتها فى آخر القرن الثامن عشر حيث اُكتشفت عدة اكتشافات فى بومبي وهركولانوم مكوَّنة من طائفة من الرسوم والمنحوتات الخاصة بالزينة التى شرَّفت قدر العرب وأثارت من جديد اعجاب العالمين بصورهم العربية القديمة الأنيقة وهى تكوّن عنصراً مهماً من نموذج لويس السادس عشر وقد زاولتها الجمهورية والامبراطورية الى ظهور النهضة فى القرون المتوسطة وقد حلَّت محل رسوم الغصون الجوتية وأخذت فى عهد نابوليون الثالث تستعيد مكانها من حسن الصيت وتمشَّت مع نماذج الرسم اليوناني الحديث المُزخرف

ومن الآثار الاسلامية يجدر بنا أن نذكر فى القاهرة جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الازهر . ومن الآثار الايوبية قلعة صلاح الدين وقبَّة الامام الشافعي . ومن آثار دولة المماليك الظاهر بيبرس البندقداري وآثار المنصور قلاوون ، وكفى مصر فخراً بما حازت من كنوز أثرية وفنية تشهد بأنها مهد الحضارة والمدنية ومنبثق أنوار العلوم والفنون ، أيام كان العالَم يتخبَّط فى ديجور الظلام .

(مقابر الخلفاء والجوامع والمآذن الخ)

— —

حماية حقوق المؤلفين

لما كانت الملكية الأدبية والفنية تحيط عناصرها بالانسان احاطة الهالة بالقمر وتتغلغل فى صميمه لما فيها من غذاء للروح والعقل ورفية للنفس وكانت على حد قول « لامارتين » أقدس أنواع الملكية عُنيت الدول المتمدنة بحماية هذه الثروة الفكرية من اعتداء المعتدين وسطو الساطين من لصوص بنات الأفكار ومنتحليّ الشعر ، وكيف لا وقد قتلها الشارعون والكتّاب درساً وبحثاً وتشريعاً وأقاموا حولها حصوناً منيعة لتكون فى كنّ من المخاوف وليتشجع المؤلفون فى أدمان الانتاج وقدح زناد الفكر فى الابتكار والاختراع . ما أحلى الكتب وما أنفعها للانسان وهي التى تساعدنا على نيل السعادة فى الحياة أو تعلمنا طريقة الاستعانة بالصبر على ما ينوبنا فيها لأن كل مافعلته البشرية وفكرت فيه وربحته ووصلت اليه مدوّن فى الكتب مما يرمز الى قيم الرجال ويشير الى تصلعهم من علوم الأدب وتبسطهم فى الفنون الجميلة مصداقاً لما قالته مدام دى سيفينياى « لتكن أنت بنفسك دون غيرك إذ أن خطابك يُوحي اليّ نفسك وليست مكتبتك » ، فاذا عُنيت الحكومة المصرية – وما هى فيما أظن إلا فاعلة باذن الله – بوضع قانون يصون ثمرات عقول المؤلفين التى يتعيشون بها على حد سائر الدول الغربية سلك المؤلفون الى التأليف كل سبيل وامتدّت بذلك شعلة العلم فى جميع الأقطار والأمصار وانقشعت عن البصائر سحب الظلمة والجهالة ولقد صدق قول فولتير « أن مَثَل الكتب مَثَل النار التى فى مواقدنا فاذا أخذها الانسان من موقدة جاره أوقدها فى موقدته ثم سلمها للآخرين لأن النار تخصّ الجميع »

معلومٌ أن الشركة الأدبية الفنية الدولية تناولت بحث مسألة انضمام مصر اليها وذلك فى أثناء انعقاد المؤتمر فى باريس بتاريخ ٢ – ٦ يونيه سنة ١٩٢٥ وقد أدلى مسيو ارنست أيمان أحد أعضائها ورئيس محكمة الاستئناف المختلطة الأسبق بالاسكندرية ببيانه الناصع الذي أوضح فيه أن الامتيازات تتمشى مع انضمام مصر لهذه الشركة بخلاف ما زعمه مدير المكاتب الدولية فى برن وقام بتفسير الكيفية التى بها يمكن صوغ المادة ١٢ من القانون المدنى المختلط تمهيداً لوضع قوانين معدّلة ومتممة للتشريع المختلط لأجل تطبيق القانون على المتمصرين من رعايا الدول ذات الامتيازات والأجانب

والمصريين صيانة لحقوق المؤلفين . وقد وجهت سكرتيرية جمعية الأمم الدعوة رسميا الى الحكومة المصرية لكي تلتحق بالاتحاد وفقاً لاجراءات مكتب برن الدولى ومن المأمول ألا تتأخر مصر عن الانضمام اليه بصفة كونها قائمة على البحر الأبيض المتوسط وأن تشترك فيه على حد سائر البلاد القائمة عليه كمراكش وسوريا وفلسطين وتونس وتعد هذه الأخيرة اولى الدول التى اندمجت فى سلكه . ومما يدعو التنبيه له أن مصر تعنى كل العناية بوضع قانون يحمي حقوق المؤلفين أجانب ووطنيين – وهو مرمى أبصارها منذ زمن بعيد – على شريطة أن تكون موادهُ منسجمة ومتناسقة مع مواد اتفاقية برن الدولية التى يجب على مصر أن تتمسك بها منذ الآن ورد على ذلك أن اتفاقية برن الخاصة بحماية الملكية الأدبية والفنيه المؤرخة فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٦ قد أجريَ تنقيحها فى برلين سنة ٨ ١٩ وأعيد تنقيحها فى روما بتاريخ ٢ يونيه سنه ١٩٢٨

لايخفى أن الاتفاقية الدولية المؤرخة فى سنة ١٨٨٦ أن هى الا نتيجة حركة فكرية نمت واتسع نطاقها في عدة بلاد أوربية وخصوصاً فى فرنسا وبلجيكا وذلك حوالي منتصف الجيل الماضي وكان الغرض منها حماية حقوق المؤلفين والملحنين وبمناسبة هذه الحركة المباركة عُقدت عدة مؤتمرات أدبية وفنية فى بروكسل سنة ١٨٥٨ ومدينة آنفير سنة ١٨٦٩ وأيضاً فى سنة ١٨٧٧ وأخيراً فى باريس سنة ١٨٧٨ وقد قرَّر المؤتمر الأخير إنشاء جمعية أدبية فنية دولية وتعين فكتور هوجو أكبر شعراء الفرنسيس للجيل التاسع عشر رئيساً فخريًا عليها إذا تقرر كل ذلك فلنعد إلى المؤتمر الذي عُقد فى برن سنة ١٨٨٦ ونقول أنه تمَّ الاتفاق على مشروع الاتحاد الدولى الذي يقصد منهُ وضع القواعد والقوانين التى تجري عليها الدول التى وقَّعت على عقد الاتفاقية . ولما كانت هذه الاتفاقية لم تشر إلى توحيد التشريعات الأهلية الخاصة بكل دولة فانه حتم على كل دولة بمفردها أن تقوم بوضع الحماية اللازمة للمؤلفات الأدبية والفنية والاهلية فى البلاد التى هى تابعة لها وقد عُقدت بعد مضي عدة سنين اتفاقية أطلق عليها اسم برن أي اتفاقية برن مبنية على نفس أساس المشروع المشار اليه ومن الدول التى وقّعت على هذه الاتفاقية منذ عُقدت نذكر ألمانيا واستراليا والنمسا وبلجيكا والبرازيل وبلغاريا وكندا والدنمرك ومدينة دانتزك وأسبانيا وأستونيا وفنلندا وفرنسا وبريطانيا العظمى بما فيها مستعمراتها وممتلكاتها وفلسطين الموضوعة تحت الانتداب البريطانى وبلاد اليونان وهايتى وهنغاريا والهند البريطانية وارلندة وايطاليا واليابان وليبريا ولكسمبورج ومراكش ماعدا المنطقة الاسبنيولية وموناكو والنرويج ونيلاندا الجديدة وهولندا وملحقاتها وبولونيا والبرتغال مع

مستعمراتها ورومانيا والسويد وسويسرا وسوريا ولبنان وتشيكوسلوفاكيا وتونس والاتحاد الأفريقي الجنوبي . وقد أنشأت الجمعية الأدبية الفنية الدولية مجلة دورية باللغة الفرنسية تحت اسم « حق المؤلف » (Le Droit d'Auteur) وذلك ابتداءً من سنة ١٨٨٨ وهي تصدر لغاية الآن ومرصدة لنشر الأخبار والمواضيع الخاصة بالملكية الأدبية الفنية وفتحت فى برن مكتباً دولياً ليكون على تمام الاتصال بالدول رغبةً فى تركيز المعلومات الخاصة بحقوق المؤلفين والقيام بدراسة المواضيع التى تكون ذات أهمية لدى الاتحاد .

ولم تقف جهود هذه الجمعية عند هذا الحد بل جاوزته وتابعت المُضي فى بذل الجهود بلا انقطاع طلباً لابلاغ هذه الاتفاقية حد الكمال وذلك بفضل إدخال عدة تنقيحات عليها فى باريس سنة ١٨٩٦ أولاً وفى برلين سنة ١٩٠٨ ثانياً مع العلم بأن اتفاقية برن الأصلية قد أُجري تعديلها وتمّ انسجامها بما أُدخل عليها من مواد مع الاتفاقيتين المقدم ذكرهما ، ومما لامرية فيه وعلى ماجاء بالمجلة المصرية الحديثة أن مسيو بيولا كازيلي كبير المستشارين الملكيين سابقاً أبان فى المحاضرة التى ألقاها سنة ١٩١١ ان حماية القضاء فيما يختص بالحقوق الفكرية غير كافية وأنه يجب وضع نظام تشريعي يكون صالحا للسلطات العمومية وغاية مايقال أنه استأنف فى سنة ١٩١٦ عن طريق المكاتبة بحث هذا الموضوع فى المعهد المصرى وقد وافقته الصحافة المصرية العربية بالاجماع على ما اقترحه وألحت من جانبها على الحكومة المصرية فى طلب وضع قانون لحماية الملكية الأدبية والفنية لأن حوادث النهب والتزييف للمؤلفات الغربية أصبحت متعددة للغاية .

على أنه لا يُنكر أن الاستاذ بوبيكوفر المحامى أمام محكمة الاستئناف المختلطة ومدير جريدة المحاكم المختلطة أبدى ملاحظاته المفيدة فى الجلسة المنعقدة فى ٣ مارس سنة ١٩٢٧ عقب المحاضرة التى ألقاها مسيو لينان دى بلفون وهذه الملاحظات الصادرة عن خبير بصير بمواضع الحق مثله عرك الصعاب التى تعترض تنفيذ قانون حقوق المؤلفين لحريّةٌ بأن يُلتفت اليها ويُعمل بها ، وإليكم بعض ما جاء فيها ملخّصاً أنه عمد فى ذلك الى التصريح بأن يكون هذا التشريع مستوفي الانسجام مع شروط اتفاقية برن الدولية التى ترتبط بها مصر من الآن .

واستطرد قائلا علينا أن نتساءل عن دلائل القانون المنتظر قائلين هل هذه الدلائل تتفق تمام الاتفاق مع اتفاقية برن المنقّحة ، وبعبارة أخرى هل تنضم مصر إلى الاتحاد بدون أن تأخذ أى تحفظ ؟ وهل يكون أنسب لها عند انضمامها اليه أن تتحفظ ببعض الشروط أمام الاتفاقية الأولى أو

أمام العقد الاضافى المؤرخ فى سنة ١٨٩٦ وفى الحالة الايجابية المراد هنا معرفة أى نقط ترتكز هذه التحفظات عليها

وأردف قائلا يهمنا أن نبحث جيداً فيما إذا كانت بعض هذه الشروط الخاصـة بهذا البلد لاتبرر نشر بعض المواد فى القانون المتوقع وضعه لأن هذه المواد قد تظهر لأول وهلة غريبة فى بابها أو غير مفيدة ومما تنبغى مراعاته أن تعرض هذه الشروط على الجميع والصحافة المصرية معاً تبادلاً للرأى فيها وإنارةً للأذهان .

ومما يجدر ذكره أن معاهدة مونترو تُشير فى الباب السابع إلى أن الحكومة المصرية الملكية عاملة على وضع قانون يكون مبنياً على ضوء حرية الآراء وهى ولا شك مهتمة تماماً بدرس مسـألة انضمام مصر إلى اتفاقيات برن وباريس ومدريد .

ومما لاشك فيه ان مصر لايُوجد فيها الى وقتنا هذا قانون خاص بحماية الملكية الأدبية والفنية الا أن مشروع قانون حماية الملكية الصناعية قد أُجرِىَ تقديمه الى مجلسىّ الشيوخ والنواب وتمّ قبوله ثم عرض على الجمعية التشريعية لمحكمة الاستئناف المختلطة .

معلومٌ أن القضاء المختلط قائم بحماية حقوق التأليف الناتجةمن التمثيل المسرحى أو من عزف القِطَع الموسيقية فى المحلات العامة وذلك منذ زمن بعيد وسندهُ فى ذلك المادة ١١ الخاصة بمبدأ العدالة والقانون الطبيعي فى القانون المدنى. وحيث ان معاهدة مونترو لم تقم بالغاء هذه المادة يُؤمل أن يظل القضاء المختلط متمسكا بهذا الحكم الى أن يقوم التشريع المصرى بتنظيم هذه النقط المختلفة تفادياً من الاضطراب واستقراراً لقانون حماية الملكية الأدبية والفنية ، ولا يخفى أن المادة ١٢ من القانون المدنى الاهلى تشير منذ سنة ١٨٨٣ الى قانون خاص يكون من شأنه تنظيم شؤون الملكية الأدبية والفنية وهو لم يصدر بعد .

ومن بواعث البهجة والانشراح أن نرى جمعية المؤلفين والملحنين والناشرين الموسيقى الكائن مركزها العام فى باريس والتى لا تمثّل مصالح أعضائها كالمؤلفين والملحنين وناشرى الكتب الموسيقية فرنسيين وأجانب المسجلة أسماؤهم بالشركة الفرنسية فحسب ، بل مصالح جميع أعضاء الشركات الأخرى التابعة للجمعية الدولية التى تعاقدت على تمثيلها بالقطر المصرى

على ان البلاد التى تقوم هذه الشركة بالدفاع عن حقوقها هى كالآتى ألمانيا . أرجنتين . بلجيكا البرازيل . كوبا . الدانمرك . اسبانيا . استونيا . الولايات المتحدة . فنلاندا . فرنسا . ومستعمراتهـا .

مراكش . سوريا لبنان . تونس . بريطانيا العظمى ومستعمراتها وممتلكاتها . هونجاريا . ايطاليا . اليابان . النرويج . هولاندا بولونيا . البرتغال . رومانيـا . السويد . تشيكوسلوفاكيا . براجواى يوغوسلافيا .

على أننا وأيم الله لفخورون أن نذكر فى ختام هذه اللمحة ان حضرة القانونى المدقق والكاتب الكبير الاستاذ بشارة عورا الذى لا يألو جهداً فى الاهتمام بحماية الملكية الأدبية والفنية فى القاهرة منذ سنة ١٩١٢ عُين وكيلا لهذه الشركة ، وذلك ابتداء من سنة ١٩٢٥ وهو لا يزال قائماً بأعمالها خير قيام . وهو ولا جرم أول مصرى قام بأعباء هـذه الشركة الشهيرة بما أُوتي من ذكاء الفهم وثاقب الروية و بعيد الهمة وفرط النزاهة فأنا نهنئهُ بما أحرز من الثقة الغاليـة ونتمنى له دوام الترقي وزيادة النجاح ومكتبهُ كائن بشارع دوبريه رقم ٢ بمصر تليفون ٥٥٢٨٤

الاستاذ بشارة حنا عورا

و يسرُّنا أيضاً قبل أن نمسح القلم من هذا الموضوع الخطير أن نشير الى الكتاب الذى وضعه صاحب السعادة الدكتور عبد السلام ذهنى بك المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة ، تحت عنوان « لمحة خاطفة فى حقوق المؤلفين الملكية الأدبية أو الملكية الفكرية »، وقدعالج فيهالموضوع من الناحية القانونية مؤيداً آراءه بالحجج القواطع والبينات المسلمة ومستشهداً بالنصوص القانونية فجاء من أهم ما كتب فى هذا الموضوع

لما التزم فيه من انسجام التراكيب ورائق الديباجة ورشاقة الأساليب شارحا الداء وواصفاً الدواء ، وطلب من رجال القانون أعضاء البرلمان المصرى أن يصدروا القانون المنتظر الخاص بحماية الملكية الأدبية والفنية فنُثني على حضرته أطيب الثناء ونرجو أن ينال مؤلفه مايستحقه من الايثار والاقبال ونضم صوتنا الى صوته راجين صدور القانون بفارغ الصبر مجاراة للدول المتمدنة الغربية ليكون خطوة مباركة فى ابان نهضة مصر العلمية والفنية فى ظل جلالة مليكنا المفدّى الفاروق وليس هـذا الطلب على وزارتنا الجليلة بعزيز

لمناسبة تعيين الأستاذ بشارة عورا وكيلا للشركة المقدم ذكرها نرى لزاما علينا أن نذكر ما حدث فى نفوس أفراد عائلته فى النهضة الأدبية واقبالهم على العلم فنشأ منهم الكتّاب والشعراء والمنشئون مما يدل على الاستعداد الفطرى فى هـذه الأسرة الكريمة تنزع به الى قديما وأن عنصر تلك النفوس النبيلة والأذهان الصافية مازال متسلسلا فى دماء الخلف مستعداً للظهور إذا لقى ما ينبهه . وكيف لا وقد وقفوا وجودهم وموجودهم على خدمة أبناء جنسهم وأنفقوا أيامهم فى ارتضاع أفاويق العلم وقضوا سنيهم بين المحابر والأقلام جاعلين نُصب نواظرهم الذود عن المصالح العامة والحقوق الانسانية .

المغفور له حنا ابراهيم عورا

وممن اشتهر من آل عورا في خدمة العلم ونشر الصحافة وفي حلبة السياسة المغفور له حنا بن ابراهيم بن حنا (والد الاستاذ بشارة المشار اليه والولد سر أبيه) وُلد في عكا بتاريخ ٢٩ يونيه سنة ١٨٣١ وقضى حياته كلها فى خدمة الحكومة العثمانية ، وتقلّب فى ستى المأموريات وتولى في بيروت رئاسة

قلم التحريرات الى أن وصل بجده ونشاطه الى وظيفة مميز لقلم « المكتوبى » وعُين عضواً لقلم المطبوعات والجرائد . ولما تكونت حكومة لبنان بعد حوادث سنة ١٨٦٠ جعله داود باشا كاتباً خاصاً له . ومما يؤثر عنه أنه أول من هيأ المواد لنظام جبل لبنان سنة ١٨٦١ وفقاً لرغائب السكان ومقتضيات الزمان والمكان بناء على أمر داود باشا وقد اشترك مع الأخير فى تنقيحه فؤاد باشا وقد سطّره صاحب الترجمة بخط يده وأُرسل الى القسطنطينية حيث وافقت عليه الدولة العثمانية وسائر الدول الكبرى الموقعة على النظام المذكور وانقطع الى جوار مولاه بتاريخ ٩ أكتوبر سنة ١٩٠٧ وكان حائزاً لرتبة المتمايز والوسام المجيدى وكان يعرف من اللغات لفظاً وكتابةً العربية والتركية واليونانية والفرنسية والايطالية ، ومما أُولع به الاحتفاظ بالكتب القديمة للرجوع اليها وقت الحاجة ، وله كتب عدة نسخها بيده وهى محفوظة فى قماطر آل عورا .



سيكولوجيا الموسيقى

بقلم الدكتور أمير بقطر

مدير كلية التربية بالجامعة الأميريكية بالقاهرة

من أقوال أحد كتاب الانجليز أن تذوق الجمال فى مقدمة الهبات التى أنعمت الطبيعة بها على الانسان . فلو أنها لم تكن محصورة فى عدد قليل من الناس ، لكانت هذه الأرض التى نعيش عليها جنة عدن بعينها ، وكان كل رجل فيها « آدم » ، وكانت كل امرأة « حواء » . وإذا كان تذوق هذا الجمال والاستمتاع يتمثل فى أعلام الطبيعة ، والشعر ، والأدب ، والرقص ، وصنع التماثيل ، وغيرها ، فان الموسيقى فى مقدمة هذه جميعها



(الدكتور أمير بقطر)

والموسيقى لغة العواطف ، والعواطف أكثر الموضوعات تعلقاً بعلم النفس ، وهى أقدم عهداً من العقل ، وأرسخ قدماً منه ، وأقوى صولة . وتحاول المدنية بكل ما أوتيت من وسائل علمية أن تنهض بالعقل وترفع من شأنه ، ولكنها لا تزال تفشل فشلا ذريعاً فى محاولاتها ، ولا تزال العاطفة تتغلب على العقل فى جميع نواحى النشاط الانسانى ، سواء فى الافراد أو فى الجماعات والموسيقى كسائر أنواع الفنون الجميلة قلما تخضع للعقل ، إذ أن جذورها تتصل بالطفولة والفطرة . ومهما بلغ الموسيقى من العمر والعلم والمدنية ، فانه فى الصميم يبقى طفلا ، وفى قرارة نفسه يعيش عيشة فطرية .

وتظهر المواهب الموسيقية فى سن مبكرة بعكس المواهب الشعرية والأدبية ، وذلك لأن هذه الثانية تتطلب من صاحبها أن يتعلم لغة قبل أن يكون شاعراً أو أديباً ، فى حين أن الأولى لا تتطلب شيئاً قبل أن يكون صاحبها موسيقياً ، لأنها لغة العواطف ، وهى لغة يولد بها الطفل

والجمال الفنيّ في الموسيقى نتيجة أشياء ثلاثة ، التكرار القهريّ ، والارتياح والسرور ، وقوة الجاذبية في اللاشعور أو العقل الباطن ، وكلها فطرية في الانسان وسماع الموسيقى لا يتطلب جهداً ولذا يبعد صاحبه عن الحقيقة والحياة الواقعية بآلامها وهمومها ، ويؤدي به إلى عالم الخيال بجماله وأحلامه . والموسيقى كما كان يفهمها بتهوفن ، وتشيكوسكي، وموزارت ، وحي،ورؤيا ، كرؤى الاحلام، وهي كالأدب والشعر يطلق لها العنان من العقل الباطن ، فتنساب كما يساب النبع لا يحول دونها حائل . ووحي الموسيقى كوحي التفكير العلمي والاختراع والكشف عن المجهول ، يتفجر من الأعماق ، بعد أن يقضي هناك فترة « الحصانة »

وقد عبر « فاجنر » عن هذه الظاهرة أحسن تعبير ، إذ قال عند وضعه افتتاحية راينجولت الشهيرة (Rheingold) « لقد استولى عليّ ضرب من النعاس والغيبوبة ، ثم استيقظت جزعاً ، وأحسست كأن أمواجاً تتلاطم على مقربة مني وشعرت كأن موسيقى هذه الافتتاحية كامنة في نفسي ، وكانت لا تجرؤ على التعبير في بادىء الأمر ، ولكنها سرعان ما انفجرت دفعة واحدة . وهنا أيقنت أن هذا التيار الموسيقيّ لم ينحدر إليّ من الخارج ، ولكنه قفز من اللاشعور إلى الشعور (العقل الواعي) » . وهذه الظاهرة شبيهة ببعض الاضطرابات العصبية ، التي يضطر فيها اللاشعور صاحبه بأن يقوم بأعمال خاصة اضطراراً ، كأن يعدّ مصابيح الشارع ، أو أن يغسل يديه مئات المرات بغير مسوّغ .

وكان « شومان » يقول « إنني أتأثر بكل ما يجري حولي من سياسة ، وأدب ، وأصدقاء ، وعداء ، وحسن وقبيح ، وتبدو كل هذه وآثارها في موسيقاي » . وقال « بوانكاريه » ، وهو من أكبر سياسيي فرنسا وفي مقدمة علمائهم ، أن أهم اكتشافاته الرياضية هبطت عليه عرَضَاً كالوحي ، وذلك أنه ما كاد يضع قدمه في إحدى سيارات النقل في باريس ، حتى حضرته الفكرة عفواً ، وكأنها قفزت من قرارة نفسه قفزاً ، بغير سابق تفكير ، ولم تخطر له قبل ذلك ببال

ومن المسائل المهمّة التي أثارها علماء النفس ، فيما يتعلق بالموسيقى ، ظاهرة التكرار ولعل الموسيقى المصرية ، والموسيقى الشرقية عامة ، أبرز ما فيها هذه الظاهرة . ويعجب الغربيون كيف تتحمل آذان المصري مثلا ، هذا التكرار المتواصل المملّ ، الذي تتصف به موسيقاه ولكن علماء النفس لا يعجبون بهذا ، أولا لأنه موجود في كل أنواع الموسيقى في جميع أنحاء العالم على اختلاف شعوبه ، وفي جميع أنواع الحضارات والعصور وثانياً لانه طبيعي في الانسان ، يحبه

ويسعى إليه بفطرته ، وثالثاً لان الأفراد والشعوب كلما كانوا أقرب للفطرة ، زاد ولعهم بهذا التكرار ، واشتدت رغبتهم فيه ، وكلما تحضروا وتثقفوا ، خفت وطأة هذه الرغبة فيهم ، وقل ميلهم إليه ، لبعدهم عن الفطرة . وكلما اقترب الافراد والجماعات من الفطرة ، كانوا أشبه بالاطفال فى غرامهم بالتكرار ، وحبهم لأن تجرى الأشياء على وتيرة واحدة ، وتجرى الألحان على نغم واحد .

والتكرار فى الموسيقى ، كما فى الرسم ، والمعمار ، والرقص ، وسائر الفنون تقريبا ، يعيد لذاكرة الانسان ذكريات الطفولة ، لأنه يذكره بذلك النظم والتوازن (rhythm) الذى كان متعته فى هز المهد فى سن الرضاعة . فليس التكرار إذن من مستلزمات الفن الموسيقى ذاته ، ولكنه وسيلة لاطالة السرور الذاتى . واللذة النرجسية [1] (narcissistic) التى تبقى فى اللاشعور ، وهى من مخلفات الطفولة . ويقول العالم النمساوي الشهير « سيجموندفرويد » انه فى حالات كثيرة من حالات الأمراض العصبية المعروفة باسم القلقية (anxiety neurosis) ، تبدو ظاهرة التكرار عند المريض ، فيعيد اختبارات معينة ويبالغ فى تكرارها ، لانها كانت ذات أهمية خاصة فى ماضيه . ومن المعلوم فى علم النفس الشاذ أن صاحب المرض العصبي ينزع إلى استعادة الطفولة فى حركاته وسكناته .

ومما هو جدير بالذكر أن التنافر (dissonance) فى « الجاز » وما على شاكلته من الموسيقى الشعبية الحديثة ، كتوافق الأنغام (consonance) فى الموسيقى « الكلاسيك » ، إذ فى كل منهما ظاهرة التكرار ، وإن قلت فى الثانيـة وكثرت فى الاولى . ولا يخفى أن العنصر المهم فى موسيقى « الجاز » النظم الفطرى والتوازن (primitive rhythm) وهذا يثير الوجدان كما تثيره الموسيقى « الكلاسيك » و « الرومانتيك » . ففى كل نوع من أنواع الموسيقى نظم وتوازن ، وطرب ورخامة melody وشكل form وتكرار ، قل أو كثر .

وتظهر براعة الموسيقى فى تحريك العقل الباطن ، والموسيقى تمثل أعمق مصادر اللاشعور ، لأنها – كما سبق القول – لا تعوقها اللغة كما فى الشعر ، ولا الصور البصرية كما فى الرسم . وفضلا عن أنها لا تميل عادة إلى تقليد الواقع ، فهى تثير الوجدان بطريق مباشر أكثر من أى فن آخر ، أما عن طريق الخيال فى غالب الأحايين ، او عن طريق الحقيقة وهو النادر . ويصعب تصوير

---

(١) إشارة إلى الميثولوجيا الاغريقيـة الشهيرة ومؤداها ان مَلَكاً رأى شبحه فى الماء فظنه إنسانا وهام به ، فعكف على التردد على الماء وإطالة النظر فيه حتى انتهى به الأمر إلى غرقه . وهناك فى المكان الذى غرق فيـه نَمَت زهرة النرجس المعروفة . وتطلق اللذة النرجسية على الشخص الذى يهيم بنفسه ويتعشقها وبذا يشبه الأطفال .

الارتياح الذي تحسّ به النفس عنـد الاستماع إلى الموسيقى وكل ما يمكن أن يقال فيه انه شبيه بارتياح النفس فى حالة الحب والغرام وتخيلهما فى الصوت والتوقيع. والموسيقيّ عند ما يصنع اللحن إنما يصور عقله الباطن ، إذا كان صادقاً فى تصويره ، غير متصنع . وما يقال فى الموسيقى هنا يقال فى الشعر والأدب والقَصص . مثال ذلك أن ما تقرؤه فى قصة « جان اير » وقصة « وذرنج هايتس» إنما هو صورة لا غش فيهامن شعور مؤلفته « برونتيه » أي عقلها غيرالواعي

ومن أغرب وجوه الشبه بين الموسيقى والأمراض النفسية أو العقلية ، ما يوجد بين بعض الألحان وبين الجنون المعروف باسم manic-depressive ، وهو الذى يتناوب صاحبه الانبساط والانقباض .ومما يذكر عن الموسيقيّ الخالد « روبرت شومان» أن جنونه وموسيقاه كانا متلازمين، فقد انتابه فى مستهلّ مرضه العقلى لون من ألوان الهلوسة السمعية ، مصحوبة بأصوات موسيقية ، تجيش فى رأسه . وتلا ذلك انقباض فىنفسه وانتهاك فيقواه ، ثم انتهى بأوهام ووساوس ، وانزواء وانسحاب من الحياة الاجتماعية ، ثم محاولة الانتحار وبلغ جنونه الذروة سنة ١٨٥٤ م ، عندما رنَّت فى أذنيه هلوسة أوركسترا بكاملها ، سمع فيها أصوات ملائكة وشياطين ، وبذلك ساقه أهلوه إلى مستشفى المجاذيب .

وذكر العالم النفسانيّ الشهير « كرتشمر » إن شومان كان يسمع طنيناً فى رأسه وأذنيه ، ولم يكن ذلك الطنين سوى ألحان موسيقية ملائكية ، تنحدر إليه من شوبرت ، ومندلسون ، فيجلس إلى مكتبه طول النهار ، والقرطاس فى يده ، ليدوّن موسيقاهما ، وهو مستغرق فى لجّة من الخيال وبحر من السعادة

ولمدرسة « فرويد » السيكولوحية نظرية خاصة ورأي خاص في الموسيقى ، قد يعد متطرفاً شاذاً ؛ شأن أكثر آراء « فرويد » وأتباعه . وقد رأينا ألا نتغافل عن ابداء هـذا الرأى ؛ رغم غرابته لما لهذه المدرسة من الذيوع والشهرة العالمية ؛ ونظراً لكثرة محبّذيها واضطراد الزيادة فى عددهم ؛ من أطباء وسيكولوجيين ؛ وأخصائيين ؛ فى الأمراض العقلية والاضطرابات العصبية ؛ وجميع المشتغلين بالطب النفساني فى جميع أنحاء العالم .

ومجمل هـذه النظرية ان محتويات الموسيقى فى الواقع رموز شهوانية لاغش فيها ؛ وان نواتها أحلام اليقظة . وما معنى نظرية العقل الباطن أو اللاشعور ؛ التى سبقت الاشارة اليها ، سوى ان فى الموسيقى إطلاقاً للخيال (fantasy) واستعادة للتعبير « الشهواني » الذي يطلق عليه فرويد

وتلاميذه كلمة libido المشهورة ، وتشير هذه الكلمة الى تلك اللذة القوية الجامحة التى تتكوّن فى الطفل منذ طفولته ، وتكون الدافع القوى على مدى الحياة ، ويقول فرويد ان اكثر محتويات هذه اللذة جنسية ، كما ان محتويات الاحلام فى رأيه كذلك جنسيةً ، ويجد هذه اللذة فى ثدي أمه ، وفى مص اصابعه ، وفى خروج البول والبراز من بدنه ، وفى احتكاك بعض اجزاء جسمه بعضها ببعض . وتتطور هذه اللذة بعد تركّزها فى ذاته ، فتخرج منها الى سواه

وقبل أن يأتي فرويد بهذه النظرية بأكثر من اثنين وعشرين قرناً ، كتب افلاطون فى رسالته Symposium ان الموسيقى علم « الشهوة » أو « الغزل » (erotics) مطبقاً تطبيقاً فى النظم والتوازن ، وفى التوافق (harmony)

وقد ذهب اتباع مدرسة فرويد السيكولوجية الى حد أبعد من ذلك بكثير ، فقالوا ان ارتياح النفس للموسيقى ، وهذا الشعور « النرجسى » وما يتمثل فى اللحن الموسيقيّ من طرب وتوافق ، ونظم وتوازن – كل هذه رمز للعملية الجنسية فى حركاتها التوافقية ، وتدرجها من البطء الى السرعة والشدة فى توازن ونظام ، ثم الانتهاء بانخفاض وبطء وهبوط وهذا يتمثل – ان لم يكن فى الانغام كلها – ففى بعضها التى تبدأ هادئة ، ثم لاتلبث أن تأخذ فى السرعة والتكرار ، ثم تبلغ شدتها ، وأخيراً تأخذ فى البطء والاختفاء . وتتفق الشدة فى الانغام مع ذروة اللذة (orgasm) فى العملية الجنسية . وبهذا يكون الخط البيانى للنغم كالخط البيانى فى الجماع فى أقوى مظاهره . فالبطء فى البداية مقدمة دعابية ، والشدة التكرارية ذروة اللذة ، وما يعقب ذلك ارتخاء وارتياح بعد التوتّر ، قد يحمل صاحبه الى النوم وذلك لان التوافق أو النظم ، والطرب ، ورخامة الصوت فى مجموعها ، تكون ضرباً من ضروب المنوّمات (sporifics) تبعث فى صاحبها ميلا للنعاس وملء الاجفان بلذة الكرى .

وقد روى أحد كبار الموسيقيين انه بعد انتهائه من العملية الجنسية ، وجد نفسه يطنطن عفواً بصـوت منخفض « مارش المأتم » من سمفونيا بتهوفن الثالثة ، إشارة للانقباض والهبوط الذى يستولى على من يقوم بهذه العملية .

أما كون الميل الموسيقيّ وراثياً أو غير وراثي ، فالمتفق عليـه ان اقتفاء الولد أثر أبيه الموسيقي ونبوغه ، يرجع الى كل من التأثر بالبيئة الموسيقية ، والاستعداد للنبوغ كما حدث فى كل من اسرة « باخ » و « ستراوس » حيث ظهرت العبقرية الموسيقية فى اجيال متتالية .

امير بقطر

على هامش الألحان

نظرات عابرة فى الموسيقى الشرقية

بقلم الأب الفونس الصباغ المخلصى – نقلا عن مجلة الرسالة المخلصية

الموسيقى هى فرع من فروع الفنون الجميلة وموضوعها درس الأصوات وكيفية تركيبها ولمّا كانت تنشد أعظم اللذة للسمع فانها تؤثر فى حالة الانسان النفسية وعلى العموم فى ضروب نشاطه كلها ، فهي حيناً لسان حال الفرح ، وحيناً آخر لسان حال الحزن أو الاعياء والواقع ان الموسيقى من أفعل الوسائل للتعبير عن عواطف النفس إذا كانت هذه العواطف عنيفة قوية فلسنا نرى مظاهرة عسكرية دون موسيقى آلية ولا قاعة سينما أو مشهداً فى مسرح دون جوقة موسيقية . تلك حقيقة قديمة كالعالم قد انبعثت مجددة فى أخريات هذه السنين بفضل اختراع اللاسلكي الذى جعل من الراديو أو المذياع ضرورة من ضرورات الحياة اللازمة .

كبار الموسيقيين ليست الموسيقى وقفاً على شعب دون آخر فالأنغام المطربة تلذ سمع كل انسان أياً كان بل ان هذه اللذة قد تكون حيناً مستقلة من أى تهذيب فنى ، هكذا هي أبداً الاغانى التقليدية والشعبية وكنا نود أن نرى فى هذا الحقل الفسيح الذى تجدُّ فيه الشعوب متبارية كما هى حالها فى سائر الحقول كنا نود أن نرى حقاً شعوب شرقنا فى طليعة الرُّقيّ العالمي الى جانب أساتذة الموسيقى الكبار أمثال « موزار » و « بتهوفن » وسواهما . . . وكم كنا نتمنى أن نسجل أسماء مؤلفين من بنى قومنا ليس من شك فى أن شاعراً شعبياً « كشحرور الوادى » ومتفنناً « كعبد الوهاب » يطربانا بما ينبهان فينا ولكن ذلك فن لم يتجاوز حتى الساعة حدودنا ونحن نتمنى أن يقوم بيننا مؤلفون فى الموسيقى نظير « باخ » يتركون آثاراً خالدة لا تكون لذتها وقفاً على مواطنيهم بل تجاوزهم الى شعوب البلاد بأسرها وتظل باقية على مدى الدهر

النهضة الموسيقية فى البلاد العربية فالى متى يظل وطننا العربى الكبير مسترسلا فى سباته العميق ؟ . وإلى متى نترك شعوب الارض الاخرى تجرى طلقاً فى مضمار المدنية وتخلفنا وراءها ؟

وحتى متى يعيش شرقنا العربي منطوياً على نفسه متمنعا لا يندفع مع الحيـاة العصرية ؟ . ولمَ يأبى أصل الحياة الذى يساعده على نموه وخصبه دون أن يفقده شيئاً من تراثه الأدبي والفنيّ ؟

لا تزال الطريق طويلة والعمل لابد شاقّ قبل أن يدرك الشرق العربي المدنيـة العصرية لاحقاً بها ولكنه إن حدّ واتخذ الوسائل المبلغة كمن يضع يده على المحراث تحقق رغائبه في القريب العاجل

تقوم النهضة الموسيقية على شرطين اساسيين الأول أن لا نترك مصـادرنا القوميه اعني ثقافتنا العربية صادفين عنها ، والثاني أن ندرس المؤلفين أو الموسيقيين الأجانب ولا سيما الأساتذة منهم إذ ليس من تقدم في الحياة الفنية كما هي الحال في الحياة الحديثة إلا بادخال عنصر جديد

هاتان النقطتان تلخّصان حياة الشرق العربي في المستقبل ، فوجب والحالة هذه أن يبدأ أولا بجمع الأغاني كلها وتقييدها ، ثم يأتي عهد الابتكار ، ونحن على يقين منذ الآن من أن شرقنا العربي باستطاعته أن يبدع عذب الالحان التى تلذ كل أذن في الشرق وفي مقدورها أن تثبت للمقارنة مع خير إنتاج الغرب .

الغربيّ من اهل الطبقة الوسطى وموقفه من الموسيقى العربية: ان للموسيقى العربية ميزة خاصّـة تجعل الآذان الأقل تعوداً لها تكتشفها بدون جهد ، فرجل الغرب من أهل الطبقة الوسطى حين يجلس الى الراديو ويدير زرّه على موجة القاهرة ، أو تونس ، لا يُعتِّم أن يصيح فوراً « هذا غناء عربي » ، ولقد يكون شعوره لأول وهلة شعور استغراب إذ يبدو لهُ الغناء العربي رتيباً غير متنوّع ولا طابع ذا سمة خاصـة يميّزهُ ويتكامل اللحن في العادة سائراً بطيئاً وهو قليل التنوع والغربي من هذه الطبقة المذكورة يُفاجأ بدهش ان لم نقل بنفور عند سماعه هذا الغناء العربي الشاكي الحزين . هذا الطابع البادي جلياً في استعمال العرب الكثير لما يسمّى « الدور الخفيف » أو بالفرنسـية (Le Mode Mineur) وهذا الطابع يبرز بوضوح أتمّ في بعض الطبقات اذ تجد خمساً أو أربعة أخماس من المقامة (ton) تعبّر تعبيراً محسوساً عن اللاوعة القلبية

ولإثبات صحة ماتقدّم نسوق وصفاً مقتضباً للسائحة الفرنسية المعروفة « لوسي دلاري مردروس » (Lucie-Dlarue Mardrus) في سهرة غناء شهدتها في القاهرة فقالت تصفها في كتابها « العرب » هكذا « يبدو الغناء العربي كأنهُ لافاتحة لهُ ولا خاتمة . وما هو إلا تنهُّد يتحول غناء على التدرج.

حرَّكت المطربة السيدة « وصيلة » شفتيها وحنت رسها ثم اطبقت جفونها كأنما تريد أن تخلو بنفسها . وما إن سمع الحاضرون صوتها حتى صاحوا معجبين آه ! آه ! . أما الأميرة فهتفت « ياحلوة. ومضى السامعون يصيحون بصوت معتدل : الله الله ! » (العرب صفحة ١٧)

رأى المرحومة الآنسة مي فى مستقبل الموسيقى العربية — من المسلَّم به أن الكتَّاب الشرقيين العصريين قلما طرقوا هذا الموضوع والقليلون الذين خاضوا فيه ضاعوا بين التحديد والتحليل وكان ينقصهم كثير من التعابير والمصطلحات الفنيّة وقد اتفق لنا أن طالعنا مقالة لفقيدة الأدب المرحومة «مي» كانت كاملة فى موضوعها ونحن وان كنا على اختلاف معها بالرأي فى تحبيذها اللحن الواحد ورفضها التساوق فى الالحان نورد كلام مراسلة الهلال قالت رحمها الله « يعيرنا الغربيون ان ليس فى الموسيقى العربيه أفكار ولا وصف ولا تصوير ولا تصور ولا اوبرا سبحان الله! وما حاجتنا يا تُرى نحن ذوي الاعصاب الطروبة الذين يشجينا شدو القصب وتنهد

(فقيدة الأدب المرحومة مَيْ)

النهر ونوح الحمام ما حاجتنا الى اشتباك الالحان وضوضائها ؟ نحن نتمنَّى لموسيقانا أن تظل شرقية محضة تعبّر بنغامها العميقة الحزينة عن خفايا القلب الشرقي وحنينه ولوعته وتلمس نفوسنا بترجيعها البسيط فتهتدي فيها الى مستودع العواطف الشجية وينبوع العبرات السخية » (بين الجزر والمد صفحة ١٣١ - ١٣٢) وقالت أيضاً « بين موسيقى الشرق وموسيقى الغرب فرق أساسي فهي فى الغرب علم تُمثِّل فى تأليفها وتوقيعها مأساة الجهاد والكفاح بين العواطف والذكاء أما فى الشرق فكل الموسيقى عذاب وسحر وأنين

هى صوت القلب وخلاصة التعبير الوجيع يتجسم فيها دون غيرها معنى الامتثال اليأس والصبر البرير فتسمعها أبداً منشودة على لحن واحد « ميلودي » وكل إيقاعاتها يجب أن يأتي عن هذه الطريق وليس عن طريق ادخال التساوق « الارمونى » فيها فتساوق الألحان أخص خواص الموسيقى الغربية (بين الجزء والمد صفحة ١٣)

أولية وحدة اللحن — (Primauté du mélodique) من الغبن البيّن أن يجتزأ بهذه المبادىء الاولية لقدر الموسيقى العربية حق قدرها فلا بد اذن من تدريب لمن يريد أن يتذوقها أو يفهمها . ان الغناء العربي وحيد اللحن بطبيعته ومن الغريب أن العرب لا يعرفون التساوق ولا التركيب المتعدد الأصوات فهم لا ينظمون جوقة فى غنائهم غالبا وهم وإن لم يبتكروا تساوق النغم فقد كان فى استطاعتهم أن يستعيروه من الغرب الذى ما زال يستعمله منذ عهد النهضة ولا سبيل إلى شرح هذا الأمر الواقع إلاّ بفهم خُلُق البدوي وروحه المتجافية النزّاعة إلى الاستقلال الآبية كل ضيم وقسر والحقيقة أن من الضلال القول بأن العرب لم يهتدوا إلى التساوق والغناء العربيّ الكامل هو حقّاً الغناء الانسانيّ ترافقهُ الآلات وكثيراً ما يُلاحظ أن المغنّى وهو يرسل النغم من حنجرتهِ خفيفاً رسيقة تطرّد معه الالة الموافقة بايقاع عذب خافت يرتكز على الدرجة الاولى . أو الدرجة الاساسية (tonique) أو الدرجة الخامسة (dominante) من الديوان

وإلى جانب هذا أمر يسترعي الانتباه ويدعو إلى التفكير وهو العنوان الذى أطلقه صفي الدين عبد المؤمن الارماوي من أهل القرن الثالث عشر على أحد مؤلفاته فدعاه

الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية — والحق أن هذا العنوان يثير مسكلة تاريخية معقدة . ذلك لان الفن الموسيقي عند العرب لم يتطوّر متحولاً شطر تساوق النغم إذن فما معنى هذا العنوان ؟ ولكن كم من ضروب الرقّة فى وحدة النغم العربية التى تبدأ نادراً بدرجات منفصلة لا سيما حينما تتمادى الابعاد الموسيقية فيطول مداها كثيراً . ان الغناء العربيّ لا يعرف هذه الصيحات البالغة فى علوّها ولا هذه الهبطات الخاطفة فى فجاءتها التى نسمعها فى أصوات بعض النساء المذيعات من المحطات الاوربية لقد قيل من « باخ » أن كل فنه إنما كان يقوم فى استعماله الدرجات العابرة .

(notes de passage) التى تساعد على جعل القطعة الموسيقية جسماً مركبًا ينبض حيــاة — وليس من شك فى أن التركيب المتصل من أجمل مزايا الغناء الشرقيّ وإلى جانب هذا يجمُل بنــا أن نلاحظ على سبيل التـكميل أن العرب لا يعرفون اهتزاز الصوت في الغنــاء ولاهتزاز الصوت مستهجنوه ومحبذوه وهو على انتشاره ومكانته المرموقة فى بعض الاوساط لا ينزل منزلا طبيعياً عند الانسان بل يحاول أن يتمثل باهتزازات المعدن والاوتار أما الغناء العربى البسيط الأولىّ فلا يعرف من هذا شيئاً

ولا بد لنا من الاشارة إلى أن الغناء العربى تخالطهُ أحيانًا غُنَّة طفيفة وسبب ذلك فيما نظن أن النغم قد يمتــدّ متماديًا فيُضطر الشرقيون والحالة هذه إلى تنفُّس مرافق . وهذا ما يحــدث للرعيان اللبنانين الذين ينفخون فى مزامير قصبهم و يتنفسون فى آن واحد

الخاتمة — نستطيـع القول ممــا مر بنا و رأينا أن الشرق والغرب لا يلتقيان عند أكثر هذه النقاط التي عرضنا لهــا فى هذا البحث . وهذا الاختــلاف ناجم عن فـكرة كل منهــما فى تصوُّر الفنّ الموسيقي

وأما عند الغربي فالفن هو الظفر بالصعوبة والجهد المجدى على كل حال وأما عند الشرقي فهو بعكس ذلك احداث للذة بدون جهد ولا حيلة والأثر ليس هو الذى يبغى إحداثه بل هو الذي يحدث من تلقاء ذاته.هكذا مثلاً عند ما يريدون أن نقدر قطعة موسيقية غربيــة يقولون لنا إن المؤلف أراد أن يعبر عن هذه العاطفة أو تلك أما حين تعرض لنا قطعة موسيقية شرقية فاننا نرى الأمر على عكس ذلك إذ يجب على الاغنية نفسها فى العــادة أن تنبه العاطفــة التى ابتغاها المؤلف . واختلاف النظر هذا بين الشرق والغرب وهو لا يتطاول حتى ينقلب كاملاً شاملاً يجب أن يشجع فى نظرنا ويحفز الفن الموسيقيّ فى البــلاد العربية دافعاً به قُدُماً ونحن نرجو حين تصبح الموسيقى الشرقية معروفة أكثر فأكثر أن تـكون بخمس المقامة أو أربعــة أخماسها مصدراً للتقدمات الجديدة فى تساوق النغم عند أهل الغرب

لدويج فان بتهوفن

١ — تمهيد

بقلم الآنسة : مي

كان رجل يسير ذات مساء بين الخادع والحقول والفصل خريف والشفق يلقي بظلاله على الأرض وكان الرجل كئيباً كآبة المتفوق الفقير الذى فُرض على عبقريته احتمال السفاسف والمذلة والهوان وكان كئيباً كآبة القلب الكبير عاش على غم وحرمان ولم يجد بين بني الانسان روحاً تبادله عواطف الاعزاز والحنان وكان كئيباً لاستسعاره بين دمدمة مجهولة ستدهمه عما قريب .

كدَّهُ التعب والمنازل في الخلاء أشعلت مصابيحها ذات النور المرتعش فقصد الى أقرب تلك المنازل يطلب الراحة قبل استئناف المسير ولحظ أهل الدار نظر الضيف موجهاً الى البيانو المفتوح فدعوه الى التوقيع فيما لو كان له بالفنّ إلمام

جلس الغريب الى البيانو وعزف حتى إذا ما أحكمت أنامله الايقاعات الخاتمة نهض فرأى وجوه القائمين حوله وقد لاحت عليها سماتُ الدهشة والتأثر وأبصر الشفاه منهم متحركة فكاد يدرك ما ينطقون به إلا أنهُ لم يسمع أصواتهم فاستفهم عما يقولون . فردوا عليه يكررون السؤال « كثيراً ما حدثونا عن موسيقيٍّ عظيم اسمه بتهوفن وإن من يعزف مثلما عزفت ويخلق فى أوتار النحاس الروح التى خلقت فذلك لابدّ أن يكون هو بتهوفن أفأنت بتهوفن ؟ »

كانت الشفاه تتحرك والرجل يستجلي فى تلك الوجوه آيات الروعة والخشوع لكنَّ الاصوات المخاطبة لم تصل اليه وكان ثمَّت منشأ إلتياع بتهوفن فى صممهِ لأن التقادير قضت بأن يُختَم على سمعهِ طول الحياة .

٢ — لمعة من ترجمته

هذه النادرة عرَّفتنى باسم بتهوفن فى نشأتي الأولى وعند أول عهدى بالبيانو ولست أدرى أأنا قرأتها (كما كنت أقرأ يومئذ . . .) فى كتاب أم سمعتها فى حديث أو خطاب ؟ . وهل هي

وصلت إليّ فى صيغة رواية أم كواقعة تاريخية أم كفذلكة ابتدعها الوهمُ والتخيل ؟ . إنها شديدة الوقع والتأثير ويؤخذ منها أن الصمم كان مفاجئًا فى حين أنه جاء بالتدريج فظهرت فيه العوارض الأولى سنة ١ ١٨ والموسيقيّ فى سن الثلاثين ينعمُ بنصج فنه وازدهار عبقريته وضياعاً ذهبت حِيَلُ الطب وجهود الاطباء ، فما تمَّ العامان حتى تبلَّغت العلة بذلك السمع الندْس الحديد وضرب الصامخُ بينهُ وبين عالَم الأصوات إلى الأبد

فجيعةٌ فى حياة من تتغذّى عبقريتهُ بالهمسات والنبرات وهى أظهر الكوارث فى حياته الخارجية ، بيد أنه – شأن جميع الافذاذ والمتفوقين فى الشعور والادراك – كان منهل الآلام فى قرارة ضميره وينبوع الحسرات والكروب كان يتفجر له من صميم وجدانه وعن طريق التأثرات والانفعالات النفسية والغموم البكماء اتصل بجوهر الحياة الشاملة وفى محراب اللهفة والأسى راض فنَّه حتى امتلك منهُ الأعنَّة وجنى من غوره ومداه غاية ماتناله المقدرة الانسانية فى أعلى مراتبها وأسنى مجاليها حتى غدا زعيم أركان الموسيقى بين المتقدمين والمتأخرين .

أما ترجمة حياته فتتلخص فيما يلى ذهب بعض المؤرخين إلى أنه وُلد سنة ١٧٧٢ من والدين موسيقيين جوَّالين ، وزعم آخرون انه ابنٌ غير شرعيّ لفريدريك غليوم ملك بروسيا ولكنهم اهتدوا فى النهاية الى حقيقة ترجمته واتفقوا على انه وُلد فى بون فى ١٦ دسمبر سنة ١٧٧٠ وتُوفى فى ڤينا فى ٢٦ مارس سنة ١٨٢٧ ورغم انه قضى أكثر سني حياته فى هذه المدينة وعُرف عنه انه ألماني الجنسية فان عائلته ذات أصل فلاميّ كان أسلافها فى القرن السادس عشر يقطنون القرى المجاورة لمدينة لوڤان ، وهم فى غير سِعة من العيش ولكنهم أهل ذكاء ونشاط يزاولون أعمال الفلاحة والزراعة .

واستوطن أحدهم انڤرس سنة ١٦٥ وتزوج ولده من فتاة بلجيكية فما لبث أن صار من أصحاب الحيثية والوجاهة إلا أن ابنه الذي قُدِّر له أن يكون أبًا لستة أبناء وبنات الموسيقيّ العظيم ثانيهم كان كأكثر مدمني الخمر سيء السيرة والأخلاق كثيف النفس حاداً نَزِقًا بليد الادراك يعيش من الترتيل فى كنيسة البلدة أما زوجته فعلى ضآلة حسبها وحقارة نسبها (لأنها كانت ابنة طاهٍ وأرملة خادم) كانت صالحة فاضلة وهذا الخمول فى نبعة بتهوفن من شأنه أن يذلّ كلّ متغطرس يباهى بأصله ومحتده اذ يريه أنّ العظمة الحقّة ليست حيث هو زاعم وكانت طفولة لُدْويج الصغير مترعةً غمًا وعذابًا وهوانًا وهل ما يوازى تعاسة الولد بين أبويه فى حياة عائلية

شقية سيما اذا لم يقم الوالد بحاجة ابنه المادية ولم ينله نصيبه من المحبة والانعطاف بل يرهقه بتبعة اعالة الأسرة وكلما أبدى الولد كفاية وجهاداً ، زادت فظاظة الأب وكثرت مطالبه

تلك كانت حالة الصغير وقد أبكرت مواهبه الى الظهور فأدهش أساتذته وتنبأ أحدهم بان هذا سيكون « موتسارت » آخر ومنذ بلوغه الثانية عشرة من سنه حل محل أستاذ له في العزف على أرغن الكنيسة وأنشأ يتدرج فى الوظائف الموسيقية وصنع التلحينات لقطعه الأولى من طائفة « السوناتا » التى برز فيها بعدئذ شأنه فى سواها حتى أذن له فى الذهاب الى فينا وهو فى الرابعة عشرة ومعه توصية الى موتسارت الذى كان إذ ذاك فى أوج سهرته ، وهناك فى حضرة الاستاذ وقع قطعته الأولى فقوبلت بفتور فطلب أن يقترح عليه موضوع تلحين يعالجه لساعته فتم له ما أراد وارتجل بنذة ضمنها من التنوع والعاطفة والإحكام ما حمل موتسارت على القول لجماعة من المستمعين « هذا الصبي جدير بالرقابة . انه سيجعل العالم داويا باسمه »

ولم يبخل موتسارت بنصائحه على الفتى ، غير ان الشؤون العائلية فرقت بينهما إذ توفى والد موتسارت واستدعي بتهوفن الى بلدته على وجه السرعة لدنو أجل والدته وبعد قليل أي سنة ١٧٩٢ قضى والده أيضاً ولئن ظل مسؤولا عن إعالة أخويه الباقيين والاعتناء بتعليمهما وتنشئتهما فانه لم يكن له ما يربطه ببلجيكا فهجرها لفينا دون نية فى الرجوع .

وكان يمكث فى عاصمة النمسا يومئذ موسيقي شهير آخر هو يوسف هيدن فتتلمذ عليه بتهوفن جرياً وراء الاتقان والكمال إنما ما استفاده من هاتيك الدروس هو رغبة حارة واندفاع وراء الثورة على الاساليب العتيقة واقتحام فى التجديد والإحداث وعاش كبار القوم من الفنيين والمولعين بالفن منهم الكمنجاتى كروتسر الذي عرفه ببرنادوت سفير فرنسا فنفث هذا فى روعه أن يلحن قطعة من أمهات تلحيناته هى « سمفونيا البطولة التى سيرد ذكرها فى مكانها وهو خلال كل ذلك متابع التلحين والتأليف للبيانو والأرغن والآلات الوترية وكثيراً ماتلتئم الحفلات الموسيقية وتعزف الاوركسترات مصنفات بتهوفن فتصادف ما هى قمينة به من النجاح والاعجاب . ترى بماذا يشتري المرء السعادة والعافية والطمأنينة ؟ . أبالفضل والتضحية والنبوغ والاحسان كما يقولون ؟ لقد جمع كل ذلك فى بتهوفن وتشعع منه ولكنه كان من أشقى بني العالمين وأخذت بوادر تلك العلة القاسية تتسرب الى سمعه ويتفاقم أمرها حتى أوصدت دونه عالم الاصوات وكان يعذبه الفقر والمسئولية والجهاد المتواصل ونكران الجميل ممن كان لهم غوثاً وتراكم عليه الآلام والخيبات حتى زهد فى حياة المدينة وعمد

إلى عُزلة هايلجنتشاد قرب ڤينا وهو فى الثانية والثلاثين وهناك كتب « وصيته » الشهيرة فى صيغة رسالة كانت فى الراجح موجهة إلى أخويه وقد وجدت بين أوراقه بعد وفاته وتاريخها ١٦ اكتوبر سنة ١٨٠٢ وهاك سطوراً من تلك الوصية البالغة فى التأثير والحزن

« اعلموا أنتم الذين ترمونني بالكراهية والمرارة وتجيزون عليّ نعوت التوحس والشكاسة انكم فى هذه التهم أظلم ماتكونون،انكم تجهلون الاسباب الخفية التى تضطرني الى الانفراد والظهور بمظهر الوحشة والنفور ذلك ان قلبي وفكري متعطشان الى الرفق والحنو منذ نعومة أظفاري وبي توقٌ يدفعني دوامًا إلى تخيُّل أشياء عظيمة نبيلة والسعي الى تحقيقها ، ولكني فوق جميع آلامي ومصائبي فُجعت بسمعي فى علَّة لا أرتجي منها الشفاء ولا يزيدها جهل الأطباء إلاّ تفاقمًا وعاما بعد عام أرى آمالي فى تهدُّم وانهيار لقد جئتُ العالم بنفس حارَّةٍ وروح متأججة ومزاج رقيق حسَّاس فصدمتني الاحوال واقتسرتني على أن أسجن نفسي فى العزلة وأن أفني حياتي فى الوحدة والانزواء

« ربَّاه ! إنَّ نظرك من الاعالي يتغلغل إلى مجاهل ضميري وخفاياه وأنت بقلبي عليم ! إنك تدري بان هذا القلب المتفطر لم يخفق قط الا بحبّ بني الانسان وبالرغبة فى الخير والصلاح !.. »

٣ — أفكاره وعواطفه ومعارفه

لم يكن بتهوفن من أهل العلم والادب وذلك راجعٌ الى النقص فى تعليمه الابتدائيّ ولكنهُ كان شديد التعصُّب فى اختيار الروايات التى يقوم بتلحينها حتى لقد رفض مرَّةً خمسين رواية غنائية قبل أن يقرّ قراره على واحدة منها وكان ينتهز الفُرَص للاطلاع على المصنفات النفيسة فى الأدب والشعر والفلسفة ومع أن مكتبتهُ بقيت ناقصة كان مولعًا بالاوديسا لهوميروس ومؤلفات بلطارخ وشكسبير وجوته ويظهر فى تصانيفه الموسيقية انهُ كان ذا عاطفةٍ دينية مشبعة بعيدة الغور وُلد كاثوليكيّ المذهب فمارس الطقوس وتمم واجباتهِ الدينية فى حداثته إلا انهُ تحوَّل عنها بشيوع الآراء الثورية الفرنسوية فى أواخر ذلك القرن فى جميع أنحاء اوربا فتحمس للمذاهب الجديدة وكوَّن لنفسه عقيدة فلسفية مبهمة وتلخَّصت عندهُ فكرة الألوهيَّة فى هذه الجملة المعزوة الى إلاهة مصر إيزيس « أنا كلُّ ما كان وكلُّ ماهو كائنٌ وكلُّ ما سيكون ولن يفلح بشرٌ فى إماطة اللثام عن محيَّاي » . وكانت هذه الجملة محفورةً على لوحة فوق مكتبته واتفق ان أحد معاونيه وقد فرغ من

نسخ التلحين لاحدى الروايات الغنائية ختمها بهذه الكلمة « تمّت بعونه تعالى » فأضاف اليها بتهوفن في الحال « أيها الانسان أعنْ نفسك ! »

ولا شك ان غمومهُ الكثيرة واليأس الذي أحاق بنفسه قد تعاونت والآراء الثورية على ضعضعة إيمانه غير انه عاد بفعل الألم نفسه الى الايمان والامتثال وصفت العاطفة الدينية فى طوره النفسي هذا صفاءً بديعا وانجلت فى تلحيناته الأخيرة حيث جميع الاحواق والانغام تُحدِّث بوجود الله وحقيقة الاخاء الانساني وقد خطَّ على أحد دفاتره هذه الصيحة المؤلمة « الهي عضدي وملجاءِي الوحيد أنت تقرأ فى هاوية نفسي وتعرف ما أكابده من الحسرة والمضض فاصغ إليّ أيها الكائن الذى أحار فى تسميته واستجب الصلاة الحارة المرسلة اليك من أشقى خلائقك وأتعس بني الانسان! »

وكتب على هامش قطعة « كريايسون » من تلحين القداس الغنائي الذى صنفهُ « خرج هذا التلحين من قلبي . ألا فليهتد الى سبيل القلوب ! »

ولا يمكن اكتناه فن بتهوفن دون الوقوف على دخائل فؤاده فهو كان من الأمزجة الحارّة المتلظية المتأهبة لقبول الحماسة والحمية والأريحية وكل انفعال عذب رقيق أو شريف عظيم كما كان شديد القابلية للحب والحنان وهو الحرمان المرير الذي يكل بعواطفه طول حياته فهو فى منزل أبويه لم يذق العطف والهناء على شدة احتياجه اليهما ولم تسنَّ له أن يتزوج لاسباب شتى منها حالته المالية وحدّة طبعه التى ورثها عن والده وثقل سمعه غير أنه كان يحترم نظام الزواج وكان أسفهُ عظيما لأنه حكم عليه أن يعيش منفرداً وحيداً محروما حتى الشيخوخة وحتى الممات

ولقد استولت على قواه عاطفة الحب غير مرّة دون أن يعرف له من عشيقة بل أحب حبا صامتاً جملة نساء منهن ثلاث أو أربع

جازف فاختطبهن لترتدَّ خائبا واختتم سلسلة تلك الانفعالات الملتهبة بحب كلّهُ مودة وحنوّ أبويّ للفتاة الحسناء بتينا برنتانو التى اشتهرت بمراسلتها مع جوته شاعر الالمان

وكل ذلك الحرمان وكل ذلك السعير وكل تلك العواطف الممزقة والاشواق المكتومة وكل تلك الصبابة المجنّحة بجناحيّ الوحشة والاتئناس كل ذلك وجد لهُ منفذاً إلى الفن السحري فنّ الأنغام والألحان وهذا ما تمتاز به موسيقى بتهوفن وليس من أقطاب الفنّ من هو أدنى الى النفوس منهُ

ميدانه القلب الانساني ، انه لا يخرج منه ولا يبتعد عنهُ غير أنه يملكه بحذافيره و يعالج كل ما فيه من عواطف ونزعات وأوجاع وأفراح كل ما فيه من مطاب لا يُوضَّح ومذلَّة لا تُباح فى جوع وعطش وشوق وذكرى يعالج منه العظمة واليأس والرفعة والشجاعة والنُّبل فيعرف كل ما يختلج فيه بالالحان البليغة الساحرة الاخَّاذة الفتانة

هذا شيءٌ عن بتهوفن الذى يحتفي عالَم الفن بمرور مائة عام على وفاته فى ٢٦ مارس الحالي فهو ليس فقط كبير الموسيقيين وأمهرهم عاطفة وأنقاهم وحياً ولكنهُ خصوصاً القلب الكريم المحروم وارث آلام البشر ومصائبهم وتحكُّم الأقدار فيهم الذى تغلب عليها جميعاً وانتصر بمجد العبقرية والابداع

هو بطل الابطال الذى كان أكبر من عصره فبسط من مقدرته أشعة وسيولا ليتحضن الازمنة والاجيال فى أوشحة مسوجة بالعزيف والانشاد

فن بتهوفن وتحليل أعظم تلحيناته

أكتب هذا المقال الثانى من بتهوفن فى العشرة الايام الاوَل من شهر مارس وصحف الغرب توافينا ببرامج الحفلات التى يعدُّها أهل الفن والموسيقى للاحتفاء بذكرى صاحب اليوبيل فى النمسا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وفى سائر أنحاء أوربا وأمريكا وليست القاهرة دون عواصم العالَم اهتماما بهذا اليوبيل فقد أعلن فى الصحف السيارة عن حفلة ستُقام فى دار الاوبرا ، تحت رعاية جلالة الملك للاحتفاء بذكرى بتهوفن مساء ١٣ مارس الجارى تُعزف فيها ألحان مختارة من وضعه ويُخصص دخلها لجمعية الاسعاف العمومية ولا شك أن سترى عاصمتنا حفلات أخرى من هذا القبيل فى الاسبوع الجامع بين أواخر مارس وأوائل ابريل وقوام هذه الحفلات طبعاً موسيقى بتهوفن وقد يُقتصر فى بعض البرامج على طائفة من القِطَع ذات الصلة المعنوية الاساسية فيما بينها فهذه للسوناتا وتلك للسمفونيا وأخرى للتلحينات الحزينة والجنائزية وغيرها للاناشيد الدينية وغيرها لنتف مستخرجة من الروايات الغنائية (أوبرا) الخ لأن فن بتهوفن غنيٌّ بتنوعهِ وتفرُّعهِ غناهُ بطرازه الفاخر ونَفَسه العالي ولم تكن وفرة النتاج والايناع لتغضَّ من جودة الاتقان وطرافة الابتكار بل هو في كل فرع من ذلك الفن وفي كل غصين من الفرع اهتدى الى حِس جديد يعالجه ومعنى مُستحدث يشدوه مع انه لم يكن له من منهل يرتاده

غير هوَّة نفسه ورحبة ماضيه ، هناك يسترق السمع من هاتيك الاصوات السالفة « ياسمها » شوقه بعذوبة الذكرى ويعكف عليها يعالجها ويرعاها حتى ينال منها أقصى الاسرار ومنتهى الغايات ويرسلها بعدُ نغوةً تترنح بمرح الطفولة وسذاجة الغفلة وأُنس العذوبة فانما يوحى في قرارها صوتٌ يحدّث بأنَّ اليوم غير الأمس وبأنَّ الذكرى وبيدة سوق استحال تحقيقهُ في عالم المحسوس فانطلق يستطلع بوادر الرجاء والامكان في علم أسمى واشرف على ان ذلك الانتحاب مهذب مثقفٌ يتسترُ من نفسهِ بنفسهِ لاتشوّههُ المرارة ولا تقلقهُ الحدَّة فاذا تفاجئك منه بغتةً نفحاتٌ وفوراتٌ من الابتهاج والحبور فتحار من أيِ السُّبُل نفذ الوجيب الى الانشاد وطريقة بتهوفن هذه في إغفال جواهُ وهو في أشدّهِ عجيبة الفعل في النفس الموسيقية وكثيراً ماتجلب الدمع الى المآقي

لكل نغمةٍ عنده معنى ولكل نبرةٍ مساحلة واذا هدأت الأوتار وسكنت الآلات فسكوتٌ ملؤهُ عجيج القلوب وحفيف الأسرار واعلان الخفايا . ذلك ان بتهوفن العالم بأصول الفنّ البارع في تخريج الأنغام ونسجها وتفسيرها بخدمة المفكّر في معاني الحوادث وتصريف الأقدار والفتيُّ الذي يلفُّ الحقائق القاسية بدثار من الملاحة والرونق والبهاء والرجل المتوجّع المنفعل بمقتضيات حياتهِ وباعمال البشر والمتحمّس العظيم للموسيقى الذي يرى مزاولتها ضربا من طقوس العبادة وهو الذي عرَّف فنَّهُ التعريف التالي:

« الموسيقى « وحيٌ » يفوق كل علم ويسمو على كل حكمةٍ وهي المقدّمة الوحيدة المجرَّدة من الجسديات والمحسوسات التى تمضي بنا الى ملكوت المعرفة الربانية ذلك الملكوت المحيط بالانسان في حياته هذه التى تمزّقها المقاومة والنزاع والذي لايجهرُ بخفاياهُ ويكشفُ عن كنوزه إلاَّ عن طريق هذا العامل الاثيري الشفَّاف المعروف باسم الموسيقى »

* * *

تصانيف بتهوفن جزيلةٌ وافرة لاتتيسر الاحاطة بها ويتعذَّر إيراد قائمتها بالعربية لعدم وجود هذه التآليف في لغتنا ولانعدام أسماء فنيّة واصطلاحات موافقة لها بالتبع

ولكن يحسن الالماع الى انَّ منها الخصيص بالاوركستره الكبرى التامة اذ تتعاون في التوقيع الآلات الوترية والآلات النحاسية جميعًا ومنها ما هو لفرَق اوركسترة صغيرة أو جزئية يعزف فيها الفريقان من الآلات ومنها ماهو مفردٌ لهذه الآلات أو لتلك وما هو للبيانو أو للارغن . ومنها ماهو الموسيقى الصوتية أي الانشاد مثل « القداس الاحتفالي » الشهير والروايات الغنائية (اوبرا)

والاجواق الوطنية والاناشيد الدينيّة والرثائية ولعل الشائع من هذه الموسيقى الصوتية هو مجموعة الاغانيّ الست والستين الخصيصة بالبيانو والمجموعات الاخرى السبع المفردة للاغاني الاسكتلاندية والانكليزية والايرلندية والفرساوية والايطالية . وجميعها ثلاثية التلاحين أي للانشاد الصوتيّ والتوقيع على البيانو والعزف على الكمنجة الكبيرة (violoncelle) في آن واحد

لابدَّ انَّ نقدة الفنّ في اوربا سيتناولون مؤلفات بتهوفن بالتحليل والبحث فنرى من ذلك فصولاً في الصحف والمجلاَّت خلال الشهور التالية غير انَّ الذين كتبوا عنهُ الى اليوم اتفقوا على انهُ « تطوَّر » فاجتاز ثلاث مراحل كبرى وانهُ أحدث انقلاباً وتجديداً في جميع ماصنَّف فتجلَّى على قمة الابداع في تلحيناته الاخيرة

وأبدع ماصنَّف سمفونياتهُ التسع التي وصفها ڤاجنر (هذا العظيم الآخر الذي يمكن اقتران اسمه باسم بتهوفن) بقوله « ان بتهوفن دوَّن بها تاريخ الموسيقى وأدمج فيها جميع ألحان العالم » والسمفونيا في اصطلاح أهلها قطعة موسيقية من صيغة السوناتا على انها أوفى بياناً وأجمل اكتمالاً وذات نُبَذٍ وأقسام تتفاوت بين الاسراع والتباطؤ لكلٍ منها « رويّ » موسيقيّ خاص . وقد وضعت لتوقيع الاوركستره الكبرى ومع ان سمفونيات بتهوفن تعلن عواطف ومدركات مختلفة فهي كذلك سجلّ لما كان يفكر فيه ويشعر به لدى تدوينها وانشائها

* * *

أما السمفونيا الاولى فعلاقتها باخواتها واهية وليست في أُصول الفنّ والاصطلاح الموسيقي والمضمون الغنائي لتظهر مقدرة مؤلفها

وأما السمفونيا الثانية فعلى النقيض اذ هي تتوهج بحرارة الشباب ونُبل العواطف وتنشر أوهام الرجآ ورؤى الحياة وتجاهر بعقيدة المجد والحبّ والتضحية فكم من استسلام في ثقة وكم من أحكام في ارتباط الانغام وتجاورها وبحقٍّ دُعيت هذه السمفونيا أنشودة الشباب الولهان الحالم المستسلم

وفي انتظام العدد تأتي السمفونيا الثالثة المدعوّة بسمفونيا البطولة وفي حكايتها مايوضح جانباً من خُلُق بتهوفن الابي رغمَ فقرهِ ورغم حاجتهِ فقد باشر هذا التلحين بدعوةٍ من برنادوت يومئذٍ سفير فرنسا في النمسا وتحت وقع اسم نابوليون الذي كان يُكبرهُ الموسيقيّ ويرى فيه ممثل العبقرية الاكبر في ذلك العصر ورجل التفوّق الشخصي والديمقراطية الخالصة فجعل لسمفونيته هذا العنوان

« الى نابوليون بونابرت . . . من لدويج ڤان بتهوفن » وكان بونابرت اذ ذاك قنصلاً أول فى الجمهورية الفرنساوية الجديدة وما حطّ بتهوفن آخر سطر منها فى سنة ١٨٠٤ حتى ذاع الخبر بانّ القائد العظيم قد جلس على عرش الملوك وتُوِّج امبراطوراً على نابوليون وبطولته نتيجة حبه لوطنه وسعيهُ فى سبيل نشر الحرية فى العالم – خاب ظنهُ عنـد تلقي هذا الخبر وحنق على انانية هذا القائد فمزّق عنوان السمفونيا الاول واستبدله بآخر يدلّ على خيبته فى الاعجاب به فدعاها « سمفونيا البطولة للاحتفاء بذكرى رجلٍ عظيم » ولم تنشر الا سنة ١٨٠٦ وهي تمثل فى ألحانها علوآء جميع الغزاة والفاتحين منذ اول نشأتهم الى تغلبهم فى وقائعهم الى ارتقائهم ذروة المجد بعد مرورهم بكل عذابٍ وكل مكائد مهيئة للمتفوقين عجز الخاملين وغرورهم وفيها بذةٌ تستعملُ « كارس » حربي وكأنَّ بها سيدع بتهوفن ذلك الرجـل الذي عزى العالم الى لحده قبل أن ينطوي سراحهُ فى منفاه البعيد بسبعة عشر عاماً . وهى عميقة الحزن مترعة بالغم والحسرات الرائعة الهادئة فلا يخفُّ وقعها الرهيب إلاّ فى النهاية اذ يرتفع البطل بالموت الى سمآء الغبطة الدائمة وقد أهدى السمفونيا الرابعة الى جوليت حيث اراحدى النسآء اللائي أحببنَّ بحرارة فى العواطف وطير فى الخيال فوصف فيها الحب المتراكم على نفسه المفطومة المحرومة ومقدار مايشـعر به من الحلاوة الرضيَّة والسحر الفتَّان   وفى هذه السبيل المتلوية بين مرارة الحرمان ووعود الغرام تصــل الى السمفونيا الخامسة أشهر أخواتها ومن أروعهنَّ جمالاً . وضعها أثر تلقِّيهِ تلك الضربة الظالمة من يد القَدَر ونفيه عن عالم الهمسات والنبرات فقد جثمت نفسهُ عنـدئذ حول وقع القضآ وأخذ يتساءل عن غاية الحياة وسبب الألم ومضى يتوغل من استفهام الى استفهام علَّه يعثر على الجواب . . . ومن ثمَّ الجوّ الروحانى الخفيّ المخيم على تلك الالحان وهو الذى حمـل أهل الباطنية والثيوصوفية فى الغرب على ضمّ تلك القطعة الى موسيقاهم فدعوها « سمفونيا الكارما » والكارما عندهم ضربٌ من القدر (نسحوا معناها كما نسحوا لفظها عن الهندية) تعنى اتصال العلة بالمعلول والنتائج بالاسباب اتصالاً لا يقبل التوسط والانفصال

وقد وصف ڤاجـنر هذا الطور من فنّ بتهوفن بمـا يلى   « صم بتهوفن فتلاشى العالم حيالهُ هو الذى لم يكن يصلهُ بالأرض غـير حاسة السمع فيها كان يعيش بعـد انقطاعه عن كل ما عداها   والا ن عند ما يسير هذا الحالم المأخوذ فى شوارع ڤينا يُحـدق فيما حولهُ بعينيه الكبيرتين . ماذا تراه يبصر من كل ذلك . هو الذى يقطن ضمن جدران نفسه الحافلة بالأحلام والأنغام . أيمكن أن يكون فى العـالَم موسيقيّ بلا سمع ؟ وهل فى وسع إنسان أن يتخيّل رساماً بلا

نظر ومصوراً بلا أصابع ولا يد؟ على تلك الحال ودون أن تقلقهُ الآن جلبة الحياة ها هو ذا متفرغ للانصات إلى ما يدوى و يترنَّم فى صميم ذاكرته مساجلا عالَماً لا يخلقـهُ لهُ أحدٌ عالَم يعيش فى رجل بصُر الموسيقي وسمعه يتحوَّلان الي بصيرة ترى الأشياء من الداخل فيكلمه جوهر البرايا و يناجيه ضمير الوجود ويتكشفُ لهُ صياءُ الجمال الهادىء الآن أصبح يفقه سرّ الغاب والنهر والروض والأثير الأزرق والجماهير المبتهجة وغرام العُشّاق ونشيد الأطيار وسواجع الغيوم وزئير العاصفة ولذاذة الهناء وفى هذا الوقت وفى هذا الصفاء العجيب تنتشر عبقريته فى كل ما يتخيل وتتغلغل فى كل ما يرى فالقوة المولِّدة عندهُ فى أشدّها وجميع آلام الحياة ترتدُّ عنها حسيرة بعد إتيانها وَقوداً لزكوتها . لقد بسط فى هذه السمفونيا الخامسة فكره المكنون وآلامهُ المُبرِّحة وغيظهُ المكظوم وأحلامهُ المتناثرة بانكسار القلب والقنوط الكئيب . قصيدةٌ وجيعةٌ بل مرثاةٌ قبل الموت لرجل يمتحنهُ مقدورٌ عنيدٌ وكل مغامرة فى سبيل الخلاص باطلة . وحياة الرجل تنقضى يوما بعد يوم بين التمرُّد والامتثال إلا أن يدهُ ما فتئتْ مجاهدة وجبهتهُ عالية ووجهه فى مصابه يقابل وجه الشمس . . . ريثما يختم هذه المصنَّفات التى لا مثيل لها بنشيد جبَّار للمجد والانتصار تُكسّر فيه روح الملحن قيودها وتطير سنية متبلجة إلى أجواز النعيم ! » .

* * *

أما السمفونيا السادسة فهي أنشودة الطبيعة . فما غنَّت الاوتار حياتها ولا عزفت الآلات او رتَّلت الحناجر بمثل هذه الأنغام الفصية لامتداح جمال الأشياء والبرايا والموجودات ، بلاغةٌ وأيُّ بلاغة فى تلك الجمل المُشبعة بالتلوين والرونق والرواء . وتلك الصور الناطقة بصدق الحياة ، وذلك النور الرحراح ، وتلك العطور الفائحة من مقاطع الأنغام فى منبسط الآفاق . وذلك السكوت الرضيُّ عند منعطفات الرياض وفى ظل الغصون وذلك المزج الوادع المترامي الأطراف تحت سيول الألحان المصقولة كالمرائى المجلوّة كالاشعة وإذ يتمُّ وصف الطبيعة يأتي الانسانُ رجل الخلاء القوي الجلود المؤمن فتفاجئهُ أهوال العاصفة ويشعر بالرُّعب والوحدة والفزع ثمَّ لا يلبث أن تعود إليه الطمأنينة فينشد نشيد الشكران

والسمفونيا السابعة مهداة الى الالهة الوزن والتناسق والانسجام الرامزة الى الاحتمال والصبر الباسم عند تراكم الأوصاب . انك لتسمع في الاوركسترا شهيقاً وزفيرا وتكاد تلمس العبرات المتناثرة ثم تتجمع الالحان فى أغنيّة حزينة تقبض على القلب بتقابض الغصّةوالحسرة والجوى ، كأنما الانسانية

كبه تقاسي دهقاً ونكالا في تسلقها سبيلا متعرجا شائكا كل خطوة فيه مرحلة عذاب ولكنها لا تفقد الايمان وتظل متطلعة الى الانتصار في النهاية وتمثل طيفه يلمع بعيداً كوميض الرجاء

والسمفونيا الثامنة أنشودة البشاشة والرضا لان بتهوفن يرى ... الرجل الخالص النيّة الصافي الطويـ[ـة] هذا هو استسلم لطمأنينة النفس يظل بشوشا راضيا مهما ... من الحياة ومن الناس . وفي هذ[ا] التلحين كثير من الحلاوة الرائقة والدلال اللطيف حتى لتحاله ...ية ينشدها الأطفال وهم يقطفون الازهار في صباح ربيع بهي وهكذا من أعجوبة إلى أعجوبة ومن تحفة الى تحفة ينتهي بتهوفن الى تصنيفه الفريد الأعظم الذي قال فاجنر على ذكره « ... مس منا غرورا وسذاجة ... يعالج تلحين السمفونيا مع علمنا أن منتهى ذلك أرسله بتهوفن في السمفونيا التاسعة التي هي البحر الفيّاح بهولها وجمالها . وكل ماتلحّنه بعدها فأفأة عيّ أمام تلاطم الريح وهدير الامواج »

هذه السمفونيا التاسعة لها من الاهمية بحيث أفرد لها الناقد الموسيقي «دينيو باروسو» كتابا تاما يزيد على مائتي صفحة . ففي الاوضاع الاصولية وفي بلاغة البيان وعظمة الوحي جميعا ارتفع بتهوفن الى علو شاهق باذخ لم يدانه قط مظهر من أي المظاهر الفنية . وأفرغ فيها من المدركات الروحية ونزعة الانسان الى الاتصال بالله وتعرّف الروح العليا الشاملة حتى ان السامع ليعتريه بحران وينتابه الخوف والوجل كانما هو وقف عند عتبات الغيوب ليطلع على ماوراء هذه الارض من الاسرار الخفية الباهظة ويُخيَّل اليك ان مئات الاصوات والمنشدين والعازفين يتقاطرون جماعات وأفراداً من أقطاب الارض السحيقة ليتلاقوا ويتعاونوا على إرسال نشيد واحد عظيم ، هو نشيد الاطمئنان عند الفزع والثقة حيال الرهبة . لان هذه القطعة الخطيرة نشيد الفرح الشريف العالي ، نشيد الاستئناس بالكائنات المجهولة والاستسلام للارواح النقيّة القادرة .

هذه صورة ضئيلة من بتهوفن الذى لاتجيد تصويره الا مآثره . هو أكبر موسيقي في التاريخ وليس ليعلو عليه أحد وجُلّ مايمكن هو أن يرتفع الى سماه عبقريٌ آخر أو عبقريان اثنان من بعض وجوه فنهما . فهو حقيقٌ بكل حفاوة جدير بكل اكرام وإعجاب . ويحسبه (هيبوليت تاين) الناقد والمؤرخ الفرنسي رابع الاعمدة العظيمة التى تقوم عليها قبّة الفن أما الثلاثة الآخرون فهوميرس اليونانيّ ، وميكلانجلو الطلياني وشكسبير الانكليزي

هذا هو بتهوفن . فلتعزف المعازف ولتنشد الأجواق وليخطب الخطباء وليكتب الكاتبون فشيءٌ من ذلك لن ينتهي اليه صداه عن طريق السمع الانسانيّ أما روحه التى غاصت في تلك الاعماق

البعيدة من الالم الأصم والحرمان الأبكم ثم حلقت بعبقريتها وفنها فى تلك الاجواء العالية فماذا عساها تصنع إذ تشهد مظاهر التكريم والتعظيم ؟

انها تذيب ما تشعر به فى ابتسامة صغيرة بطيئة . . . ابتسامة العبقري الذي خبر الناس والحياة فتألم وتحوّل الى منفى نفسه فأبدع

« ميّ »

انصرافها الى العلم والادب

وُلدت « ميْ » بالناصرة (فلسطين) فى أواخر القرن الماضي وتوفاها الله فى المعادي يوم ١٩ اكتوبر سنة ١٩٤١ واسمها الحقيقي ماري بنت الياس زيادة صاحب جريدة المحروسة واختارت لنفسها اسم « ميْ » الذي اشتهرت به فى عالم الأدب وهي من أشهر أديبات الشرق وكاتبة من أجرى كواتب العرب قريحة وأغزرهن مادة وخطيبة فسيحة الباع تلقت دروسها الابتدائية في مدرسة عين طورة . وجاء بها والداها وهي دون البلوغ الى مصر حيث عكفت على المطالعة والتحصيل والتضلع من مختلف العلوم والفنون وعرفت من اللغات العربية والفرنسية والانكليزية والايطالية والالمانية والاسبانية ومهرت فيهن ولها عدة مؤلفات نذكر منها « باحثة البادية » و « مد وجزر » و « ابتسامات ودموع » وديوان شعر باللغة الفرنسية ولها مقالات نفيسة وأبحاث مستفيضة فى الأدب والاجتماع نشرتها الاهرام والمقتطف والسياسة وغيرها وكانت بجانب ذلك تميل الى فنيّ التصوير والموسيقى وكان يجتمع بعد ظهر الثلاثاء من كل أسبوع في دارها نخبة من الكتّاب والعلماء والشعراء وقادة الفكر من أهل مصر وغيرهم يخوضون فى الحديث والحديث ذو شجون ويتبارون فى مختلف البحوث العلمية والفنية ويغوصون على دقائق المسائل وغوامضها كل هذا جارٍ مجراه و « مي » مالكة عنانهُ توجه المناقشات والاحاديث بلفظها الرشيق وبيانها الناصع وقد نظم المرحوم اسماعيل صبري باشا أبياتاً نفيسة نذكر منها البيتين الآتيين

روحي على بعض دور الحي حائمة   كظامئ الطير اذ يهفو على الماءِ
ان لم امتّع بِمَيّ ناظري غدا   انكرت صحبك يايوم الثلاثاء

غزل المطربين وتشبيبهم

كان اسماعيل بن جامع ملحنا ومن ألحانهِ ما يأتي نقلاً عن كتاب الأغاني

فلو كان لي قلبان عشت بواحدٍ وحاَّمت قلب في هواك يُعذَّبُ

ولكنما حيا بقلبٍ مروَّعٍ فلا العاس يصفو لي ولا الموت يقرب

تعلَّمتُ أسباب الرضا حوف سخطها وعلّمها حبي لها كيف تغضبُ

إستتر ابرهيم بن المهدي عند بعض أهله فوكان نحدمته جارته جميلة فكانت توفّيه حقَّهُ في الخدمة والاعظام فجلَّ مقدارها في نفسهِ الى أن قبَّلَ يوماً يدها فقبلت الارض بين يديه فغنَّاها

يا غزالٌ لي اليه سافعٌ من مقلتيه

والذي أجلك حدّ يهِ فقبَّلت يديه

بابي وجهك ما اكـ ـثَرَ حسَّادي عليه

وغنّى ليلةً محمداً الأمين صوتاً في شعر لأبي نواس وهو

يا كثير النوح في الدمن لاعليها بل على السكن

سنَّة العشَّاق واحدةٌ فاذا احببت فاستكن

ظن بي من كلفت بهِ فهو يخفوبي على الظِنَن

فأمر لهُ بثلاث مئة الف دينار

ومن أحسن أصواته جودةً وصنعةً وقسمةً الصوت الآتي

جدّد الحبُّ بلايا أمرها ليس يسيرا

كبر الحب وقِدَما كان ذا حل صغيرا

ذلَّل الحب رقاباً كان أدناها عسيرا

ليس لي من حبّ إلفي غير حرماني السرورا

ومن مشهور غنائه ما يأتي

هل تطمسون من السماءِ نجومها بأكفّكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالةً من ربّكم جبريل بلّغها النبي فقالها

طرقتك زائرةٌ فحيِّ خيالها زهرآء تخلط بالدلال جمالها

وكان طويس يضرب به المثل فى الهرج فيقول الناس «أهزج من طويس» وكان يعدّ من أكابر العشاق حتى لُقّب بالذائب بدليل نسبة غناء البيت الآتي اليه

قد براني الحب حتى كدت من وجدي أذوب

ومما لاحظناه فى العصر الذهبي لكل من عبده وعثمان والمنيلاوى وعبد الحي وغيرهم أن أوفر نصيب لهم من الإجادة في الغناء يرجع الى وجود الحسان من الجنس اللطيف فى ليالي الافراح والحفلات الغنائية وعن تأثير الموسيقى فيهنّ فحدّث ولا حرج مصداقاً لما قاله (فاجنر) الموسيقيّ من أن الموسيقى انثى وكانت إمرأة

خرج مخارق مرّةً مع بعض أصحابه الى بعض المتنزهات فنظر الى قوس مذهبّة مع أحد من خرج معه فسأله اياها فضنّ بها وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس أرأيتَ ان تغنيت صوتاً فعطفت علينا هذه الظباء أتدفع لى هذه القوس ؟ قال نعم ، فاندفع يغنّي :

ماذا تقول الظباء أفرقةٌ أم لقاء
أم عهدها بسليمى وفى البيان شفاء
مرّت بنا سانحات وقد دنا الإمساء
فما أحارت جوابا وطال فيه العناء

فعطفت الظباء راجعة اليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرقة تنظر اليه مصغية الى صوتهِ فعجب من حضر وناوله الرجل القوس فأخذها وقطع الغناء فعاودت الظباء نفارها ومضت راجعةً

وكان مخارق يهوى جارية لأم جعفر اسمها (بهار) فبلغ ذلك أم جعفر فأقصته ومنعتهُ من المرور ببابها فمرّ ليلةً بدارها فرأى الشمع يزهر فيها فلما صار بمسمعٍ منها ومرآى ، اندفع يغنّي :

إن يمنعوني ممري قرب دارهمِ فسوف أنظر من بُعدٍ الى الدارِ
سيما الهوى شهرت حتى عُرفت بها اني محبٌّ وما فى الحب من عارِ
ماضر جيرانكم والله يصلحهم لولا شقآئي إقبالي وإدباري
لا يقدرون على منعي وإن جهدوا إذا مررتُ وتسليمي باضماري

فسمعت أم جعفر وقالت مخارق والله ردّوه ، فصاحوا به فصعد ، فأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجوارى فغنين ثم ضربن عليه فغنى فكان أول ماغنى :

أغيبُ عنك بودٍ ما يغيّرهُ نأيُ المحل ولا صرفٌ من الزمنِ
فإن أعس فلعل الدهر يجمعنا وإن أمت فقتيل الهم والحَزنِ
قد حسن الله فى عيني ماصنعت حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن

كان الواثق أمير المؤمنين يقول وما غنَّاني مخارق قط إلا قدَّرت انه من قلبي خلق ولا غنَّاني اسحق إلا ظننت انه قد زيد في ملكي ملك آخر

خرج مخارق الى باب الكناسة بمدينة السلام والناس يرتحلون للخروج الى مكة فنظر الى كثرتهم واجتماعهم وازدحامهم وقال لأصحابه قد جاء فى الخبر ان ابن سريج كان يتغنَّى فى أيام الحج والناس بمنى فيستوقفهم بغنائه وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعاً لتعلموا انهُ لم يكن ليفضلني إلا بصنعته دون صوته ثم اندفع يؤذن فاستوقف أولئك الخلق واستلهاهم حتى جعلت المحامل يغشى بعضها بعضاً وهو يتعامى عنها لما خامر قلبه من العجب والفرح

جاء أبو العتاهية يوماً الى باب مخارق فطرقهُ فخرج مخارق اليه فقال أبو العتاهية يا حسان هذا الاقليم ! ويا حكيم أرض بابل ! أصبب فى أذني شيئاً يفرح به قلبي وتنعم به نفسي . فغنَّى مخارق فجعل أبو العتاهية يبكي ثم قال لهُ يا دواء المجانين ! لقد رققت حتى كدت أحسوك فلو كان الغناء طعاماً لكان غناؤك أدماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة


موزار (١٧٥٦ — ١٧٩١)

وأما المطربون الغربيون ، فانهم لا يقلون عن المطربين الشرقيين هياماً بالحسان ، ومن يا ترى لا تستهويه فتنة الجمال ؟ ونحن ذاكرون سيئاً من هذا القبيل عن موزار وروبرت شومان أما موزار فكان قزماً من الأقزام وهو من أصل نمسوي وله فى الموسيقى والتلحين القدم الفارعة كما تشهد بذلك مؤلفاته التي سنذكرها بعد ، وما كاد يبلغ الرابعة من سنيه حتى ألَّف قطعة موسيقية كانت — على ما قرَّره والده — معجزة لقي منها العازفون صعوبة ومشقة . ولما بلغ السادسة من عمره كبرت معزوفاته عواصم أوروبا طرّاً وخلبت

عقول الناس حتى لقبوه على صغر سنه بأستاذ الأساتذة ، وقد كلفت به النساء لا سيما الأميرات وربات الجمال ، وقيل انه بينما كان بقصر شونبرون الامبراطوري في حضرة الامبراطورة ماريا تريزا أقدم على أن ألقى بنفسه فى حضنها وأحاط صدرها بذراعيه وقبَّلها ، ثم أردف قائلاً لها ان ابنتها ماري انطوانيت التي افتتن بسحر عينيها والتي لم ير لها مثيلا يريد أن يتزوج بها ، وسوَّلت له نفسه أن يقبِّل مدام بومبادور ولما رفضت ذلك امتعض منها وقال متغطرساً « مَن هذه التي تأبى أن أقبّلها وهل هي أعظم شأناً من الامبراطورة التي قبَّلتها »



روبرت شومان (١٨١٠ — ١٨٥٦)

أما روبرت شومان فهو ملحّن وعازف على البيانو ولألحانه قيمتها وعذوبتها مع قصرها وكان ولعا بالحسان – شأن أغلب الموسيقيين فى أنحاء العالم – وقال ما يأتي بنصه « الحب لازم لى لزوم الهواء الذي تتنشقه رئتاي وهو يرى انه بدونه لا يجد الى الحياة سبيلا وكتب الى صديقه وهو تلميذ فى رويكو خطاباً يصف له فيه جمال حبيبته قال ليتني كنت ابتسامة فوق ثغرها أو جذلا يتمشى فى عروقها أو أُلهيةً يُتلَهَّى بها حول ساحر عينيها وفاتر جفنيها أو دمعةً تشجي قلباً خلياً وتسيل متقاطرة لأشاطرها العويل والبكاء

ومن غريب أطواره انه هجرها بالرغم من بديع وصفها لما رأى فى مدينة أوكسمبرج آنسة يُقال لها كلارافون كوراد ، ثم تركها وعلق قلبه بفتاة أخرى انكليزية قدَّمت له عند سفره غصناً من السرو لضيق ذات يدها ، وما كاد يعثر وهو مسافر فى القطار على فتاة أخرى يقال لها إرنستين فون فرنكن حتى هجر الفتاة الانكليزية قبل أن يذبل غصن السرو الذي أهدته له وقد لاحظت إرنستين أخيراً انه يميل الى فتاة تدعى كلارا ، وكاد يضرب عن محبتها فأعطته الحرية فى أن يختار لنفسه ما يحلو وقطعت صلتها به ، أما زواجه من كلارا فدونه خرط القتاد بسبب اعتراض والدها عليه ، فاسودَّت الدنيا فى عيني شومان لا سيما عندما رأى ان والدها توعَّده بالقتل ان لم يتراجع عن ابنته وانه أوعز اليها من جهة أخرى استعداده لسوء معاملتها واعتباره إياها لخروجها عن الطاعة غير

مستحقة لأن تكون له ابنة حتى ولو كان على فراش الموت أما كلارا فإنها انقادت لمشورة والدها على شدة تمسكها بأهداب محبة شومان ولكن بفضل مابذله رجال الخير والاكليروس من الجهود ، رجع عن عناده وسمح بالزواج الذي عقد في شهر ستمبر سنة ١٨٤ في كنيسة القرية بالقرب من ليبزيج .



كلارا شومان (١٨١٩ — ١٨٩٦)

وكتبت كلارا فى مذكرتها اليومية انها متمتعة بحياة جميلة وسعيدة يتمناها كل إنسان لنفسه .

اما شومان فكان لسان حاله يقول كما قال الشاعر الذى بلغ ذروة السعادة باكتفائه فى الحياة بالجمال والحب ، ونحن نجتزىء من قصيدته بالابيات التالية

Your love to me is more than all-world-riches and golden store,
Beautiful love, until death shall part It is mine, As you are-My own-sweetheart !

وإليكم ترجمتها

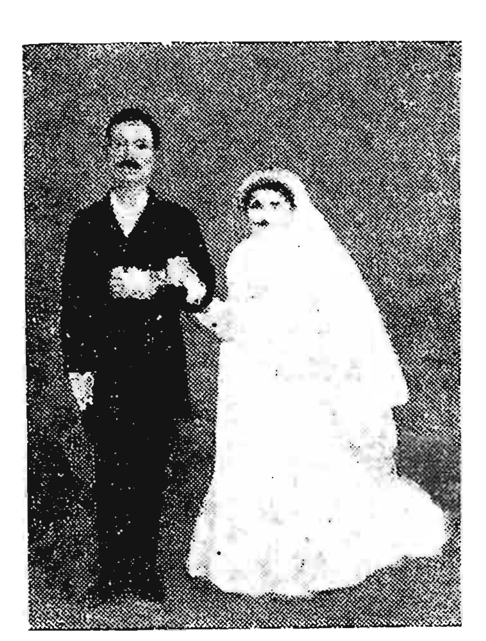
« ان حبك لي لايُعادل بمال العالم وذخائر الذهب ، انه لحبٌ جميل »

« دائم الى أن يحمّ القضاء ، وهو يخصنى كما يخصك يا حبيب قلبي »



الشيخ نجيب الحداد

قد نظم المرحوم الشيخ نجيب بن سليمان الحداد اللبناني البيتين الآتيين تحت رسمه


(الشيخ نجيب الحداد وعروسه)

قد كان لي جسمٌ رسمتُ خيالَهُ
حرصاً عليه قبلَ يومِ زوالهِ
واليوم أوشك أن يزول منَ الضنى
فأنا لكم أهدي خيالَ خيالهِ

وقد بعث الى صديقهِ عبده الحمولى بالقصيدة العامرة الآتية :

تبادر منهُ الدمع فانحل عقدهُ
غريبٌ تصبّاهُ العذيبُ ورندُهُ
كأن لهُ في كل برقٍ سحابةً
تسيلُ ولكن وقعها منهُ خدُّهُ

عليلٌ اذا لاقى الهوا ذكر الهوى — فزاد بكلٍ منهما فيهِ وجدُهُ
يُحمِّل أرواحَ الصبا من سلامهِ — وذلك مَن عاني الصبابةَ جهدُهُ
سقى الله أطلالَ العقيقِ وإن تكنْ — أطالتْ ظمأ قلب تزايد وقدُهُ
بكى غيمُهُ فيهِ بمقلةِ عاشقٍ — على غصنه لما تمايلَ قدُّهُ
ووافتهُ أرواحُ النسيمِ عليلةً — فصحَّ بها ماءُ الغدير ووردُهُ
وفتّحَ فيهِ النرجس الغضُّ طرفَهُ — على وجنات الزهر فاحمرَّ وردُهُ
كأنَّ خريرَ الماءِ في جنباتهِ — أنينُ أخي عشق تطاولَ صدُّهُ
يُسبّحُ فوقَ العود بلبلُها لمَن — براهُ كما غنَّى على العودِ عبدُهُ
أديبٌ اذا ماجس أوتارَ عودهِ — تفاوَح مسكُ اللحن منهُ وندُّهُ
فما طيبُ أرواح الصبا ان شدا الصبا — وما رَصداتُ الكنز إن بان رصدُهُ

اذا ما شدا يُنسى العراق عراقُهُ ويلهو بأرباب النُّهى سهوندُهُ
لكل إمامٍ في البرية مُشبهٌ سواهُ فهذا عندنا عز ندُّهُ
فدع ذكرى سلاَّمٍ ودَع ذكر معبدٍ وخُذْ واحداً يُغني عن الكل فردُهُ
تملَّك اعناق الأغاني ألا ترى الى كفِّهِ في عُنُق عودٍ تشدُّهُ
لئِن كان باسمِ العبد يدعي فإنهُ مليكٌ قلوب الناس بالطوعِ جُنْدُهُ
يُصرِّفها أنى يشاء كأنما بأوتارهِ فيها عِنانٌ يمدُّهُ
حوى من صفات النفس خير خلالها لذلك كانتْ كلُّ نفسٍ تَودُّهُ
وحاز من الاوصاف ما يستجيدُهُ فلم يبق من وصفٍ بها يستجدُّهُ
سمعتُ بهِ حتى ودِدْتُ سماعَهُ فلم يرض حتى نالني منه ودُّهُ
كذلك أخلاقُ الكريمِ فانهُ يزيدُ على آمال راجيهِ رفْدُهُ
لئن كان هذا الود طفلا بعهدهِ لقد شب طفلٌ كان في القلب مَهْدُه
ودادٌ سقاهُ القلبُ ماء حياتهِ فكان كودٍّ قد تقادم عهدُهُ
أزف اليه بعضهُ في قصيدةٍ غدت لي الى نيل المودَّة قصدُهُ
فان نلتُ منها ما أرَجِّي فنظمُها الى مثل هذا الشان كنتُ أعدُّهُ

وقال من موشح

ياوردة الحسن من دموعي حلاّك بدر الندى الرطيب
نابتة انتِ في ضلوعي فكيف تحيين في اللهيب
يادُرَّة قد أزرت الجواهر عند كلام أو ابتسام
ووردة فاقت الازاهر في الحسن والطيب والدوام
جعلت قلبي عليك طائر يشدو كما غرَّد الحمام
ينشد في وصفك البديع ما يسكر الهائم الطروب
ويزدري الزهر في الربيع بحسن نظمٍ ونفحٍ وطيب

***

فارقتني والعهود كانت أن لا صدود ولا افتراق
وكنت في مهجتي فبانت تطلب في أثرك اللحاق

فاليوم نار الصدود هانت لما بدت لوعة الفراق
متى تجودين بالطلوع ياشمس من بعد ذا المغيب
فيرعوي نافر الهجوع ويلتقي الحِبّ والحبيب

***

يا طود لبنان فيك غصن كل ثمار المنى عليه
وقد زها فى رباك حسن سمت بأنواره عبيّه (١)
مكحل المقلتين لدن والسحر من كحل مقلتيه
سقياً لما تمّ من ربوع وبرد ازهارها القشيب
وغصنها اللينّ المطيع يميل مع نسمة الجنوب
طوبى للبنان يا حياتي لما حوى حسنك الوسيم
وبارك الله فى النبات هناك والماء والنسيم
وحبذا الاعين اللواتي تجري على لؤلؤ نظيم
أهُنّ مثلي من الولوع يُجدن بالدمع الصبيب
أم ذاك أمر بها طبيعي اذا دعاها الهوى تجيب
هيهات مافي الهوى جماد ولا نبات ولا بشر
الاّ لهُ فى الهوى فؤاد اتاه طوعا على قدر
فالحب فينا والاتحاد فى الصخر والصلح فى الشجر
كذا الهوى ساد فى الجميع وكل نفس به تطيب
وكم لراميه من صريع يطربه السهم اذا يصيب

وقد اقترحت عليه الحكومة المصرية نظم أبيات تُرسم على محطة القاهرة الجديدة ثم أقيمت مباراة بين الشعرآء ونال الجائزة من الحكومة لعهد الخديوي عباس الثانى ولا تزال هذه الابيات مكتوبة فوق جدران محطة مصر من الداخل

ياحسن عصر بعباس العلى ابتسما حتى الحديد غدا ثغراً لهُ وفما
طرائق فى ضواحي القطر يبلغنا أقصى البلاد ولم ننقل بها قدما

(١) قرية مشهورة فى لبنان

مصر كصفحة قرطاس بتربتها | غدا القطار عليها الخط والقلما
أرض بها كان خصب النيل منتشرا | حتى أتاها قطار النار فانتظما
لنا غنى عن قطار السحب منسجماً | ولا غنى عن قطار النار مضطرماً
يجري بها البرق في جسم البلاد كما | يجري دمٌ في عروق الجسم منتظما
محطة هي قلبٌ والخطوط بدت | مثل الشرايين فيها والقطار دما
مع السلامة يامن سار مرتحلاً | عنا وأهلاً وسهلاً بالذي قدما

وكان من مميزات الشيخ ابرهيم اليازجي خاله التبحر في ضروب الانشاء تمثل البلاغة في كل فقرة من فقَره وكثيراً مايوجد لهُ فيه من السجع الشبيه بالوزن والايقاع مايفعل في النفس فعل الغناء واليكم نموذجاً من هذا البيان الساحر فيما صدّر به مقالة القمر ومما قالهُ فيهِ ما يأتي بل هو مثال الرونق والجمال وآية الابهة والجلال اذا برز من الأفق فانهزمت من وجهه جيوش الظلماء وانفرجت الكواكب لمرّه في عُرض السماء فأقبل ينتقل بينها وهو يسير الهوينى عزّةً وخُيلاء فسمت اليه الأبصار إعجابًا واكباراً وانصرفت اليه الوجوه ابتهاجاً واستبشاراً وانطلقت لهُ النفوس نشاطًا وارتياحاً واتسعت بهِ الصدور انبساطًا وانشراحاً وخلا اليه العاشق يتذكر وجه حبيبهِ ولهَا به المحزون فسلا عن حميمه ونسيبه وأوى اليه المسهَّدُ فكان سميرَهُ في سُهده واتخذهُ المسافر رفيقاً فذهَل بهِ عن مخاوف سفره ومشقّة جهده . . . مما جعل الشيخ نجيب الحدّاد ينظم ماجاء في ذلك من معانٍ وألفاظ في قصيدة بديعة لما وجد فيهِ من شبه الشعر مع حفظهِ لمعانيهِ ومن ذلك قولهُ في القمر

اذا مُلئت من البدر العيونُ | وهاجت منهُ أو سكنت شجونُ
فكم بسمت لمرآهُ ثغورٌ | وكم سالت لمرآهُ شؤونُ
وكم ذكَرَ المحبُّ بهِ حبيباً | وكم نسي الحزينَ بهِ الحزينُ
فياشبه الحبيب حويت منهُ | بهاهُ وفاتنا منك الفتونُ
وقاك الله كم تُفنى قروناً | ولا يفني محيّاك القرونُ
وكم تحيي الظلامَ وانت ميتٌ | وكم تعلو النجومَ وانتَ دونُ
نُرى فيك البداءة كيفَ كانتْ | قديماً والفناءة متى يكونُ
وهل يبقى الوجودُ بلا فناءٍ | وهل تعفو عن الشُّهب المنونُ
كوائنُ ليس يدري السر منها | سوى مَن أمرُهُ كانٌ ونون

واقعة حال لماذا دعا عبده نجيب الحداد للجلوس بجانبه فوق التخت . ؟

كان لأحد أصدقاء عبده من أغنياء الاسكندرية ولدٌ وحيد لم يعتنِ والده بتربيته وتعليمه حتى يكون جديراً بتمثيل كرامة أسرته وحفظ مجدها فشبَّ سيء الخلق طائشاً وتهافت الى معاشرة الارذال وقتل الاوقات بالمقامرة وغشيان محال الخلاعة ولما رغب والده فى تزويجه قبل أن تدركهُ المنيّة ظنّاً منهُ انه بذلك يقلع عن غيّهِ وزّع رقاع الدعوة لحضور العرس ودعا صديقه عبده الحمولي ليغنّي الحضور ونصب سرادقاً فسيحاً زيّنهُ بالمصابيح والانوار الباهرة وفاخر الرياش فاعتلى التخت عبده الذي التجم فى أثناء الغناء بأن فاجأهُ صاحب العرس بنبأ مروّع وعيناه جاحظتان من شدة الغيظ فوقف عبده حيران وهو لايدري ماذا يفعل وأخيراً دعا من بين الحضور الشيخ نجيب الحداد ليجلس بجانبه فوق التحت وأخذ تصبيعاً للوقت يطارحهُ الحديث مرةً ويغنّي بصوت خافت مرةً أخرى ولما رآه جاك رومانو على هذه الحال خلافاً لعادته تمثَّل فى نفسه أن عجز عبده عن الغناء فى تلك الليلة يرجع سببه الى إدمانه للشرب وفى الصباح ذهب الى الصيرفى بك صديق عبده ووكيل مصلحة المواني والمنائر وقتئذ وقص عليه الخبر وبينما هما يخوضان فى هذا الحديث واذا بعبده آتٍ فأسرعا الى ملاقاته ولما سألاهُ عن سرّ ذلك أطلعهما على حقيقة الخبر للحال وهو ان الولد العقوق حينما صَعَدَ الى الطابق الاول لتزفّ عروسه اليه كمقتضيات العصر لكمها لكماً وطلّقها ثلاثاً بعد أن بصق فى وجهها وما كاد يعود الى باب القصر حتى وجدَ مومسةً تنتظره فأمسك بذراعها قاصداً الى أماكن الدعارة وترك الدار تنعي من بناها . وأردف عبده قائلاً لهما ان كل قوم أعلم بصناعتهم اذ لاسبيل لمثلي أن يغنّي ان لم يجد فى وسطهِ انفعالات نفسانية تثير فيه الرغبة فى إطراب نفسه وبالتالي اطراب الآخرين مع العلم ان الايحاء الآتي من السماء إن هو الاّ قوة تحدونا على التأثير فى النظارة ونور إلهي ينفذ بضوئه اعماق نفوسنا وليس للعلوم الارضية سلطان على وجدان هذا الايحاء أو إنمائه وعلى الجملة فالموسيقى لغة النفوس وعلى سلّمها تتصاعد الاحساسات القلبية والانفعالات الحبية وصوت عبده كما هو لم يعتره ضعف ولا تغيير

الشيخ ابراهيم اليازجي ومصطفى بك نجيب



مصطفى نجيب بك

رثى الشيخ ابراهيم اليازجي السيد جمال الدين الأفغاني فقال

هذا جمالُ الدين أمسى نازلاً
جدَثاً تضمّن منهُ أي دفين
قدرٌ به عمَّ البكاءُ على امرئٍ
فقدت بهِ الدنيا جمال الدين

« نعت الينا أنباء الآستانة إنسان عين الفضل والكمال ومجمع أشعة الحكمة بل قطب دائرة العلوم على الاجمال ، رُحلة البلغاء وقدوة العارفين وقاضي علوم الدنيا والدين السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني المشهور فرع الأرومة الزكيّة وسليل الحسب القائم من منصب السؤدد في الذروة العليّة فكان لمنعاه يومٌ اشتدّ وقعهُ على القلوب والمحاجر وطال في وصفه أنين الأقلام فأمدّتها بالدمع عيون المحابر وكيف لا وهو خطيب الشرق الذي رنَّ في الخافقين صدى خطابه وإمامُهُ الذي انبعثت أنوار اليقين من سماء محرابه وأستاذ علومه الذي ما فتئت الحكمة تتدفق بين فؤاده ولسانه وتطلع شموس البلاغة من بين خاطره وبيانه وتجري مناهلُ العرفان بين أقلامه وبنانه قضى رحمه الله في التاسعُ من الشهر الغابر بعلة السرطان وقد تشبث منه بين الفك والنحر ودبَّ في مجرى الفصاحة منه ولا عجب أن يدب السرطان في البحر فقبض ذلك اللسان عن تدفق عُبابه وحبس تلك الدرر فيما يبرز مكنونها من حجابه الى أن نقلهُ الله الى جواره فذهب حميد الأثر ودُفن في قرافة المشايخ مذكوراً بالرحمة ماغاب قمر وناح طائر فوق شجر

ومن عجيب أحواله الدالَّة على صرامة بأسه وعظيم ثقته بنفسه انه لما نزل الى البحر في السويس

منفياً وهو خاوي الوفاض بادي الانقاض ، قدَّم اليه نفر من تجار العجم مقداراً من المال داخل منديل على سبيل الهدية فرده وقال احفظوا المال فأنتم أحوج اليه مني لأن الليث لا يُعدم فريسةً حيثما ذهب .

وأنشدنا مرة المرحوم مصطفى بك نجيب أبياتاً ألمَّ فيها ببعض ماورد فى صدر هذه الترجمة وكان يوماً يقرأها فمرَّ به ما لم يتمالك عن إفراغه فى قالب النظم وقد علق بالمحفوظ شيء من تلك الأبيات نستأذنهُ في ايراده هنا ، قال حفظه الله

نعت النعاة يتيمة الدهرِ وخلاصة الأحساب والفخرِ
أمسى جمالُ الدين فى جدثٍ ضمّ العُلاء ورفعةً القدرِ
ليت المنيّة أخطأت رجلاً عمدت به نارٌ من الفكرِ
وعزيمةٌ لا تنتهى صُعُدًا حتى تفوت معارج النسرِ
دبّت على مجرى فصاحتهِ وأتتهُ بين الفكّ والنحرِ
عجبٌ لما فعلت ولا عجبٌ أن يسكن السرطان فى البحرِ

ولمصطفى بك نجيب موالي ودور ومقال فى الفونوغراف وقصيدةعامرة فى هبوط النيل تجدونها فيما يلى ، ومما يؤسف له انه لو احتفظ بما كتبه ونظمه لأمكنه أن يجمعه فى ديوان قائم بذاته ، وهو من أمراء الشعر ومن أكابر الكتاب ، وقد توفى بالاسكندرية فى ٨ اكتوبر سنة ١٩٠٢ رحمه الله رحمة واسعةوأسكنه فسيح الجنان .

المَوالى

١) يا دايق النوم اوصف لى أماراته وسلوا جفني حكمت فيه أماراته
يا عاذلى فى الجميل عينك أماراته ما فى ملوك المحاسن حد مثاله
يمسى الحكيم فى حكمه وأمثاله دا القلب بالطبع أصبح لهوأمسى له
صابر على الهجر ما تحكيه أماراته

٢) يابدر صدك على حبّك متى حدّه وسيف لحاظك على قدّه شهر حدّه
إن كان عذولى وشى احكم وقيم حدّه وارحم فؤادي وراقب في الزمان الله
من قدّم السبت يلقى يا قمر حدّه

٣) الليل أهو طال وعرف الجرح ميعاده وجف دمعى وجفنى من دمى عاده
عجبي على القلب فى حبه وأوعاده لانار اقول نار وهيا فى الفؤاد ابرح
وان باح بشكواه لا زاره ولا عاده

ودور نظمه لعبده لمناسبة وفاة ولده محمود وهو مذكور فى الجزء الاول من كتاب الموسيقى الشرقية ص ٦٦ ومطلعه الصبر محمود لمثلي على حبيبي و بعده الخ . . .

الفونوغراف

جاء نقلاً عن مجلة الضياء فى مجلد السنة الثانية لليازجي ما يأتي

وقفنا على الوصف الآتي لهذه الآلة العجيبة من إنشاء حضرة الكاتب الشاعر البليغ مصطفى بك نجيب وكيل إدارة الداخلية فى الحكومة المصرية وهو ضرب من الشعر المنثور الذي يُزرى بالدُّر المنظوم فى نحور الحور ، بل هو انموذجات بلاغاته الحقيقة بأن يتحدّاها كتَّاب العصر ويسج على منوالها المولعون بأساليب النظم والنثر ، قال حفظه الله : هو مثال القوة الناطقة من غير إرادة سابقة يقتطف الالفاظ اقتطافاً ويختطف الصوت اختطافاً ، مطبعة الاصوات ومرآة الكلمات ينقل الاقوال من ناحية الى ناحية نقل كلام عُمر رضي الله عنه الى ساريه أصدق من الصدى فى نقله وإعادة الصوت على أصله كأنه الحرف عن يد الطابع والوتر عن يد القارع لو تقدم فى مرتبة الزمن لما احتجنا فى الاخبار الى عنعنه ولا في الدعاوي الى بيّنه بل كان يسمعنا كلام السيد المسيح فى المهد وصوت عازر من اللحد وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم وأنشده الشعراء كلمتهم فسمعنا منه غرائب اليونان و بدائع الرومان و ربما أسمعنا خطب سحبان و شعر سيّدنا حسان بذلك اللسان وأصبح وجود أثر الانسان غير محدود بزمن من الازمان فلله دره من تلميذ يستوعب ُماعند المعلم فى لحظه و يعيد قوله ناقلاً صوتهُ ولفظَه

وقد وجدتَ مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلا فقُل

نديم ليس فيه هفوة النديم ، سمير لا يُنسب الى تقصير تسكتهُ وتستعيدُه وتذمّهُ وتستجيدُه وتنقصهُ وتستزيدُه وهو فى كل الاحوال راضٍ بما يقال لا يكل من تحديث ولا يمل من اعادة حديث ، نمام كما ينمّ لك ينمّ عليك و ينقل الى غيرك كما ينقل اليك فهو المصور لكل فن المتكلم بكل لغة المحدث عن كل انسان المؤرخ لكل زمان الشاعر الناثر المغنّي العازف لاتعجزه العبارة ولا

يجهدهُ الاداء ولا يصيره اختلاف شكل ولا تباين أصل بل تعدّت شدة حفظهِ البشرية من اللغات الى حفظ أصوات العجماوات الى حركة اصطكاك الجمادات فلله مخترعه الذي أنشأه على غير مثال والله يخلق مالا تعلمون وهو العزيز المتعال

قال الشيخ ابراهيم ص ٥٠ من المجلد نفسه وقد وردتنا القصيدة الآتية في معنى هبوط النيل من نظم حضرة الفاضل اللوذعي مصطفى بك نجيب وكيل إدارة الداخلية في الحكومة المصرية فأحببنا إثباتها تفكهةً للقراء ، قال أعزه الله

النيلُ أخلف فالقلوب صوادي	تشكو لهيب الشوق في الأكبادِ
يا نعمةً ما كان أسبغ فيضها	تحيا النفوس بها ويحيا الوادي
يا ظمأةً بانت وليس لحرّها	من مطفىء للهيبها الوقادِ
ماذا الذي عاق الحبيب وصدّه	عن أن يزور وكان إلف ودادِ
ماذا الذي حبس الكريم عن الندى	وأصمّهُ عن سمع صوت منادِ
يا نيلُ قد عوّدتنا منك الوفا	إذ كنت تأتينا على ميعادِ
فقبضتَ آمالا تعوّد بسطها	طول المدى ملاّحهُ والحادي
أنى له جودٌ يجود بمائه	صـفواً بلا برق ولا إرعادِ
يجري وما يجري على صفحاتهِ	إلاّ اللجين يلوح للنقّـادِ
يحيي الأنام وينشر الأموات من	نبت الرُّبى في أجمل الأبراد
تُجنى به ثمرات أرضٍ أُلبست	حُلل الندى من فضلك المعتادِ
باركت فيها بالوفاء فقُدّرت	أقواتها ووفت بكل مرادِ
وسقيت ظمآن النبات سلافةً	فغدا يميس بقدّه الميادِ
قد كنت تنعش كل قلبٍ خائفٍ	فرط الظما من حاضرٍ أو بادِ
تُجرى لنا سنن الوفاء بعادةٍ	من أجمل العادات للأجوادِ
تهدي لنا الحسنى وفيك زيادةٌ	(أبداً إلى مبدأً لها ومعادِ)
كسرٌ به جبر القلوب وموسمٌ	بين المواسم زينة الأعيـادِ
لله إبهام الزيادة معلنًا	بشهادةٍ تغني عن الإشهادِ
ضاع القياس فأين أصبعك التى	منها الوفاء يشير بالاسعادِ

يا منهلا ما كان يعهد قبلهُ   إن يمنح السودان بيض أيادِ

نُعطي الكثير بلا سؤالٍ للورى   وعليك لونٌ من حياءٍ باد

أنى تغيَّر شيمةً مرضيَّةً   يرجى محامدها على الآبادِ

أيتمت طفل النبت في حجر الثرى   يا أرأف الآباء بالأولادِ

ماطلتهُ دينا عليك وإنهُ   وقفٌ لحاجة جائعٍ أو صادِ

كم روضةٍ يا نيل مذ أخلفتها   عهد الوفا قد عوجلت بحصادِ

خلَّفتها من طول هجرك في جوى   وسوادُ تربتها ثياب حدادِ

ذبلت فأمست لا نبات بأرضها   تصبو إليه نواظر الروّاد

قامت على سيقانها أغصانها   يسألن بالأوراق صوب غوادِ

ومزارعٍ أضحت منابت أرضها   هشُّها تصافحنا بكف جمادِ

تشكو وكم نشكو مرارة فقدهِ   حر المصيف وقلة الأزوادِ

قامت على ضفاته آلاتنا   تسترشف القطرات بالاصعاد

فكأنها في حرّها وزفيرها   ولهيبها مثلٌ لكل فؤادِ

أعزز عليَّ بأن ترى ضفاتهُ   تحثو التراب أسى على الورّادِ

عزز عليّ بان أراهُ ولم يكن   ما بيننا متتابع الإزبادِ

أعزز عليّ بأن أرى جنباتهِ   ملقى الرمال لشامخ الأطوادِ

الله في حال البلاد وأهلها   فهو المزيل لكل خطب عادِ

لا تبلغ الأقوام نيل مرادها   ما لم يعنها الله بالإمدادِ

اديب بك اسحق

الكاتب البارع والخطيب المفوّه والشاعر البليغ وُلد سنة ١٨٥٦ بدمشق وتُوفي سنة ١٨٨٥ م بحدث بيروت . جآء القاهرة وتلقَّى عن السيد جمال الدين الافغاني دروساً في الفلسفة الأدبية والفلسفة العقلية والمنطق وأخذ عنهُ المُثُل العليا والمبادى السامية في الحرية والمساواة

قال عن لسان ثاكلة قدّاً لموشحة « يا غزالي كيف عني أبعدوك »

مزقوا قلبي ولا تبقوا عليّ   واندبوني واندبوا قبلي بني
مات صبري بعده والجسم حي   ساعدوني يا لقومي بالدموع
يا لخطب من أذاه في القلوب   نار حزن زادها الدمع شبوب
ما كفى فى مثله شق الجيوب   أسفًا يا قوم بل شق الضلوع

وقال

أنا ما بين مطربٍ ونديمٍ   ومدامٍ صافٍ وناي وعودِ
وسرورٍ وافٍ فوافي حمانا   وعن الصدّ يا مليحةً عودي

ولهُ من المواليات قولهُ

فى طرفة يا لقومي تكمن الآجال   وان دنا أو تثنى أو رنا أو جال
حلَّت بأهل الهوى من فتكهِ أو جال   يا ظبي واصل فقد أضنى الهوى جسدي
وارحم واعجل فخير البر في الإِعجال

وقال لواقعة حال

قلت اسقني قال هاك الماء في العين   فقلت واصل فقال العين بالعين
فقلت والحب عندي راجع البين   مالي وروحي أيا روحي فدا عينك
خذماتروم فنادى هات من عينك   فقلت يحميك ربى فقال من عينك
فقلت خذ واعطِ وصلاً قال من عيني

وله موشح

غرَّد البلبل في روض الحما   فوق بانٍ تحت جنح الغلسِ
عندما أقبل معسول اللما   يتثنى في رياضِ السندسِ

دور - بابي ظبياً علينا سفقا معرباً عن مبسم كالشفق
وأتى نحوي فلما رمقا لم يدع للصب غير الرمق
ذا جبين كهلال اشرقا فهدى بالنور أهل المشرق
ولحاظٍ كنبالٍ حيثما رشقت كانت نذير التعس
وخدودٍ بعد سقياها الدما غرست بالورد أبهى مغرس

وكتب في زواج أحد نبلاء اليونان بالمشخصة الفرنسوية المشهورة ساره برنارد

حلِّ المعارف فالمعارف سوِّدت بيض الثنايا الغانيات تغنيا
ودع العوالي فالمعالي وسدت للسائدات على العصول تثنيا
الراقصات الواقصات القنصا ت قلوب أرباب الغرام تجنيا

أو ما أنبأك سمّار الملاهي ورواة أحاديث الصبابات ان المليع التياهة المستحصنة الابصار بما تشخص في الملاعب تمثيلاً بهجة التياترو الفرنسوي وزينة مشخصات الغرب ممن لا يزال رأس فكتور هوجو الأبيض يطاطي لقبلة كفها كما أنشدت كلمة من شعره البديع الفتاة المدموازيل عنوانها (سارة برنار)

من آل اسرائيل فتانة قد عذبت أهل الهوى تيها
قد انزل السلوى على قلبها وانزل المن على فيها

أجل فقد اتصل بها في هذه الايام فتى من نبلاء اليونان وذوي الثروة الواسعة منهم فانضم الى فوج تشخيصها يطوف معها البلاد وينقاد لأحكامها أيما انقياد معجبا بفنها أكثر من اعجابه بحسنها فان ساره (وما نريد بالهيف سوءاً) نحيلة نحيفة بلمحة من الحسن لا تكاد تلمح (ولكن أول الحب التئام وغايته التزام)

والحب أول ما يكون مجانةً فاذا تحكّم صار شغلاً شاغلا

فصاحبنا ابتدأ باستحسان المشخصة فانتهى بعشق الذات والمنية واحدة ولكن الوسائل مختلفات فأبدى لها الغرام فسمحت فطلب الملازمة فما منعت فرام الاتصال فامتنعت إلاّ أن يكون حليلاً ولا سكنًا ولا خليلاً فأجاب وداعيات الوجد تخيفه من عاديات الصد

يا قريب الصدود والاعراضِ أنا راضٍ بما به أنت راضِ

ولهُ الأبيات الآتية وقد ذُكرت فى قصّة الباريسية الحسناء التى عرّبها عن الفرنسوية

حسب المرآةَ قومٌ آفةً ... مَن يدانيها مِنَ الناس هَلك
ورآها غيرُهم أمنيةً ... مَلَك النعمةَ فيها مَن مَلَك
فتمنى معشرٌ لو نُبذت ... وظلامُ الليل مشتدُّ الحَلك
وتمنى غيرهم لو جعلت ... فى جبين الليث أو قلب الفلك
وصوابُ القول لا يجهلُهُ ... حاكمٌ فى مسلك الحق سلك
انما المرأةُ مرآةٌ بها ... كلُّ ما تنظرهُ منكَ ولَك
فهي شيطانٌ اذا أفسدتها ... واذا أصلحتَها فهي مَلَك

ومن قول الشيخ ابراهيم اليازجي فيها ما يأتى

فقد تصفحنا هذه القصة فوجدنا فيها من رقة المعانى فى جزالة المباني ورشاقة الاساليب فى رصانة التركيب ما أرانا الخرائد الباريسية مائسة فى مطارف الأعراب تتهادى معاطفها تيهاً فيكاد يستشفّها الطرف من وراء الجلباب قد صُوّرت فيها أرق عواطف القلوب وأدقّ خواطر الألباب ومُثّلت فيها أخفى حركات النفوس فاذا هى ماثلةٌ دون حجاب الى محاضرات أرق من نسمات الصباح ومطارحات يمتزج حديثها بالارواح امتزاج الماء بالراح الى وصف شؤونٍ وأحوالٍ يستدلّ بها الأريب على مزية هذه اللغة الشريفة وانها على ما اشتهر من بعدها عن مذاهب الحضارة العصرية اذا رزقت ذهناً صافياً وطَرفاً ناقداً وقلباً عليماً بمواقع اللفظ بصيراً بحسن الاختيار لم تقصر عن غيرها من أحدث لغات البشر وأعرقها فى أحوال المدنية

وجاء فى مجلة الطبيب بقلم الشيخ ابراهيم المذكور تحت عنوان رزء وطنيّ

نعي الى الوطن وآله والفضل ورجاله خطب يوم جفّت فيه المحابر وسالت المحاجر وقامت نوادب الفصاحة ترثي موشّى حبرها وابيرت خطباء البلاغة تؤبن خطيب منبرها نعني بهِ الكاتب البارع النحرير والخطيب المفوّه الشهير المرحوم اديب بك اسحق صاحب النُّبل المعروف والذكاء الموصوف الذي غاضت مناهل الادب لغيض بحاره وراح ولسان الحال ينشد فى آثاره

استسعر الكتّاب فقدك بالغًا ... وقضت بصحة ذلك الايامُ
فلذاك سوّدت الصحائفُ وجهها ... حزنًا عليك وشُقّت الاقلامُ

وقد استأثرت به رحمة الله تعالى فى صباح يوم الخميس الثانى عشر من هذا الشهر فى مصيفه بحدث بيروت على أثر داء فى الصدر أعيا الاطباء علاجه وقدر سدّ على ذوي البصائر منهاجه ودُفن

بها رطب الشباب غضّ الاهاب غير متجاور تسعاً وعشرين سـنة ملأ فيها الأسماع والقلوب وطار ذكره فى الآفاق بما لاتمحو أثره الخطوب وكان دفنهُ بمشهد سوادٍ من أوليائه وأحبابه بعد أن قضوهُ سُنّة الوداع والتأبين بما يقتضي حق آدابه رحمهُ الله رحمةً واسعة وأفرغ عليه سحائبَ رضوانه وثوابه»

حافظ بك ابراهيم

رثاء محمود الحمولي

هو ابن المرحوم عبده الحمولي المغنّي الشهير وقيل انه مات بعد قرانه بقليل

شوّقتماني أيها الفرقدان ... لبدر تمّ غابَ قبل الأوان [1]

وكلما أشرقتما مرّة ... علّمتما عيني نظم الجمان [2]

على عزيزٍ قد تولى ولن ... يؤوبَ حتى يرجع القارظان [3]

عجّلت (محمودُ) فى رحلة ... قرّت بها أعينُ حور الجنان

كأنما آخر عهد الهنا ... قد كان منا ليلة المهرجان [4]

وأنشد تحت عنوان براعة غناء الابيات الآتية التي نُشرت فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ إعجاباً بجاك رومانو

وارحموا بني اليهودِ كفاكم ... ما جمعتم بحذقكم من نقود

واصفحوا عن عقولنا ودعوا الخلْـ ... ـق بسرِ التوراةِ والتلمودِ

لاتزيدوا على الصكوك فخاخاً ... من غناءٍ مابين دُفٍّ وعود

ويحكُمْ انَّ (جاك) أسرفَ حتى ... زادَ في قومهِ على (داود)

أسكتوهُ لا أسكت الله ذاك الصو ... تَ صوتَ المتيّمِ الغرِّيد

أو دعوهُ فِدآءهُ إن تغنَّى ... كلُّ نفسٍ وكلُّ مافي الوجودِ

---

(١) الفرقدان هما نجمان عند القطب لا يغيبان يريدانه كلما رآهما ذلك البدر فاشتاق اليه (٢) الجمان اللؤلؤ شبّه بها الدموع (٣) القارظان رجلان من عنزَة خرجا فى طلب القرَظ فلم يرجعا فضرب بهما المثل للغائب الذى لا يرجى إيابه (٤) المهرجان عيد للفرس يُطلق على كل عيد والمراد به هنا حفلة العرس

وأنشد أيضاً

يا (جاك) انك في زمانك واحدٌ ... ولكل عصرٍ واحدٌ لا يُلحقُ

انّ الأُلى قد عاصروك وفاتَهم ... ان يسمعوك كأنهم لم يُخلقوا

قد جاء (موسى) بالعصا وأتيتنا ... بالعود يشدو فى يديك وينطقُ

فاذا إرتجلت لنا الغناءَ فكأنّما ... مُهَجٌ تسيلُ وانفسٌ تتحرّقُ

فمطالبٌ بإعادةٍ ومطالبٌ ... بزيادةٍ ومهللٌ ومصفّقُ

تتسابقُ الاسماعُ صوبكَ كلَّما ... غنَّيتَها شوقاً اليك وتُعنِقُ

وتودُّ أفئدةٌ هتكت شغافَها ... لو أنها بذيولها تتعلَّقُ

خُلُقٌ كما شاءَ الجليسُ وشيمةٌ ... يذكو بها صدرُ النديِ ويعبقُ

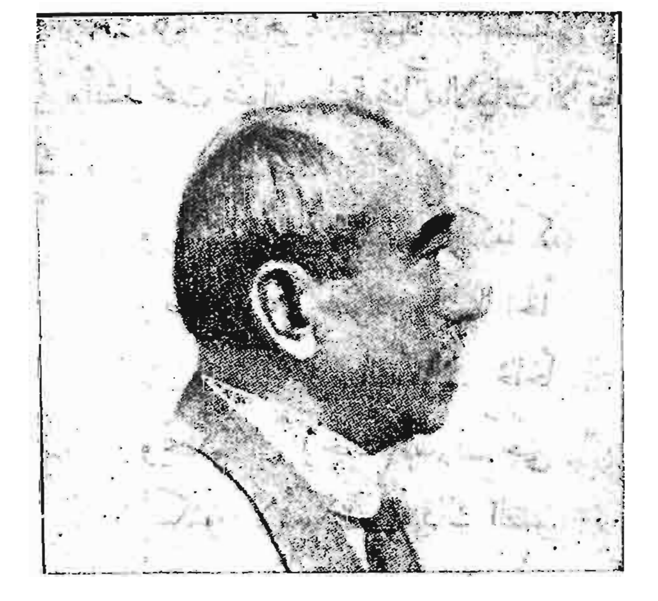
ومروءةٌ لو أنها قد قُسّمَتْ ... بين اليهودِ لأحسنوا وتصدَّقوا

قصيدة احمـــد شوقى بك

التي أنشدها في الحفلة التى اقيمت بدار الأوبرا الملكيـة

﴿ في حضرة الملك الراحل فؤاد الأول ﴾

لمناسبة انعقاد المؤتمر الموسيقي سنة ١٩٣٢



المغفور له احمد شوقي بك امير الشعراء

نزل المناهِلَ والرُّبا آذارُ ... يحدو ربيعَ ركابهِ النُّوَّارُ

يختالُ فى وشيِ الرياضِ وطيبها ... وتزفُّهُ الرّبواتُ والأنهارُ

سَمْح البنان بكل مازان الثَّرى ... فالوشيُ يُوهب والحليُّ يُعارُ

ملأ الخمائلَ من تصاويرٍ كما ... ملأ الرّفارفَ بالدُّمى الحفارُ

في كل دوحٍ دُميةٌ ومِنَصّةٌ ... وبكل روضٍ صورةٌ وإطارُ
حدجتهُ بالبصر الخمائلُ مثلما ... حدجت بعينيها العروس الدارُ
لبسَتْ لهُ الآمالُ بهجة شمسها ... وتزيّنَت للقائهِ الأسحارُ
حيّتهُ بالنغم الهواتفُ في الضحا ... وترنّمت بثنائهِ الأوتارُ
والماء يطفرُ جدولا ويفيض من ... عينٍ ويخبطُ في القنا ويحارُ
جرَّ الإزارَ فكل روضٍ حاملٌ ... مِسكا وكلُّ خميلةٍ معطارُ
في كل ظلٍّ مزهرٌ مترنمٌ ... ووراء كلِّ نضارة مزمارُ
وعلى ذؤابة كل غصنٍ قينةٌ ... الصنّج خلف بنانها والطارُ
والنيل في الوادي نجاشيٌّ مشى ... في ركبهِ الرؤساء والأحبار
سحبوا الطقوس ورتلوا إنجيلهم ... فتعالت الصلوات والأذكارُ
نزلاء مصر حالتمُ بفؤادها ... وحوتكمُ الأسماع والأبصارُ
ضيفًا على التاج الكريم وطالما ... هتف النزيل به وغنّى الجارُ
تاجٌ كقرص الشمس ملء إطاره ... عتقٌ ومجدٌ تالدٌ وفخارُ
وكأن كلتا صفحتيه من السنا ... ومن التلبُّس بالشموس نهارُ
نحن الكرام إذا مشى في أرضنا ... ضيفٌ ونحن بأرضنا أحرارُ
مصرٌ ثرى الفن الجميل ومهده ... تنبيكمُ عن ذلك الآثارُ
عمرتْ بموسيقى الجمال تلالها ... وتفجرت عن مائهُ الأحجارُ
وادٍ كحاشية النعيم وأيكةٌ ... ما للبلابل دونها أوكارُ
من عهد اسماعيل لم تخلُ الربا ... منهم ولم تتعطل الاشجارُ
مما يُتيحُ الله جلّ جلالهُ ... لعباده وتُسخّرُ الاقدارُ
في كل جيل عبقريٌّ نابغٌ ... غرد اللهاة مفنن سحّارُ
قضّى على الشوك الحياة وكم دعا ... للسيرِ في الوردِ الرفاق فساروا
أما الغناء فلذة الأمم التي ... طافوا عليها في الحياة وداروا
يا طالما ارتاحوا إليه وطالما ... حُبِسوا على النغم الشجي وثاروا
وترٌ تعلق في النعيم بآدم ... غنى عليهِ بنوه والأصهارُ

الخمرُ والسحرُ المبينُ ورآءهُ والشجو والزفراتُ والتذكارُ
وعلى تغني النفس في وجدانها خلتِ العشيُّ ومرت الابكارُ
ألحانُ كل جماعةٍ وغناؤهم لغةٌ ونجوى بينهم وحوارُ
نغمُ الطبيعة في أغانيهم وما تملي الرياضُ وتنشئ الأزهارُ
لا تعشقُ الآذانُ إلا نغمة كانت عليها في المهود تدارُ
فرعونُ في الوادي وصاحبُ بوقهِ وقيانُهُ والنايُ والقيثارُ
وترنماتُ الشعب حولَ ركابهِ وطلاسمُ الكهنوت والأسرارُ
لو عاد ذلك كلهُ لقي الهوى حتى كأنْ لم تطوهِ الأعصارُ
عابدين رُكنك موئلٌ ومثابةٌ لا زال يستذري به ويزارُ
ثبتتْ أواسي العرش في محرابهِ وأوت اليـهِ أمةٌ وديارُ
وعلى مطالعـه وفى هالاتهِ بزغت شموس العز والاقمارُ
للعـلم منـهُ وللثقافة حائطٌ يُؤْوَى اليهِ وللفنون جدارُ
أنزلْتُ فى ساحاته شِـعري كما نَزلَتْ رتاجَ الكعبة الأَشـعارُ
ونظمتُ فيه وفى وضآءةِ ليلهِ مالمْ تزلْ تجري به الأسمارُ
وَرِحابُكَ الرَّبواتُ إلاَّ أنها أرضُ الندى وسماؤُه المدرارُ
إفريقيا فى ظلّك اجتمعتْ على صفوٌ فلا نَزَلَتْ بها الأكدارُ
فى المهرجانِ العبقريِّ تسايرتْ أعـلامُها وتلاقت الانوارَ
لمّـا دَعا داعي المعزِّ الى القرى شدَّت صحارٍ رحالَها وقفارُ
سفرٌ الى الوادي السعيد ومَلكهِ حَسَدَتْ عليهِ وفودها الأمصارُ
رفعـوا شراعَ البحر يستبقونهُ ولو انهم ملكُوا الجناح لطارُوا
أممٌ من الاسلام يجمع بيننـا ماضٍ وأحداثٌ خَلَوْن كبارُ
وحضارةُ الفصحى وروحُ بيانها وقريشٌ العالونَ والأنصارُ
وحوادثٌ تجرى لغايتها غـداً ولـكلِّ جارٍ غايةٌ وقرارُ
فى معهد الوادي ودار غنائهِ فرحٌ تسير غداً بهِ الأخبارُ
بعثتْ له الدنيا كرائمَ طـيرها من كلِّ أيكٍ بلبلٌ وهزارُ

وحوى النوابغ فيهِ حول نوالهِ مَلِكٌ على حُرَمِ الفنون يَغَارُ
جلب السوابقَ كلَّها فتسابقت حتى كأن المعهدَ المضمار
إحسان مجبول على الاحسان لا تحصى صنائعهُ ولا الآثارُ
ياصاحبَ التاجَيْن عِشْت ولا يزل يجري بيُمن أمورك المِقدارُ
أنتَ الرشيدُ على كريم بساطهِ تُستَعرَضُ الآراءَ والافكار

وقد نظم أمير الشعراء للاستاذ محمد عبد الوهاب القصائد الآتية

ياجارة الوادى التى يعدّ تلحينها من الطراز الأول وخدعوها بقولهم حسناء وعلموهُ كيف يجفو فجفا ، الهوى والشباب ، تَلَفَّتَتْ ظبية الوادى ، ياشراعًا ، رُدَّت الروح ، ياناعمًا رقدت جفونه ، أنا أنطونيو ، ومن المنولوجات ماياتى في الليل لما خلي ، بلبل حيران ، اللي يحب الجمال

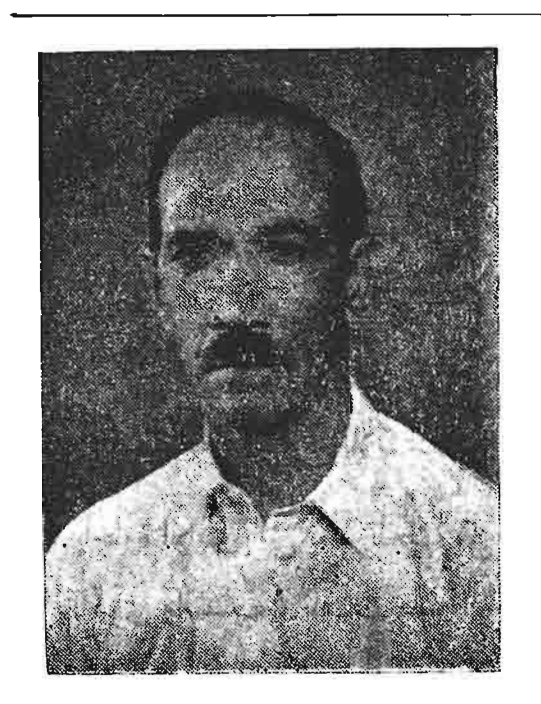
وقد نظم أيضاً لأم كلثوم قصيدتين لتغنيهما ومطلع أولاهما

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعلَّ على الجمال لهُ عتابا

ومطلع الثانية

سلوا كؤوس الطلى هل لامست فاها واستخبروا الراحَ هل مسَّت ثناياها

والحق يقال ان شوقي كان أشعر أهل عصره اذا رام نظم الشعر قامت الألفاظ فى خدمته وتلبَّت المعاني لدعوته


الاستاذ احمد رامى

الناى

من نظم شاعر الشباب

الاستاذ احمد رامى

رئيس الفهارس الافرنجية بدار الكتب المصرية

أحنيناً إلى ضفافِ الغدير — أم نزوعاً إلى غناء الطيورِ
إيهِ يا ناى كنت تهفو على الجد — ولِ يسقيك بالزلالِ النمير
لك عطفٌ مرنحٌ حين يشجو — كَ حنينُ الصبا ووقع الخرير
كلما هبت الرياحِ على غا — بك ناحت كالعاشق المهجور
إن تكن قد حرِمت يا ناىُ عيشاً — ضاحكا بين يانعاتِ الزهورِ
فلك اليومَ من فمي نغماتٌ — ناطقاتٌ عن لوعتى وزفيري
يا نجيّى لوْ خلوتُ بنفسى — وسميري إن غاب عني سميري
كم أناجيك فى سكونِ الليالى — بأحاديث حبيَ المستورِ
باكياً فى الظلامِ بالنغمِ المحز — نِ وحدى والليل مرخي الستورِ
لا أرى فى الحياةِ صفواً وأشقى — الناسِ فى عيشهِ رقيقُ الشعور
فأغني على الشفاءِ بأنغا — مِ تُسرّي عن الفؤادِ الكسير
نحن يا ناى فى الحياةِ غريبا — نِ وليس الغريب نائي الدّورِ
إنما يشعرُ المحبُّوب بالو — حْشةِ فى غيبةِ الحبيبِ الغريرِ

وللاستاذ احمد رامى شاعر الشباب منولوجات كثيرة نذكر منها ماغناه الاستاذ محمد عبد الوهاب منها « سكت ليه يا لساني » و « على غصون البان » وله في أغاني الأفلام المصرية السبق والقدم

الحاجه سيدة السويسية

الحاجة سيدة مغنية قديمة نحيلة الظل سمراء اللون زاولت مهنتها زهاء أربعين سنة كانت فيها موضع الإعجاب والإقبال . نشأت فى السويس حيث بدأت الغناء ثم انتقلت الى بور سعيد ولما ذاع صيتها وعظم قدرها لم تعد ترضى بأن تغنّى فى المقاهى الخشبية المقامة على شاطىء البحر فى الحي العربى ببور سعيد فانتقلت الى مصر وتعاقدت فيها مع انطون على الغناء بتياترو الكائن أمام ميدان العتبة الخضراء حيث كان يؤمّهُ عدد كبير من علية القوم لسماعها وقد سمعناها غير مرّة وهي فى الغناء تضرب على القالب القديم وتختها لايحتوى إلاّ على عوّاد وعازف بالقانون ومساعد ونايآتى نادراً أما الرق فكثيراً ما كانت تضرب به حفظاً للنغم مخبئة يديها تحت « الملايه » والبرقع فوق وجهها دلالة على الاحتشام وكانت تقوم بفرائض الصلاة بعد نهاية عملها فى الساعة الواحدة بعد نصف الليل ولهذا السبب كانت تعرض عن الغناء فوق مراسح الرقص وتمقت الطقاطيق وهي لا تُقبل على مزاولة مهنتها الشريفة إلاّ فى محلّ الحشمة والجدّ جاريةً على منهاج مَن عاصرها من فحول المطربين أمثال عبده وعثمان وداود حسني والمنيلاوي واحمد صابر ومن على شاكلتهم وقد نبتت فى منبت الطرب وتدرَّبت بادىء بدء على الغناء بارشاد كل من الحاج حسن بيره العوّاد زوجها والحاج سيد السويسي أخيها ولها ولد يُدعى محمد حسن السويسي يجيد العزف على القانون وهو يعمل الآن فوق تخت السيدة فتحية أحمد وكذلك ابنة يُقال لها سكينة تزوجت من الاستاذ محمد عمر العازف الفذّ على القانون والمعاصر لكل من عبده وعثمان وقد قال لنا مرة على سبيل الفكاهة انه كان قبل أن يبلغ أشدّه يسمع عبده وهو مختبىء تحت المقاعد « الدكك » المنصوب فوقها التخت ويظل يقظان طول الليل

أما اذا حاول سماع محمد عثمان فانه كان وهو مختبىء تحت الدكك أيضاً متوسداً ذراعهُ وممسكاً بيده طربوشه وسرعان ما مال عنقهُ من الكرى فى أثناء الغناء وسطا السارق على طربوشه وحذهُ وفى هذه الحالة يعود محمد عمر الى بيتهِ وعيناهُ تدمعان باربعة فلا حَولَ ولا

واذا رأت الحاجة معربداً نزِق الحقاق لايرعى آداب السماع اقتَدَح غضبها وتغامزت عليهِ ثم نزلت الى ميدان المهاترة وأطلقت لسانها فى السخرية والتنكيت .

كلمة وفاء ورثاء للمطرب الراحل عبد اللطيف عمر

هوى من سماء الطرب المصرى كوكب من أعظم الكواكب نوراً وأصفاهن شعاعاً فى عصر نحتاج فيه الى من يتصدى مثله لكبح جماح التجديد ونأوى منه الى ركن منيع . قبضه الله إليه على اثر عملية جراحية ولم يتجاوز تسعة عشر ربيعاً كان فيها قدوة الأبناء البررة ورمز العاملين فى خدمة فن الغناء العربى القديم ففقد به المطربون عندليباً شجياً وثكل به الأهل غصناً نضيراً وبكت الموسيقى الشرقية ذاهباً كان يتوقع له أن يكون في مقدمة الرافعين للوائها

وقد دُفن بجوار سيدي اسماعيل ابي ضيف بجوار السيدة عائشة مذكوراً بالرحمة والرضوان



عبد اللطيف عمر

أما ترجمته فقد ولد فى مصر وتلقى مبادئ اللغتين العربية والانجليزية فى إحدى المدارس الاميرية وعكف بعد ما نال فيها الشهادة الابتدائية على مزاولة الغناء العربي الذي أعد له دون سواه بالفطرة وتخرج فى تعلم العزف بالعود على والده الاستاذ محمد عمر وعبد الله كامل

ودرج فى بيت أبيه وسط أصوات العود والقانون والكمان وترعرع وسط أنغام وتلاحين عبده وعثمان علاوة على ان المرحومة الحاجة سيدة السويسية المطربة الشهيرة التى كان يؤم مجلسها كل من عبده وعثمان لسماع أنغامها العربية المتينة هي جدته من الأم وان الاستاذ محمد حسن القانونجي خاله و الاستاذ محمد حسن العواد بن عمه فلا عجب أن يلتقط الأغنية لأول وهلة من سماعها أو من ملقنيه بدون أن يتعاظمه أمر بما أوتي من قوة الحافظة وسرعة الخاطر وتوقد الذهن

عزيز عليّ أن أختص بتأبينه هنا بدلا من أن أهتف به وهو حي يرزق وأنشر طراز محاسنه فى المحافل . وأنى لمثلي أن يوفيه حقه من التأبين أو ينسى ماأسداه إليّ من معروف يوم ١٦ يوليوسنة ١٩٣٥ فقد تطوع من تلقاء نفسه للغناء على تخت الاستاذ محمد عمر الكامل على مرسح حديقة الأزبكية إحياء لذكرى عبده الحمولي دون أن ينال جزاءً ولا شكوراً وقد قدمته للحاضرين من علية القوم قائلاً لهم هذا أصغر مطرب يعنى بإحياء ذكرى شيخ المطربين وسلطان المغنين وأفاض

على صغر سنه آنئذ على الحضور من آيات العبقرية والسحر والجمال بما اوتى من روح ما أخذ بمجامع القلوب وشَدَهَ العقول

أجل . . . ان والده الثا كل قد جعل نُصب ناظره غرضاً بعيداً ألا وهو المثابرة فى إحياء الفن القديم الساحر ولكن الاقدار لم تؤازره على بلوغ الأوطار واختطف الموت معينهُ شر حطفة ولم يرحم قلوب والده ووالدته واخوتهِ و ياسوء طالع الموسيقى الشرقية إذ نرى أنصارها من المطربين . يموت بعضهم اثر بعض. ولیؤبن منذ الآن الموسيقى المصرية القديمة كل خطيب مصقع ليستحث المصريين عامةً للترحم عليها قبل أن تلفظ آخر أنفاسها فيالله . . .

فالى جنّة الخلد أيها الراحل العزيز فى أحضان أبينا ابراهيم واسحاق و يعقوب سائلا لك الرحمة والرضوان ولآلك الصبر والسلوان ماغاب قمر وناح طائر فوق شجر المخلص قسطندى رزق





المرحوم عبده الحمولى

عبقرية عبده الحمولى

وتفوقه على المطربين كافة

ليلة مهرجان الزعيم المشهور محمد بك فريد

أقام المغفور له أحمد فريد باشا ، ناظر الدائرة السنية وقتئذ ، أمام سرايه بشبرا سرادقاً فسيحاً إحتفاء بزواج نجله المرحوم محمد بك فريد وقد أمَّهُ عدد كثير من علية القوم وأكابر الموظفين طيلة ستة عشر يوماً وليلة تناوب فيها على الغناء رهط من المطربين المشهورين وقد عهد الباشا الى عبده فى ترتيب هذه الحفلات الغنائية والاشراف على الطباخين والفراشين فى تجهيز المآكل والمشرب للمدعوين طول هذه المدة فقام بذلك على أحسن وجه خدمةً لصديقه الباشا وأخذ كل مطرب

يقوم بدوره فى الغناء فوق تخته الخاص حسب البرنامج الذي وضعه ، ومن الغريب ان كل واحد إذا ما رأى « عبده » قادماً عند منتصف الليل الى السراى وهو يغنى فوق التخت إنقطع عن الغناء إستحياءً منه على حدّ ما حدث للمرحوم داود حسني الملحن الكبير فانه بينا كان يغنى دوراً من نغم البياتى من تلحين محمد عثمان مطلعه « يا وصل شرف يا جفا روح عنا » إذا عبده قادم فوقف عن العمل وما كاد يستقر بعبده المقام فى السلاملك حتى سأل الشيخ على الليثي عن سبب سكوت التخت وإسم المغنى المخصص لهذه الليلة فأجابه المذكور ان المغنى داود حسنى صاحب الدور حينما رآك قادماً اعتقل لسانه من الخجل وانقطع عن إتمام الوصلة ، فصاح عبده ودعاه للغناء فأجابه قائلا : ما يصحس يا سى عبده أغنى أمامك ، فأخذ عبده يلاطفه و يشجعه حتى استأنف نشاطه وهو يحسب له ألف حساب

وأغرب من ذلك فى الليلة قبل الأخيرة ، الخاصة بيوسف المنيلاوى ، أن صعد عبده فوق التخت وأخذ يغنى واضعاً أمامه محمد عثمان عازفًا على العود والشيخ يوسف مساعداً بجانبه ، واستمر يغنى وحده دون أن يستطيع أحدهما أن يأتي بحركة أو يلقي نغما وافتتن العقول إلى أن لاح نور الصباح وهتف داعى الصباح « الله أكبر »

والأغرب على ما قاله لى المرحوم داود حسنى انه فى الليلة الأخيرةالتى كُلّف الغناء فيها حسب البرنامج المذكور ، أخذ عبده يغنى حتى اشجى الحاضرين وجعلهم يتلوون مع ألحانه تلوي الغصون مع النسيم ، ثم انه فى أثناء إنشاده قصيدة أبي فراس التى مطلعها « أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ » كان يفخّم نطق الظآء فى ظمآنًا بعجز البيت القائل « إذا مت ظمآنًا فلا نزل القطر » تزيينًا للفظ وتقويةً للمعنى بحيث انه خيّل للسامعين انه ظمآن في الصحراء ، وكذلك عندما وصل إلى كلمةِ « معاذ الله » فى عجز البيت القائل « معاذ الله بل أنتِ لا الدهرُ » ، واندفع يغنى قائلا « معاذ الله » و بنبراته فزّع الناس حتى خروا إلى الارض ساجدين تعظيماً لذكر الله ، فمن أين عرف عبده يا ترى النبر العربي الصحيح وأحكامه الدقيقة ؟ وإثباتًا لقول المرحوم داود حسنى نقول انا سمعناه غير مرة ينشد هذه القصيدة بالكيفية المقدم ذكرها وكفاه فخراً فقد بويع زعامة الغنآء العربى وخُص بالإمامة . ما هذا بشراً إن هو إلاّ مَلَكٌ عظيم .

مخضرم ينتقد الغناء الجديد

وقد وردتنا الكلمة الآتية « نثراً ونظماً » في معنى استهجان الغناء الجديد واستحسان الغناء القديم من حضرة الاستاذ مراد بك فرج المحامي وشاعر الاسرائيلية ، فأحببنا إثباتها احقاقاً للحق ، وتفكهة للقراء ، قال أعزه الله :

ليس الغناء محاكاة للصوت يوضع وضعاً من شخص آخر فيأتي عليه المغني تقليداً له وانما الغناء الصحيح هو أن يبتدىء به المغنى من عند نفســه فينقل عن إحساسه الشخصي وشعوره الذاتي إلا إذا امتزج الوضع بعواطف المغنى وكان الصوت كأنه له لا لغيره ولهذا فكثيراً مايغني المغنى ويكون غناؤه منفصلا عن حس عواطفه وبعيداً عن شعوره النفسي فيغنى غناء صناعياً لاغناء قلبياً ومما لاشك فيه ان الغناء العربي ليس صناعــة وانما هو صورة ما فى النفس من الاثر البالغ للشجن حتى يكاد المغنى المطرب يبكى لطربه هذا واذا هو لم يُطرب فسامعه لا يُطرب واذا بعُد الطرب عن المغنى فهو عن سامعه أبعد واني لأشاهد اليوم ان المستمعين انما يستمعون لا ليُطربوا ولكن لتمر بهم الأغنية مرور الصورة فى خيال الظل وما تكاد تمر حتى يخلو الذهن من أثرها ولا يبقى لها فى الخاطر طرب و شبه طرب ، وهنا يعاودنى ما كنا نسمعه من قدماء المغنين فلا يزال الغناء يضيف الى الطرب طرباً و إلى التأثر تأثراً حتى ترى المستمعين قد غشيهم شبه ذهول وكأنهم انتقلوا من عالم الوجود الى عالم الغيب يكادون لا يشعرون بأنفسهم وانما يشعرون بما حلّ فى أفئدتهم ورؤسهم من نشوة الاعجاب والطرب ، ولا أكذب إذا قلت ان هذه النشوة تكاد لايفيق منها صاحبها الا بعد أيام يظل فيها كأنه لا يزال يسمع فكأنما الغناء رسم فى مخيلته وكأنما هو حُلم فى المنام لذيذ ، ذلك هو الغناء أيام كان الغناء غناء وذلك هو الطرب المصاحب للروح أيام كان الطرب طرباً

رحم الله المغنين القدماء فقد كان لهم ما كان من قيمة فى غنائهم لا تحد ولا توصف ولعل هذا التقدير هو لما كان لغنائهم من تمازج الروح به فغناؤهم روح وروحهم غناء

سمعت عبده والشنتوري والشيخ محرم وأحمد سالم ومحمد عثمان وداود حسنى وعبد الحي ، كل هؤلاء كانوا يغنون من قلوبهم وأفئدتهم لا من أفواههم ، ولا يزال العـارف بهم يذكرهم بالرحمة وأسف انتفاء العوض ، ولا أريد أن أبخس شيئاً لمغنى اليوم ولكني لا أستطيع أن أكتم ان تأثرى

أقل مما كان عندي أيام قدماء المغنين كانت لهم ألحان متعوب فيها صادرة عن شعور عميق واحساس بعيد ، وكانت لهم « ليالٍ » تكاد تكفي وحدها لقضاء السهرة من شدة الصلة بين الصوت والقلب والمزاج

واني لأذكر أم كلثوم فى غنائها القصائد والأصوات ذات اللحن القديم مما يضعه لها مثل حضرة الاستاذ الشيخ زكريا احمد ، وكذلك أذكر السيدة ليلى مراد حين تنطرب فتُطرب

والمعجبون اليوم بالغناء يكادون يكونون فتيات أو نصف مصريات أو شباناً جدداً لم يعهدوا القديم فألفوا الجديد وما فى ذهنهم سواه ، وقد طال الزمن على مانسمع من الراديو وطال الزمن على تكرار أكثر الاصوات ، حتى كادت الأذن تملّ ، وكادت الروح تسأم ، بل ضاعت الصلة بين الروح والسماع

أنا رجل قديم لم آلف الجديد فليعذرني أصحابه ومحبوه وليهنأوا به دوني

ولو كان المطرب حياً لم يزل كان أغنى الاسر عن اتخاذ الميسر ديدناً لهم ورحمة الله على الغناء القديم وعلى أصحابه فقد ذهب بهم وذهبوا به وليس من رجاء فى ان يعود له اثر فقد مضى واندثر

قد صفا الذهنُ فى منامي وغنّى ... ليَ صوتاً من الصبا اشجاني
لم يزل وقعهُ باذنى مَن لي ... لو تأنى عليّ فى استحساني
هاج ذكرى القديم فى الفن حتى ... شاقني لحنُهُ الجميلُ المعاني
كان كالدر فى العقود اذا ما ... شئت تنسيقَهُ لجيد الغوانى
كان واللهِ للعقول غذاءً ... بتأنيهِ واتئاد البيانِ
يتمشّى تمشّى البرءِ فى السقمِ ... ويشفى بلطفهِ والحنانِ
كالحكيمِ الرزين يأتي حديثاً ... ذا وقارٍ فى هدأةٍ واتّزانِ
يجد السمع فيه أوفى رفيقٍ ... لم يخالفهُ فى طريق الاغاني
وتراهُ لحسنهِ رسمتهُ ... ريشة الوجد فوق لوحِ الجَنانِ
كم قديمٍ ما زال فى الذهن حفظاً ... وجديد عنه مضى فهو فانِ
ياخوفي أن يستحيل التباساً ... بسواهُ الغربيِّ بعدَ زمانِ
فيضيع الإرث العزيز علينا ... ويُوارى كالميت بالنسيانِ
رحم الله عبده والأُلى قد ... حافظوا بعدهُ على البنيانِ

دولةُ الفنِّ في يديهم كانت ... تركوها للعزِّ لا للهوانِ
علم الله أنهم لو الينا ... بعثوا شمّروا لحرب عوان
لمَ حدثم عن القديم الى ما ... ليس منه في أصله الكرواني
أي شيء أنكرتموه عليه ... أو رأيتم فيه من استهجان
وقد اختصّ كل قوم بفن ... لم يشابه سواه في الالحانَ
لست أدري شرقيةً أم سواهاً ... ما بأذني تطنُّ في كل آنَ
عادةٌ قد ألفتها من قدم ... وتمشّى في عرقها وجداني
لست والله مخطئاً في هواها ... فهي والروح كفّتا الميزانِ
لا تعيبوا عليَّ ذوقي فهذا ... طعمُهُ والهوى له شاهدانِ
طُبعا في دمي فما أنا إلاّ ... منهما في حُصيهما وافتتاني
ألف ليلٍ من الجديد وربى ... لا لنصفٍ من القديم تداني

كلمة رثاء في داود

لمناسبة ذكراه في المعهد الشرقي سنة ١٩٣٩

اذكروا الراحل اكراماً له ... إنّ للراحل حقاً يكرم
سالمَ الناس وأرضى خلقهُ ... عارفيه وبه هم أعلمُ
ذكروه ووفوه حقه ... ووفاهم شكرَهم مني الفمُ
برهنوا ان اليهوديَّ له ... حقه لم ينتقصه المسلمُ
واحد لم يختلف عنصرهم ... وكريم فيهم العُرب الدمُ
قاتل الله المرائي انه ... سافل الطبع جبان مجرمُ
ولنعم القائل الصدقَ ولو ... لم يكن للصدق يخلو اللوّمُ
ذكروه وهو لو حياً لما ... كان الا الشكر منه يعظمُ
هو داود اذا علماً به ... شئت ان لم تدرِ يامستفهمُ
وأسير العشق منه اسمعوا ... طرباً والله كان النغم
قد بكتْ عيني لهُ في قبره ... ويغنّي وكأني أحلمُ
أيها القوم على بعدي لكم ... شكركم منّي درًّا يُنظمُ

وليرَ النازيُّ كيف الملتقى وده ما بيننا مستحكمُ
لم تؤثر للأذى دعواتهم انَّ من يدعو الى الشر همُ
وبزور السوء فى العُرب اذا بذرت لابد عقماً تعقمُ
كرهت والله نفسي ذكرهم مالهذا الذكر الا المؤلمُ

مراد فرج المحامى

رأى خبير بعلوم الموسيقى الشرقية والغربية

الاستاذ يوسف جريس

وردتنا هذه الكلمة النفيسة من حضرة الاستاذ صاحب الامضاء اثبتناها بنصّها الشائق

فى طفولته كان شديد الولع بالموسيقى التى كانت تؤثر على نفسه تأثيراً عميقاً وكان حبه للموسيقى يدفعه لأن ينزل الى حديقة الدار ليجمع منها بعض القطع من الأخشاب ليصنع منها مايشبه الكمنجة Violon والقوس Archet وكان يعزف على البيانو Piano والكمنجة Violon كثيراً من المقطوعات الموسيقية بعد الاستماع اليها



(الأستاذيوسفجريس)

ألف الموسيقى وهو صبىّ لم يتلق بعد شيئاً من العلوم الموسيقية وهو لم يتلق بعد درساً من دروس العزف عليها وبعد أن شبَّ قليلا درس الكمنجة الشرقية على الأستاذ المشهور سامى الشوا والعالم الموسيقي الاستاذ منصور عوض العظيم

ودرس الكمنجة الغربية على الاستاذ Sandy Rosdol النابغة من فينا Vienna وهو تلميذ الاستاذ Sevcik من أشهر مدرسي العالم الذي نبغ من تلاميذه Jan Kubelik الذائع الصيت من أشهر عازفى الكمنجه في العالم .

درس يوسف جريس الحقوق المصرية فى مصر واشتغل بالمحاماه حيناً وما لبث بعد زمن أن تغلب عليه حب الفن فضحى بمهنته فى سبيل رفع فنّ هو أحوج ما يكون الى من يمد اليه يد العون فأكبّ على دراسة العلوم الموسيقية الغربية منها

على يد أستاذ من نوابغ مؤلفي الموسيقى هو الاستاذ Joseph Huttel الحائز على جائزة كولدج فى سنة ١٩٢٩ Prix Coolidge كما درس أيضاً على الاستاذ المجري النابغة Jenoe Von Takaes
وبعد الدراسة تفرّغ للتأليف الموسيقي ، ومن مؤلفاته

I l'Egypte poème symphonique (pour grand Orchestre)
II Vers Un Couvent au Desert (pour grand Orchestre)
III Symphonie Egyptienne No. I (pour grand Orchestre)
I Pastorale II Au desert
III Au bord du Nil IV Finale

وقد عزف بعضاً من السمفونى المصرية الأولى للمرة الأولى فى قاعة بورت بالجامعة الامريكية بقيادة الاستاذ Huttel فى سنة ١٩٣٧ وأذيعت بالراديو على العالم الخارجي

كما انه عزف بعضاً منها فى سنة ١٩٤٢ فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الاول بالجيزة بحضور مندوب من حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الاول وبعض عمداء الكليات وكثير من علية القوم ومحبي الفن وقد نالت هذه السمفوني نجاحاً عظيما فى الحفلتين . ومن مؤلفاته أيضاً

I Porteuse d'eau حاملة الجرة
II le Bedouin البدوى
III The mumuring Scarabee الجعران المتذمر
IV Daus la Vallée des palmiers فى وادى النخيل
dediée a S.E. Mr. le Baron de Bildt

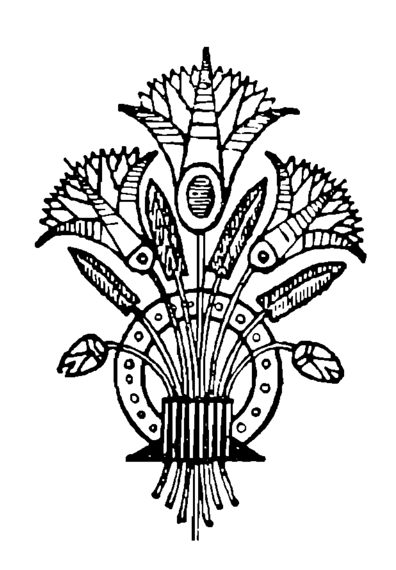
وغير ذلك . ومن رأي يوسف جريس ان الفن الموسيقيّ المصري غنيٌّ جداً بالملودي Mélodie والريتم Rhytme ولكن ينقصه الهارموني l'Harmonie فهو كالمعدن الثمين الخام فى منجم غني مستّه يد ينقصها العلم والخبرة ، ولا يمكن استغلال معدن ذلك المنجم على الوجه الأكمل إلا إذا أمكن صياغة وصناعة هذه المعادن بالاستعانة بأحدث ماوصل اليه العلم والفن من الوسائل المبنية على تبحر فى العلم وتدقيق فى البحث وتقدم فى الخبرة العلمية والعملية

فكما أن العلم لا وطن له كذلك الفن أو العلم الفنّي لاوطن له أيضاً انما يتلون بالألوان الاقليمية المختلفة ويزدهر وينمو حسب درجة نمو وازدهار ثقافة شعب ذلك الاقليم فقاعدة واحدة فى l'Harmonie تستعمل بذاتها فى بلدين كايطاليا وروسيا يؤدى استعمالها الى ظهور لونين مختلفين من

ألوان الموسيقى يرتاح الى أحدهما شعب إقليم ويرتاح الى الآخر شعب الإقليم الآخر ، ويخضع كل لون منهما الى جوّ ذلك الاقليم الفنيّ وعلمه وثقافته واحساساته و بيئته الفكرية

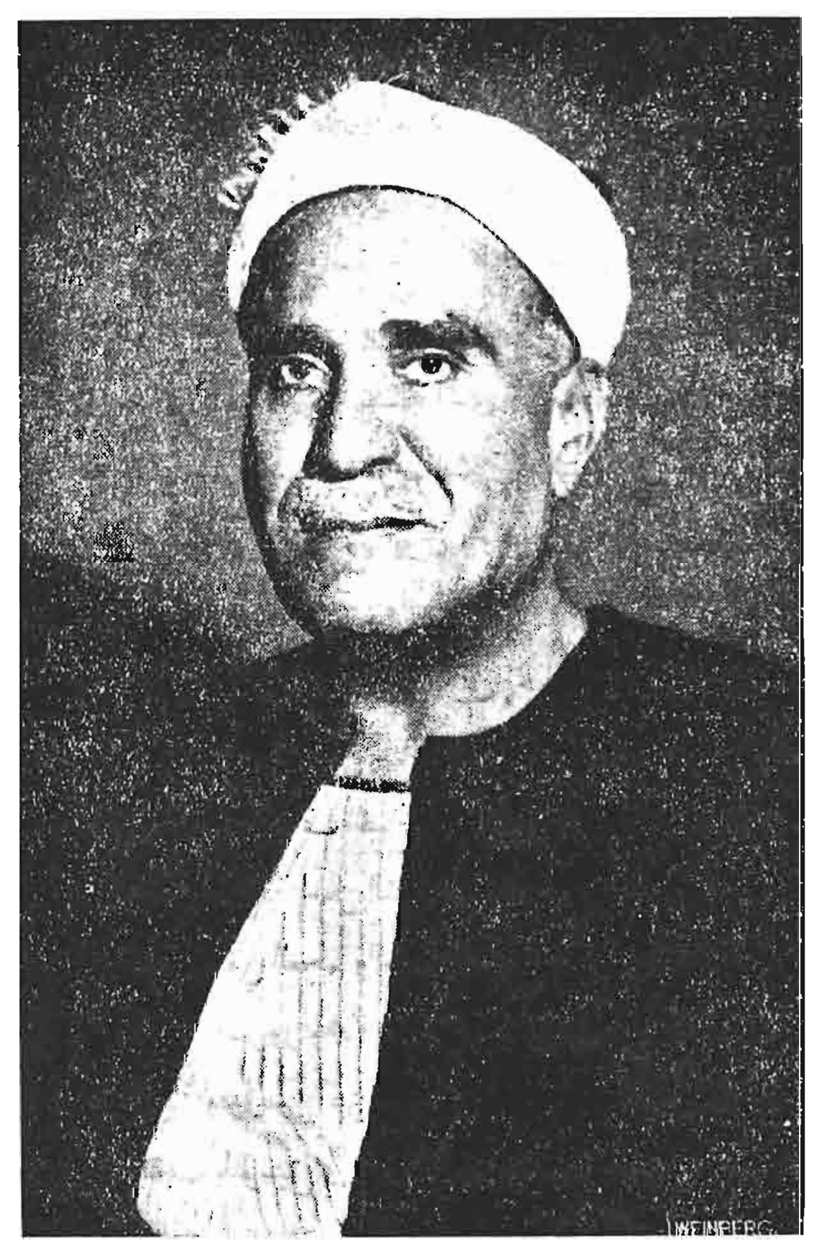
و بما أن العالم الفنى لا وطن له ، فمن رأي يوسف جريس أنهُ يجب على من اشتغل بالفنون الموسيقية أن يدرس أحدث ماوصلت اليه العلوم الموسيقبة العصرية شرقية أو غربية أو عالمية ، ومن امتزاج الاحساس المصري الصميم بالعلوم الحديثة العصرية يولد الفن المصري الحديث أساسه الاحساس المصري والعلم العصري ، والفن الوطني هو المنبع الذى يستقي منه أهل الفن مادته ليجعل منها معدنًا قابلاً للصناعة والصياغة مستعيناً بأحدث الوسائل العلمية وتوزن قيمة العمل حسب قوة الصانع وعبقرية الصائغ . هذا رأيي والله أعلم .

يوسف جريس



حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق

الاستاذ الاكبر للجامع الازهر



حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق

اتفق لى منذ عشر سنين ونيف أن أشهد حفلة إحياء ذكرى الحفارين محمود مختار وفيس ، وأسمع خطبة وجيزة ارتجلها بالفرنسية حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق استاذ الفلسفة بكلية الآداب بالجامعة المصرية وقتئذ وقد امتزجت هذه الخطبة بالأرواح امتزاج الماء بالراح لما حوته من دُرِّيِّ اللفظ وعسجديِّ المعنى فضلاً عن البعد من التكلف أو الإحالة ، وكيف لا وقد صنعت فى القلب صنع الغيث فى التربة الكريمة من غير أن يتحامل الخطيب على نفسه لان التأثير الغير واعي L'Influence Inconsciente الذى يتمثل بواسطة الألفاظ والنظرات والحركات والأعمال ،

والذى لا يُقصد منه إحداث تأثير على الآخرين ، يختلف كل الاختلاف عن التأثير الواعى L'Influence Consciente " الناتج عن الإرادة لا يصدق أثره ولا تساير خياله وكثيراً مايعجز عن أن يفلّ المخزّ ويصيب المفصل ، وقصارى القول ان الخطيب أحدث بكلمته تأثيراً صادقاً لازماً لزوم اللام للألف وتوصل الى سباك السامعين من غير قصد أو كدّ روية مما حدانى على طلب الحظوة بالتعرّف بشخصه الكريم بعد مضي أيام معدودات .

أجل ان شيخنا الأكبر وأستاذنا الأعظم الذي ألفيت فيه الرجل الجليل القدر الكامل الصفات العظيم الزهد والبعيد عن الزهو والخيلاء قد جمع بين رقة الفرنسيس وأريحية العرب حتى انه مع رسوخ قدمه فى العلم وواسع اطلاعه فانهُ يتفادى عن ذكر اسمه كما يهرب من أمام عدسة المصور فى الحفلات الرسمية ولا يتوخى فيما تدبجه براعته إلا نشر فائدة أو تقرير حقيقة دون أن يبتغي الشهرة والثناء ومَثَلهُ فى ذلك مَثل البنفسج الذى تنم رائحتهُ الشذية عليه مع اختبائه فى أثناء العوسج وهو وأيمُ الله حريٌّ بأن يلقب بفيلسوف الشرق ، شأن كل عبقرى مثله لا يشعر بعبقريته على حد هوميروس وشكسبير واسحق نيوتن ، وهو يبطىء إذا تكلم أو غضب ، ويسرع إذا سمع ، وقد عاب النبى (صلعم) المتشادقين والثرثارين .

ولا يسعنى الا أن أنوه بما لفضيلته فى إحياء ذكرى نابغة الفن عبده الحامولي من السبق والقدم وأنشر طراز محاسنه فى المجالس لما أسداه من معروف فى هذا المقام تخليداً لذكر العباقرة من المصريين واحتفاظاً بما خلفهُ لنا السلف الصالح من كنوز فنية ومآثر جليلة فى الفنون الجميلة

ولا غرابة فى هذا العمل الشريف والتشجيع الانسانى البادين من شيخنا الأكبر لما أن المصطفى المنتسب نبي العجم والعرب قد أباح على ما جاء بالأحاديث الشريفة الغناء وسماع آلات العزف فى مجامع السرور ومحافل الأفراح والطرب وأن طويس هو أول من غنى غناء عربياً في عهد الاسلام بالمدينة وأول من هَزج مما تعلّمهُ من سبي فارس والروم .

وقد شغف بالموسيقى فى أبان ازدهارها لعصر الدولة العباسية أمراء وكبراء بنى العباس وتعلموا العزف على العود الذى عني به كثيرون من الخلفاء كيزيد ومسلم بن عبد الملك وابراهيم بن المهدى وأبو عيسى بن رشيد وغيرهم .

ومما جاء بكتاب الأغاني لأبى الفرج الاصفهانى ان ابن مسجح وهو موسيقيّ أسود مشهور وأصله من مكة ، لما درس الموسيقى اليونانية والفارسية نقل عنهما إلى الموسيقى العربية ألحاناً كثيرة

بعد أن جرّدها من بعض نبراتها وأصواتها الغريبة وكان أشهر من ألف فى الموسيقى أبو النصر محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي من رجال القرن الرابع وهو أكبر فلاسفة المسلمين والرئيس أبي علي الحسين بن سيناء كتاب المدخل الى صناعة الموسيقى وكان الغالب على أبناء موسى بن شاكر وهم محمد وحمد وحسن من العلوم الهندسة وغيرها وكان للرازى و يعقوب الكندي الملقب بفيلسوف العرب عدة مصنفات فيها ، وممن اشتهر بها أيضاً ابن باجة السرقسطي المعروف بابن الصائغ وهو من أكابر فلاسفة العرب بالأندلس . ولعبد الله بن عبد الله الطاهر من أهل العصر العباسي الثاني كتاب فى النغم وعدد الأغاني سماه الآداب الرفيعة وقد كتب ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى من أهل القرن الثامن الذى زار الجامع الازهر ليستعصي بمسكاته مقالا نفيسا فى تاريخ الموسيقى وفلسفتها تحت عنوان (فى صناعة الغناء) .

ولا عجب أن يكون الشيخ احمد بن موسى بن داود جد الصلاح العروسى الشافعي شيخ الجامع الأزهر من أكابر الوشاحين وأن يكون الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتى الديار المصرية والشيخ على الليثى شاعر الخديوى اسماعيل من أعاظم الناظمين لأدوار عبده الحمولي .

وأختم هذه الكلمة بنشر صورة خطاب تفضل بارساله اليّ حضرة صاحب الفضيلة سيحنا الاكبر لمناسبة عزمي على إقامة تمثال لفقيد الفن « عبده الحامولي » وذلك رمزاً الى تضحيته وتهافته على عمل الخير .

« حضرة الأديب الفاضل الاستاذ قسطندى رزق

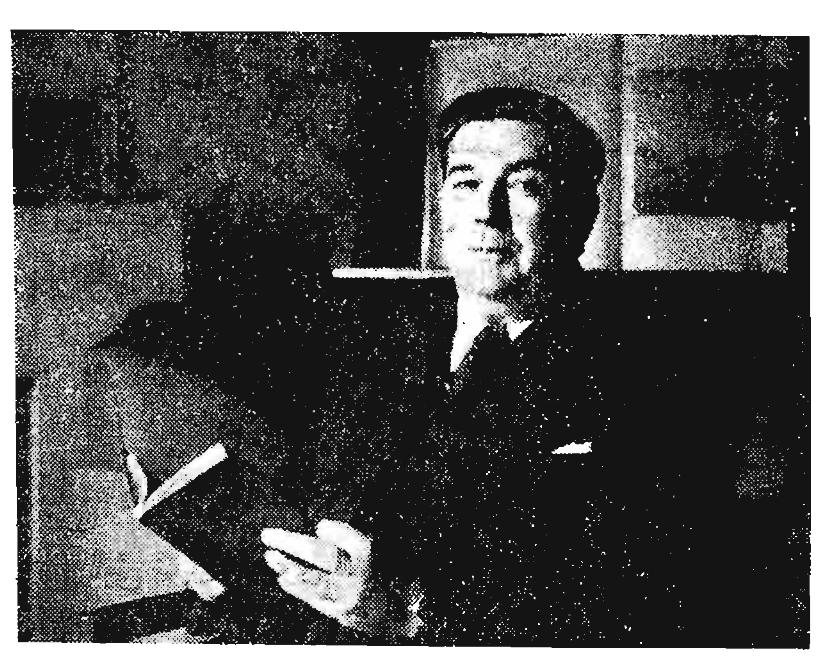
أهديكم أطيب التحيات وقد قرأت كتابكم الذى تفضلتم بارساله اليّ متضمناً اقتراحكم فى شأن اقامة تمثال للمرحوم عبده الحامولى .

وإني لأعلم صدق اخلاصكم فى خدمة الموسيقى العربية وفى محبة الموسيقي الكبير المغفور له عبده الحامولى وانى لأكبر فيكم هذا الاخلاص وأعرف ماجشمكم من عناء واني لمستعد للمساهمة معكم فى اقامة تذكار لإمام الموسيقيين فى الجيل الماضي ولو علمت فى نفسى نشاطًا ومرانًا لأجبت رغبتكم فى أن أتولى رئاسة هذه الحركة والدعوة اليها وستجدون بين المعجبين بفن عبده من هو أليق مني وأخبر بأسباب النجاح . وأشكركم على حسن ظنكم بي وأرجو لمشروعكم كل توفيق وأكرر لكم أحسن التحيات

١٠ يونية سنة ١٩٤٤ (الامضاء)

٢٤ شارع الخليفة المأمون بمنشية البكرى مصطفى عبد الرازق

الليسيه فرنسيه



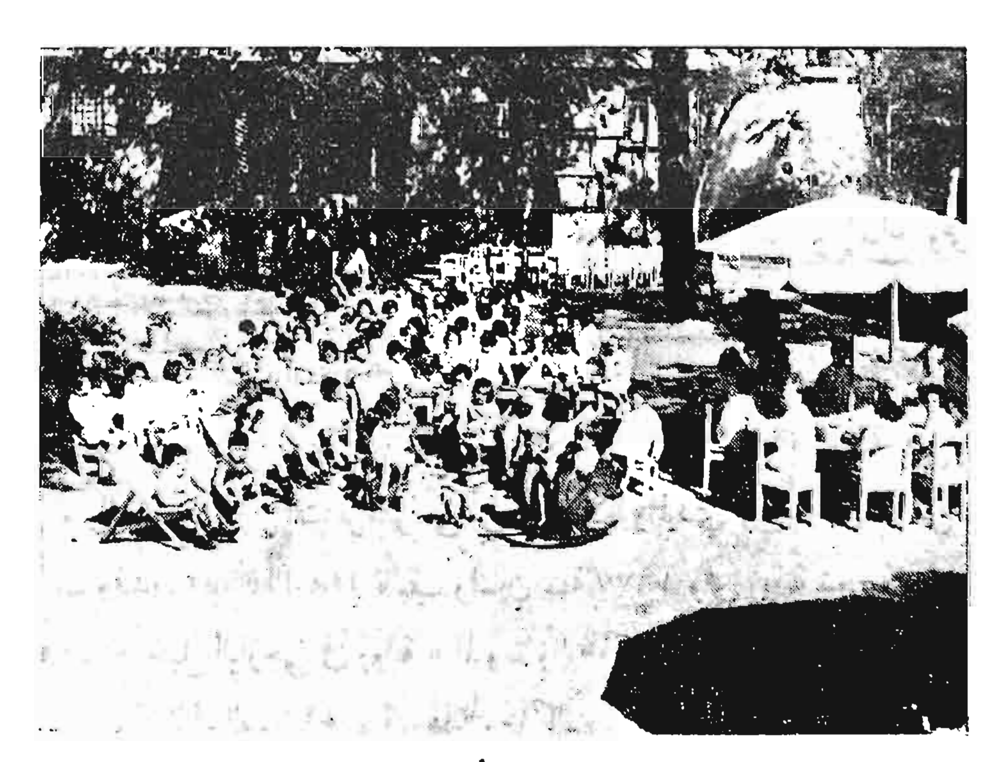
صورة المسيو جوسار

لا حاجة الى وصف هذه المدرسة مع امتداد شهرتها واتساع نطاقها وانتشار تلامذتها وتلميذاتها فى أنحاء القطر وغيره وكثرة المتخرجين فيها من نخبة شبان مصر وأذكيائهم الذين شغلوا مراكز مهمة فى المصالح والشركات المصرية وانخرطوا فى سلك الاعمال الحرّة

وليس من غرضنا فيما نذكره هنا إلا أن ننوّه بالأساليب الحديثة التى أحكم الجرى عليها حضرة العالم العامل المسيو اندريه ماري جوسار مدير المدرسة تذرعاً الى نشر أنواع العلوم والفنون الجميلة فى البلاد ، وهو لا يألو جهداً فى إرشاد التلاميذ الى أحدث الطرق تقويماً للأخلاق وتكويناً للشخصيات وتوخياً للفائدة وذلك بفضل ما أوتي من علم ثاقب وذهن صافٍ وقلبٍ عليم بتطورات أساليب التربية تبعاً لمقتضيات العصر على ضوء تجاربه واختباراته وحسبك ما يقيمهُ من حفلات موسيقية وما يشخصه التلاميذ من روايات تاريخية فوق المسرح تقويماً للأخلاق ورفيها لأرواح النشء وتدريباً لهم على حب الجمال والكمال أما الدروس التى تُلقَى فى الدائرة العالية لهذه المدرسة بارشاد أساتذة من ذوى التبريز فهي آداب اللغة والعلوم على مختلف أنواعها والفلسفة مما يعدّ حملة البكالوريا وحاملاتها لتأدية الامتحان بالسربون والتمكن من الانتفاع بالعلوم الجامعية فى حالة الاحتياج الى علم يستزيدونه وكذلك فان كل طالب يدرس فى الدائرة الثانية الطبيعة والكيمياء والبيولوجيا يستطيع مزاولة درس الطب فى فرنسا والامتياز بتوفير سنة من مدة الدراسة ويتبع هاتين الدائرتين دائرة العلوم الرياضية الخصوصية الإعدادية للمدارس

الكبرى (المتوسطة ومدارس المعلمين والهندسة والحواجز والكباري) وفيها تتلقى هذه الدروس على حد سائر مدارس فرنسا مع العلم ان الدروس الليلية العملية والفنية التى تعطى فيها فانها تؤهل الطالب لنيل شهادة مساعد مهندس فى فن تشييد المبانى وكذلك الدروس التحريرية الليلية العربية والفرنسية فانها تخول للطالب الحصول على ثلاث شهادات أولاها مسك الدفاتر العربية والثانية مسك الدفاتر الفرنسية والثالثة أشغال السكرتيرية

ولم تقتصر جهود المسيو جوسار فى الحقل الثقافى على الطلبة الكبار فحسب فانه وجه عناية خاصة صوب الأطفال - رجال الغد - بأن شيد بناء خاصا بتعليمهم نوافذه محلًى زجاجها بصور تمثل حكايات لافونتين جاعلا الصبورة (التخته) تحاكى بلونها الازرق أحلام الصبيان والقماطر مدهونة بألوان زاهية مفرحة للغاية ، والغرض من هذا كله تقوية معنى الشخصية فيهم وبث روح الرغبة فى



الاطفال جالسون تحت أشجار حديقة المدرسة

حب الجمال والانتاج وتمرينهم شيئًا فشيئًا على حفظ الصحة والنظافة ومعرفة سر الحياة والارتكان على الذات مع التردد على المعارض تقويةً لملكة البحث والاستنتاج . أضف إلى ذلك تمرين هواة الطلبة على تمثيل الروايات الفرنسية فوق خشبة مسرح الليسيه ويتبع ذلك قسم خاص بتعليم الموسيقى وفقًا لبرامج التعليم فيها وتدريب الصبيان على غناء قطع موسيقية " Solfège " داخل الفصول

والرقص على توقيع النغمات الموسيقية danse rythmique مع العلم ان فى الاقسام الخاصة بكبار الطلبة تدرس أصول الموسيقى وتاريخها وما يتعلق بها وهذه أحدث الطرق التى سلكها المدير المذكور ولم يسلكها سالك من قبله

ولا يسعنا فى النهاية الا أن نقضى حق الشكر على تفضله بالترخيص لنا فى اقامة حفلات موسيقية شرقية بالمجان بصالة الليسيه إحياء لذكرى نابغة الفن عبده الحمولى مطرب الخديوى اسماعيل باشا طول عدة سنين فنحن نثني أجمل الثناء على جناب مدير هذا المعهد الخطير ونهنئه بما ناله من توفيق وفلاح وبما خُص به من نبل النفس وشريف المساعى وتقديره عمل العاملين من أبناء وادى النيل ، جزاه الله خير ماجزى به الساعين فى خدمة العلم ورفع لواء الفنون الجميلة فى ظل جلالة مليكنا المعظم الفاروق والله لايضيع أجر من أحسن عملا .

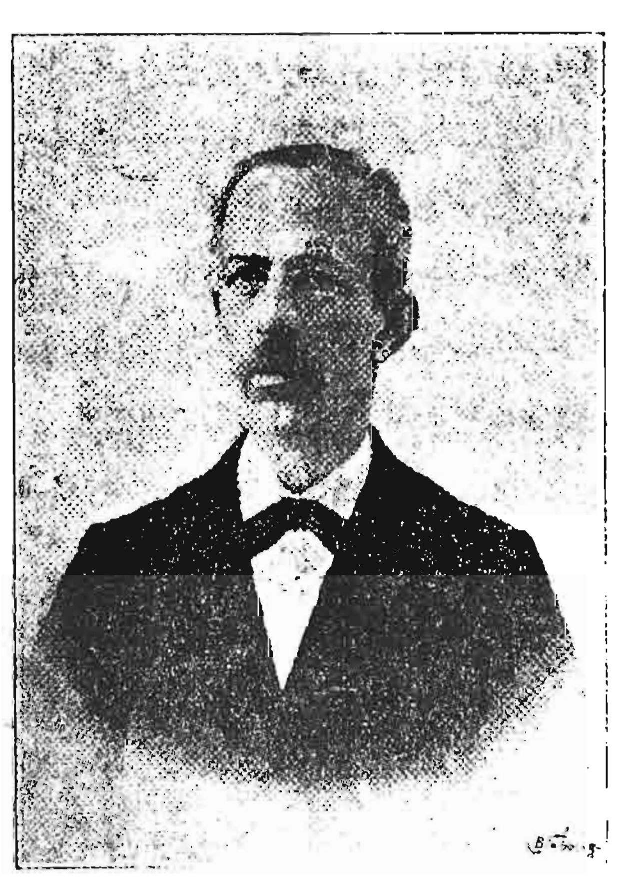
خدمة الشيخ نجيب الحداد لفن التمثيل

يعد الشيخ نجيب أول من أجاد تعريب الروايات الافرنجية وأبدع فيها أيما إبداع وهى كثيرة العدد ولولاها لما قامت لفن التمثيل قائمة وتكاد تُقدَّر بدون غلو بثلاثة أرباع الروايات التى مثلتها جميع الأجواق التمثيلية فى القطر السعيد كما انه عرَّب أيضاً روايات قصصية كثيرة أكثرها عن دوماس . أما المطبوع من رواياته فهو « صلاح الدين الايوبى » ، أما رواياته الخطية فهى حمدان وشهداء الغرام والسيد لكرنيل الشاعر الفرنسى ابي التراجيديا والمهدي والرجاء بعد اليأس والبخيل وثارات العرب وفيدر (Le Phèdre) تأليف راسين سنة ١٦٧٧ وهى رواية شعرية جرى فيها على أسلوب خاله الشيخ خليل اليازجى فى رواية « المروءة والوفاء » الشبيهة بالاوبريت وهى لسوء الحظ لم تمثل لعدم قدر هذا البلد الفنون الجميلة قدرها ، وقتل القيصر وسيناء وبيرينيس وعداوة الاخوين وزايير وأوديب

أما رواياته القصصية التى عربها فأولها الفرسان الثلاثة بجميع أجزائها نالت من الشهرة بين الناطقين بالضاد ما نالتهُ بين الفرنسويين ثم رواية غصن البان للامارتين (ولها واقعة حال لطيفة وهى لما حوت من عواطف ووجدانات أبدع فى وصفها الشيخ نجيب كانت موضع إجلال وتقدير لأحد القراء ولذا أقسم بالله ليُقبلن يديه اعجاباً به عندما يراه لأول مرة وبرَّ بقسمه) ورواية فرسان

الميل وغرام واحتيال وفضيحة العشاق والعاشقة المتنكرة وحديث ليلة وغير ذلك مما دبجته براعته وامتلأت به خزانته

تقريظ الشيخ ابراهيم اليازجي لرواية صلاح الدين



الشيخ ابراهيم اليازجي

وإليكم ما قاله الشيخ ابراهيم اليازجي تقريظاً لرواية صلاح الدين

لم يبق فى أدباء القطر من لم يشهد تمثيل هذه الرواية البديعة لما حازتهُ من الشهرة والاستحسان عند كل من حضر تمثيلها ورعى مناظرها وفصولها ، وهى إحدى الروايات التى دبجتها براعة الشاعر الناثر نجيب افندي الحداد الكاتب المشهور وقد طبعها فى هذه الأيام إجابة لطلب الكثيرين من الأدباء ، وتداركاً لما طرأ عليها من تحريف النسَّاخ والممثلين وزيادات الرواة والملقنين ، مما شوّه محاسنها وألزم مؤلفها ما لم يكن به عهد ، وقد أطرفنا بنسخة منها كانت عندنا من أنفس الذخائر وأحقها بان تُجمع عليها يد الحرص وانما نُحرص على الجميل النادر حتى إذا فتحنا خزانة أعلاقها وأخذنا نقلب الطرف فى ودائع أوراقها إذا فى ضمنها هديةٌ أخرى لاتتعلق بها هدية الورق والمداد ولا يُقاس بها ما أُودعتهُ من الفكاهة والأدب وان كانا مما يُشرى بالطريف والتلاد فقد صدرها باهداء هذا الأثر النفيس الى صاحب هذه المجلة مزفوفاً بين ثوبين من خالص الحب ورفيع التجلة فى كلام كان على فؤادنا أعذب من الماء الزلال قد حوى من جميل المعاني مالا يستغرب مثله من ابن أخت فى خال ، وما نحسبه قد اختصنا بهذه الطرفة الحسناء دون من أشار اليه من ذوي الثراء الطائل الا تنزيهاً لها عن

أن تُعادل بثمن أو تقابَل بنائل وتنبيهاً على أن أمثال هذه الجواهر أكرم من أن تُبذَل فيها الاعراض وأجل من أن يُتزلَّف بها الى أحد لنيل غرض من الاغراض فما أجدرنا ولا كفاء لها عندنا يقابَل بهِ هذا الاهداء أن نوفيها ما يستحق مثلها من التقريظ والثناء على أنَّا لا نقول فيها الا الحق وان بلغناه فحسبها به مغنيا عن الاطراء

أما سياق الرواية فانه مبتكر من عند مؤلفها لم ينقله عن عربي ولم يقلد به أعجمياً ولم يودعها من غير بنات أفكاره سوى الوقائع التاريخية التى مثلها للأبصار حتى كأن حاضرها من شهود تلك الاعصار وقد ألبس كل مذكور فيها ثوبه الذي يبرز به بأخلاقه وصفاته ووضع على لسانهِ الكلام الحريّ بأن يدل على سجيته وموضعه وحسبك من ذلك ما مثل به السلطان صلاح الدين من سعة الحلم ودماثة الأخلاق وعلو الهمة ورحب الصدر والعدل المتناهى والشجاعة المقرونة بالحكمة والحزم، مما هو جدير بمثل هذا الملك العظيم، ومما لا يُبلَغ مثل منزلته بين الملوك الا بمثله فى الصفات والخلال

وبعد أن وصف عبارة الرواية بأنها عارية من هذا السجع الثقيل الذى يلتزمه أكثر المؤلفين فى هذا الفن قال انها لا تخلو من مواضع قد درج فيها على السجع المتين الفواصل المحكم الوضع حيث يقتضيه السياق مما كان فيه وصف واقعة مهمة أو أمر خطير أو تمثيل شيء من حركات النفس وانفعالاتها إذ السجع نوع من الشعر لا يحسن الا فى مقامات التخييل وحيث يتلاعب المنشى بضروب المعاني فيأتي بالاستعارات والكنايات وغير ذلك من فنون التعبير، أما شعرها فغالبه فى الغاية من الجودة وحسن السبك مع ابتكار كثير من المعاني بحيث انه على كثرته فيها وعلى كون مقام النظم فى مثل هذا مما يتكلفه الشاعر إذ لا باعث عليه من نفسه ولا محرّك له من وجدانه تراه مطرد المحاسن غير متخلف عن النهج المطبوع، ولولا ضيق المقام، لأوردنا من شواهده ما يكون فكاهة المطالع على ان شهرة هذه الرواية وكثرة تداولها ما يغني عن ايراد الشواهد، وهناك جهات أخر يتنبه لها العارفون بهذا الفن وروابطهِ اكتفينا منها بما ذكرناه، فانَّا لو أردنا استيفاء الكلام على جميع محاسن هذه الرواية لطال بنا القول الى مالا يحتمله هذا المجال، على اننا مع ما ذكرنا لها من الحسنات لا ندَّعي لها انها بنجوة عن مطارح النقد ولكنك إذا اعتبرت انها أول رواية وضعها من عند نفسه كما صرح بذلك فى مقدمتها وانه راعى فى كثير منها فهم العامة مما يقضى عليه بالتساهل أحياناً فى وجوه التعبير لم تعدم له فى جنب ذلك عذراً

فنحن نهنئه على ما أصاب بقوة ذكائه من السمعة الحسنة والذكر البعيد ونتمنى له من لباس السلامة ما يبشر الآمال منه بالخلف الحميد ان شاء الله تعالى بفضله واحسانه »

كان الشيخ نجيب الحداد أسبق فرسان البراعة فى حلبة النظم والنثر وأحد نوابغ النبعة اليازجية الكريمة ، كان حاد الذهن ، سمح البديهة ، يرتجل القصيدة الطويلة على ريق لا يبلعه ، وإذا كُلِّف الكتابة – فى أى موضوع – بارى خاطره قلمه فهو الناظم الناثر المعرِّب الذي لم يقف قلمه ولم يجفّ قرطاسهُ طول حياته ، فى تحرير الجرائد التي تولاها وأصدرها وتعريب الروايات وهو حريٌّ بأن يُكنى بأبي الروايات والقصص ويسمى بشكسبير العرب ولله دَرُّ كارليل إذ قال فى شكسبير ما يلى « نحن الانكليز نرى شكسبير أنفس لدينا من الهند لأنه هزَّ بقصائده معاطف الأمة الانكليزية فأوردها موارد الصفآء وأصعدها مصاعد العلآء وحبّبَ اليها الجمال والجلال وأطمعها في العلم والكمال وانَّ فتح الهند المشتملة على مئات الملايين من الأنفس انما كان من ثمرات تلك الشجرة الأدبية التى غرسها يد شكسبير فى هذه الأمة العظيمة ولولا أن يكون الأدب هو مصدر الانبعاث الروحي ما كان الالمان فُتنوا بعوثا الى حدّ انَّ شباناً كثيرين انتحروا من شدة التأثر باحدي رواياته » وقد أنعم عليه سلطان زنجبار بوسام الكوكب الدُرّي من الدرجة الثالثة لتفانيه فى خدمة العلم وممن حضر بعض رواياته الدون كارلوس ملك اسبانيا المطالب بالعرش يومئذٍ فأهدى اليه دبوساً مرصعاً وبعث اليه برسمهِ مذيلاً بعبارةٍ بخط يدهِ إجلالاً لهُ

نقد الشيخ ابراهيم لرواية عذراء الهند التى ألفها شوقى بك

قال الشيخ ما يأتى : فانَّا نتخطّى موضوع الرواية الى ما أُلبسته من العبارة العربية نومئ الى بعض ما فيها من مطارح النظر قضآءً لحق النقد ووفآءً لما أرصدنا له أنفسنا من الخدمة العلمية وهو لا جرم شأنٌ كنا نودُّ التفادي منه حرصاً على ولآء المؤلف لعلمنا بما للنقد من الوقع فى نفوس الكثيرين من ادبآئنا بالقياس الى ما ألفوهُ من نغم كثير من الجرائد وتهافتها على الاطرآء تزلُّفاً وتمويهاً أو جهلاً وتقصيراً ومعاذ الله أن نكون ممن يقبل على الحقّ رشوة ويرضى من أمانة العلم ثمناً

برهة الزمن الطويل بخلاف هنيهة من الزمان أرهف أُذنيه وحدد سمعهُ ولا يقال أجهد أذنيه الشركَ حبالة الصائد والشراك السير تُشَدّ بهِ النعل تواكل القوم اذا اتكل بعضهم على بعض

وقولهُ في صفة الحب

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ
ففراقٌ يكونُ منهُ دواءٌ أو فراقٌ يكونُ منهُ الداءُ

وانظر أين هذا النظم المنسجم والألفاظ المختارة من مثل ما ذُكر من كلامهِ في النثر وما ركب فيه من الغرابة والتكلف والتعقيد والبعد عن مقام الفصاحة وهذا ولا جَرَم مما يدلّك على أن كلاً من النظم والنثر لغةٌ قائمةٌ بنفسها لا يُحسنُها غير أهلها وان ما اشتهر من قولهم كل شاعرٍ ناثرٍ قولٌ لا يَطرّد صدقه ولا يبنى عليه قياس بل اذا اعتبرتَ كلّ فريق من أرباب هاتين الصناعتين ظهر لك من التفاوت في طبقات النثر وعلاقتهِ بالطبع وتوقفهِ على المزاولة والاشتغال ما لا ينحطّ عما تراهُ من مثل ذلك في النظم بل الأمر في النثر أضيق مسلكاً وأوعر سبيلاً لانَّ في النظم ما يستر عيوبهُ ويستدعي المعذرة لقائله من التزام الوزن والقافية على ما فيهما من مشاغلة السامع أحياناً عن نقد الكلام والتنبُّه لما فيه من العوار وليس في النثر شيء من ذلك ولكن كل عيب فيه يكون بادياً لا يستره ساتر ولا تتهيأ عنه معذرة لعاذر . ويشهد الله إنا كنا نودّ للمؤلف لو لم يُجرِ بهذا التأليف قلما فان الرجل معروف بالشعر من الطبقة العالية مشهودٌ لهُ فيه بأنه من الطراز الأول وحقيقٌ بمن بلغ في أمرٍ من الأمور منزلةً يكون فيها من رؤساء أربابه أن لا يتصدَّى للدخول في فئة ينزل فيها عن رتبتهِ ويعدُّ بينهم آخراً فان اهمال بعض الأمر لا عيب فيه إذ لا يتعيَّن على المرء الاشتغال بالأمور كلها ولكن العيب كل العيب على من انتحل أمراً وقصَّر فيه

ومن رشيق نظمه في هذه الرواية وانما نعني الصناعة اللفظية قولهُ

أنا في تطلابهِ وهو لديَّ مطلبٌ مرٌّ ولم يلوِ عليَّ
قد تركت الهند أطويها لهُ وهو يطويها وما يدري اليَّ
والتقينا ما خطا لي خطوةً لا ولم انقل اليه قَدَميَّ
يا لملاكٍ راح عني نائياً كان لو فتَّشتُ عنه في يديَّ

لذلك أمسكنا عن الخوض فيها ميلاً الى الاختصار وتخفيفاً عن المطالع .

ليل ياليل

جرت العادة منذ القدم فى مصر وفى سائر الأقطار الشقيقة التى يستهل المغنّي الغناء بليل ياليل بعد أن تطرب الى أبعد حدّ التقاسيم من الآلات الوترية والناي فوق التخت ويستفز عواطفه ووجدانه الموشّح العربى الساحر المنضّد الالفاظ النبيةُ الأغراض وذلك تمهيداً للدخول الى المذهب فالدور فالقصيدة على حدّ قول المثل السائر (قبل الرمي يراش السهم) مما يخالف أساليب بعض المجددين وكثيرٌ ماهم فانهم طووا كشحاً عن تقاليدنا الشرقية وخالفوا نزعاتنا القومية فى هذا البلد – مركز الزعامة للوحدة العربية – ولم تقتصر وياللأسف جهودهم المتتابعة على مسخ محاسن الفن العربى الأصيل فحسبُ بل شحذوا عزائمهم لمحوْ مابقى لنا منهُ من لوح الوجود وأخذوا يبشرون على صفحات الجرائد السيّارة والمجلات بان الموسيقى الشرقية مملّة وغير قابلة للتمشي مع التطور الحديث الذي من مميزاته العجلة والخلط والخبط خبط العشواء إبتغاء هدم الفن القديم واقامة الجديد على انقاضه فأولُ مَن نشط لهذه البدعة الشبان الذين على اكتافهم يبنى صرح المستقبل ونزلوا على حكمهم بلا تبصرة ولا رويّةً وانّا لعاذروهم فيما أتوا لانهم لم يسمعوا لسوء طالعهم الغناء القديم ولعلنا نجدهم اليوم بما يدبّ فى عروقهم من النخوة العربية ويلعب فى صدورهم من روح الاستقلال مخفّضين من غلوآئهم وعاملين على حفظ فنّهم العربى من عبث العابثين وليس ذلك عليهم ان شآؤا بعزيز

المراد هنا بلفظة « ليل » مناداة الليل بالذهاب والفرار من وجه الشاكي الباكي المتألم السقيم والمغرم المُضنى الذي طال سهره وكواهُ الحبّ بنار الفراق وكأنى بالمغنّى يقول « ليل أصْبِحْ أي ياليل مُرّ واخطف خطفاً منكراً ليطلع ضوء الصباح الذي فيه يلمع فى غُرّة العاشق نور البشر ويغمض عنهُ بَصر العذول والحاسد وهو تمنّ لا أكثر ولا أقلّ . وكم يكون الليل طويلاً وطلوع الصباح بطيئاً على من لذع الحبّ شغاف قلبه أو وقَعَ فى خطرٍ على حدّ قول النابغة

كليني لهمٍ يا اميمة ناصبِ   وليلٍ اقاسيهِ بطيء الكواكبِ

فيتبيّن مما تقدّم ان لفظة « ليل » عربية صرفة أما تفسير حضرة الحاخام الاكبر حايم افندى ناحوم لهذه الكلمة بان معناها الفرح وانها ترجع الى لفظة هليل العبرية وهليلويا – أى احمدوا الله –

على ما جاء بمزامير النبي داود (عم) وتفسير أحد أئمة اللغة القبطية لها بالفرح أيضاً على ما جاء بتراتيل مريم (عم) ليلي أولالي أو ماريا أي افرحي يا مريم فتكون اذن قبطية فيما يظهر لهُ فهما بعيدان عن المقصود كل البعد لأن لامعنى هنا للفرح لأن الليل مصدر الهموم ومقرّ الاحزان والذكريات وموعد السمر والاغتباق ومناجاة العشاق وقد خصه الله لراحة الانسان على ما جاء بالقرآن الكريم « وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً »

ولما كان الرجوع الى الحق محمدة فاننا نبادر الى تكذيب ما نشرناه فى المقطم الاغر بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٣٩ عن هذه اللفظة بانها ترجع الى أصل عبري والحق الذى لامرية فيه أنها عربية محضة سبحان مُقلِّب الليل والنهار من له العصمة وهو حسبنا ونعم الوكيل

وتأييداً لما قُدّم بيانهُ لابأس من إيراد ماغنّاهُ ابو كامل الغزبل للوليد ذات يوم

نم من كان خليًّا من ألمْ ... وبدآئى بتُّ ليلي لم أنمْ
أرقبُ الصبح كأنى سندٌ ... فى اكف النوم تغشانى الظُّلَمْ

وقال أمرؤ القيس

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ ... بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثلِ

وقال ابن الفارض

ياليل مالك آخرٌ ... يُرجى ولا للشوق آخِر

ومن مربعة ابن دريد قولهُ فى الليل

(حرف الرآء) ربَّ ليلٍ أطالهُ ألمُ الشو ... ق وفقدُ الرقادِ وهو قصير
(حرف الكاف) كم ليلة قاسيتها بسهادها ... والقلب تحت لظى الهوى مسبوكُ
(حرف النون) نمت عن ليلٍ مدنف حيرانِ ... نومُهُ نازح عن الأجفانِ

ولا يفوتنا أن نستشهد فى هذا المقام ببعض المواليا والموشحات والادوار التى كانت متداولة بين مشاهير المطربين لعهد الخديوى اسماعيل

موال فيك ناس ياليل بيشكو لك مواجعهم ... بالله ياليل ماتبقى تواجعهم
أجريت ياليل على الخدين مواجعهم ... باتواسهارى بطول الليل نوّاحين
من خوف ياليل لا يطول المدى معهم

واليكم من الموشحات والأدوار ماينا سب المقام

موشح يانواحي فى نواحي وهيامى واقتضاحي مع مِلاحي زاد غرامي
طول ليلي ساهر كالنجم الزاهر محبوبى قاهر أملي ذا الغالي

دور قديم كل من نامت عيونه ، يحسب العاشق ينام ، والعاشق مغرم صبابه ، ماعلى العاشق ملام.

يطول الليل اذا انصدع شمل الحبيبين وبالعكس فانه يُخيّل لهما أنه يسرع فى السير اذا اجتمعا بعد الافتراق فيتمنيان أن يطول بدليل ماجآء مقتصباً فى الموشحين الآتيين

ويالبلة الانس دومي لنا ، لان الحبيب علينا رضي ، طولي ياليلة الوصل ولا تعجلي واسبلي سترك فالمحبوب في منزلي

ما أطول أمل الانسان على قصر حياته فى هذه الدنيا وهو على ما قالهُ شكسبير عكاّز العاشق وهو بعبارة أخرى أحلى الاحلام في الحياة وآمن مقرّ للحزانى وقد وصفه الشاعر الانكليزي سوين فى بعض أبيات لهُ بانه الشمس البديعة التى تُكوِّن جميع ماتقع عليه أشعّتُها ومنارة بحر الحياة الموحش وينبوع الحس الفتيّ الحارّ الى غير ذلك من الوصف الذي لاغلوّ فيه ولا ابعاد عن الحقيقة وهو أظهر مايمتاز به شعر الغربيين عن شعر الشرقيين والذي حدانا على إيراد وصف الأمل ما ترمز اليه صورة الفجر من معان طبيعية رقيقة وهى تمثل عربة تجرها الخيل البيض العتاق وتسوقها حسناء كأنها ظبي من ظباء عُسفان وقد أطافت بها حوريات من حور الجنان يتبخترن مسرقات الجبين وممسكات بأيدى بعضهن بعضاً وهذه العربة تسبق عربة الشمس



(الفجر)

الآتية اتكال الفجر بأشعتها وقد وصف اليونان والرومان جميعاً الفجر بالاهة العشق التى استوت على عرشها وبرزت بثوب بهآئها لترشّ الارض بالندى الناصع وتفتح وهي بالقناع أبواب الشرق بأصابعها الوردية—

ومن ألطف ماينطبق على هذا الوصف البديع مايختم به عبده الحمولى حفلته الغنائية عند الفجر بالموال الذى مطلعه « الفجر أهو لاح قوموا ياتجار النوم » وفقاً لما اشتهر به هذا المطرب الفذّ من رعاية المناسبة

ياعـــين

العين أشرف الحواس وأدقها تركيباً وأوسعها إدراكاً وأصدقها دلالةً على ماتكنّهُ القلوب بها يتخاطب المحبّون اذا بطل لغة اللسان وعلى الجملة فالعين أصل الهوى ومصيدة الظباء ومبعث النشوة والصفاء ومصدر الفتنة والشجون وقد جاء في سحر العين عن كتاب الأغاني ما يأتي

كان لمنصور زلزل أشهر الصار بين بالعود جاريةٌ علّمها العزف والغناء ولما مات دُعيت للغناء في حضرة الرشيد فقال لها غنّي صوتاً فغنّتْ

العين تظهر كتماني وتبديهِ	والقلب يكتم ماضمّنتُهُ فيهِ
فكيف ينكتم المكتوب بينهما	والعين تظهرهُ والقلبُ يخفيهِ

وقال الشيخ ناصيف اليازجي

لله مقلتُها السوداءُ صائدةً	قلوب عشاقها والقُرطُ راعيها
وبي رقاقُ ليالٍ في النقاءِ وَفَتْ	بيضُ اللقاءِ فما أهنى لياليها

وقال الشاعر العربي

عيونٌ من السحر المبين تبينُ	يسالمُها العشّاقُ وهي تخونُ
مراضٌ صحاحٌ ناعساتٌ يواقظُ	لها عند تحريك الجفون سكونُ
اذا مارأتْ قلباً خليّاً من الهوى	وأومتْ اليه حلّ فيه شجونُ
وماجرّدتْ من مرهفاتٍ وانما	تقولُ لهُ كن مغرماً فيكونُ

وفي الغناء كثيرٌ من وصف لسحر العين الذي نظمهُ الشعراء حتماً مثل نظرةٌ فابتسامة فسلامٌ ، والصبّ من أول نظرة ، ويا قمر داري العيون أصل جرح القلب لحظك ، وجمالك يافريد عصرك ياحاكي البدر في تِمّه واخوك الظبي ان شافك ، عشق ذاتك سلي همّه انا في الهوى صيّاد جيت اصطاد صادوني ، بلا شبكة ولا سنّار برمش العين ضادوني وأصل الغرام نظره ياشبكتي م العين وما شاكل ذلك

معلومٌ ان سعراء العرب اذا مارأوا حسناء تعشّقوها ونظموا فيها الابيات ولم يخلُ نظمٌ لشاعر إلا وفي مقدمته الغزل والتشبيب وكلنا في الهوى سواء فضلاً عن الشعر لايحسن الا بالتشبيب

والشواهد في ذلك كثيرة لو شئنا أن نذكرها كلها لاقتضى لا مجلداً بل مجلدات فاقتصرنا منه على ماقلّ ودلّ

وقصارى القول ان الغناء العربي فيه من التأثير على القلب والعقل والأذن وغريب التطريب مايقصر عنه الغناء الافرنجي والاستهلال عند التغنّي بليل ياليل ياعيني ضربٌ لازب . والموسيقيون الشرقيون غير مقيدين ولو تقيدت الالحان العربية وضُبطت بعلامات موسيقية كالنوتة إسوةً بألحان الافرنج لفقدت عذوبتها وضعف تأثيرها لأن للمغنّي المصري أن يتمشى ما شاء الى أوسع مجال ولا دليل يرشده في أثناء الغناء إلا الذوق السليم وما يحيط به من عوامل التطريب وسدة الانفعال ولنحافظ على تقاليدنا لئلا تتسرَّب الى آذاننا خِلسةً الألحان الاجنبية إفساداً لأذواقنا وهدماً لهيكل الفن العربي الساحر وكما ان اللغة هي عنوان الامة الذي يشخّص كيانها كذلك الفن فهو مظهر يُمثّل مجد العرب ومفاخر السلف الأثيلة على ماسبق الايماء اليه وما دام تجويد القرآن مداعاً من مصر الى سائر أنحاء الشرق فمحالٌ أن يظفر الاجنبي بمحو فننا العربي من لوح الوجود

أحاديث وحكم وخواطر

قال ابن المبارك أفضلُ الزهد أخفاه

قال أزدشير مرَّةً إحذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

قال واصل بن عطاء المؤمن اذا جاع صبر واذا شبع شكر

وقيل لعامر بن عبد قيس ماذا تقول في الانسان ؟ قال ماعسى أن أقول فيمن اذا جاع ضَرِع واذا شبع طغى

القيطري قال قيل لطفيل العرائس كم اثنان في اثنين ؟ قال أربعة أرغفة

وفي الحديث المرفوع أن من دعاء النبي أعوذ بالله من قلبٍ لايخشع وبطنٍ لايشبع ودعاء لايُسمع

وكان يُقال أربع خصال يسود بها المرء : العلم والأدب والعفة والأمانة

وروى محمد بن علي عن آبائهِ عن النبي قال اذا سألتم الله فسلوه بباطن الكفين واذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما

ذكريات — نقلاً عن الاهرام الغرآء

الشيخ سلامه حجازى — يوم ٤ أكتوبر سنة ١٩١٧

سخاؤه وخُلقه

كنت فى دمشق صيف هذا العام واتفق أن تعرفت الى أديب من أدبائها وهو السيد وجيه بيصون وجاء ذكر الشيخ سلامه حجازي فقص عليّ السيد وجيه القصة التالية عن الشيخ سلامه قال حدثنى السيد سليم الخورى وقد كان متعهد حفلات الشيخ سلامه فى دمشق قال :

فى ذات ليلة من ليالى الشيخ التمثيلية بدمشق وقبل أن يبدأ التمثيل وبينما أنا جالس فى حجرة الادارة بالتياترو حضرت اليّ سيدة وطلبت مني أن أقدمها للشيخ لانها تريد محادثته محادثة خاصة فظننت انها تبغي مقابلته لتسأله مساعدة مالية نظراً لما اشتهر به الشيخ من الكرم والاحسان ومساعدة الفقراء فقلت لها انتظري ياسيدتي خارج الغرفة قليلا حتى يحضر وهيأت لها كرسياً لتجلس عليه وشغلني الحديث والعمل الذى أنا فيه عن المرأة فنسيتها وكان الشيخ قد حضر فى خلال ذلك وبدأ التمثيل فعلا واستبطأت المرأة الشيخ فدخلت غرفتي وذكرتني برغبتها فاعتذرت لها عن نسياني بعد أن أخبرتها ان الشيخ مشغول الآن فى التمثيل ولا يمكنه مقابلتها الليلة إلاّ الساعة الواحدة بعد نصف الليل وهذا ميعاد قد لايوافقها كسيدة ، ثم اني مددت لها يدى ببعض النقود لعل فى ذلك مايغنيها عن انتظار الشيخ فرفضت أن تأخذ شيئاً وقالت بل أريد مقابلة الشيخ لأمر آخر وسأنتظره فى حجرتك حتى ينتهي من عمله .

وكان هذا التصرف من السيدة مما أثار فى نفسى شديد الرغبة لمعرفة ما تبتغيه من الشيخ ولذلك أصبحت أكثر يقظة منها فى انتظار خروج الشيخ .

وانتهى التمثيل حوالي الوقت الذي ذكرته وخرج المتفرجون وهم يكادون يطيرون نشوة مما سمعوا وشاهدوا ووقف أكثرهم خارج أبواب المسرح ينتظرون خروجه ليظفروا منه بنظرة يرونه فيها فى لباسه وهيأته

وأسرعت أنا الى الشيخ فى مقصورته الخاصة لكي أحيطه علماً بأمر هذه السيدة التى هى فى انتظاره منذ ساعات فاستمهلني قليلا حتى غير ملابسه ثم رافقني الى حجرتي حيث تركت المرأة وقلت

له هذا هو الشيخ سلامه حجازي ياسيدتي . فأقبلت عليه السيدة مسلمة وقالت أنت الشيخ سلامه حجازي ؟ . قال نعم . ورأيت انه يجدر بي تركهما وحدهما لعل للمرأة حديثا تريد أن تخفيه الا عن الشيخ فأدرت ظهري فى سبيل الخروج ولكن المرأة قالت لاتخرج ياسيدى فلن يكون حديثي مع الشيخ سريا ، فوقفت وأنا أشد الناس شوقاً لسماع هذا الحديث - ولم تنتظر المرأة لتهيء لحديثها أسلوباً خاصاً ، بل قالت مباشرة بلا تردد - أرجوك ياسيخ سلامه أن ترحل عن دمشق ولا تعد اليها بعد اليوم قط إذا كنت رجلا شريفاً . فبهت الشيخ سلامه لهذه المفاجاة وبهت أنا أكثر منه لأنني دمشقي ومن العار الشنيع أن نطرد من بلدنا هـذا الرجل الذى لم ينبت الشرق مثله فى الغناء والتمثيل . وقال الشيخ لماذا تريدين يا سيدتى رحيلي ؟ . فقالت لانك خربت بيتى . فازدادت دهشة الشيخ وقال وكيف ذلك أنا أُخرِّب البيوت ؟ . قالت نعم ولكي لاتطول دهشتك اعلم ياسيدي انى امرأة فقيرة وزوجى أيضاً رجل فقير . انه حمال فى الطرقات وعلى أبواب المحال التجارية يربح في عمله المضنى حوالي عشرة قروش يومياً وأنا أخيط ثياب العمال والنساء الفقيرات فأربح ثلاثة قروش فكنا نعيش بهذا الرزق على قلته فى هناء نعيم بل انني كنت قد إدّخرت منه جزءاً يسيراً فاض عن حاجتنا نحن الاثنين إذ لم يرزقنا الله ذُريَّة ولكن من يوم أن حضرت يا سيدى الى بلادنا صار همّ روجى أن يحضر اليك كل ليلة ليسمع أغانيك فيدفع فى دخوله الى مسرحك أكثر مما يربحه فى يومه ثم انه يعود الى منزله بعد سهر طويل وهو الرجل الذى لم يعرف السهر في حياته أبداً بل كان يأوى الى فراشه مبكراً نظراً لما يلقاه من التعب فى نهاره مما أثر فى صحته ومنعه عن حفظ مواعيد عمله فلم يعد يربح أكثر من قرشين أو ثلاثة قروش فمد يده الى ما ادخرناه فبدده ، ثم الى القليل التافه من أثاث منزلنا فباعه ، وكلما عاتبتهُ فى ذلك يقول اننى لايمكننى أن أحرم نفسى من سماع الشيخ ليلة واحدة ما دام فى هذا البلد ولو اضطررت الى أن أبيع نفسى فى سبيل ذلك . ومضى على ذلك شهر ونصف يا سيدي حتى لم يبق لدينا طعام نأكله أو لباس نرتديه ، فلم أرَ بدّاً أمام هذه الحالة التى وصلنا اليها من مقابلتك شخصياً لأرجوك الرحيل عن هذا البلد حتى يعود الينا رزقنا وهناؤنا ولعل فى البلد كثيرات مثلى قعد بهن الحياء عن شكواك الى نفسك .

فلم تكد تنتهى المرأة من قصتها حتى رأيت الشيخ وقد امتلأت عيناه بالدموع وكنا جميعاً وقوفاً أنسانا حديث المرأة العجيب اننا فى حجرة كراسى ومقاعد . ونظر الشيخ الى يساره فوجد

كرسياً جلس عليه بعد أن قدم للمرأة كرسياً آخر وأشار إليّ بالجلوس ، ثم سأل المرأة عن اسم زوجها ، قالت اسمه ملحم قاسم فأخرج من جيبه بطاقة صغيرة كتب عليها ما يأتي بالحرف الواحد « يُرخّص لملحم قاسم الحمال بدخول تياترو الشيخ سلامه كلما أراد فى كرسي مخصوص وذلك فى كل سنة يكون جوق الشيخ سلامه موجوداً فيها بدمشق » .

وأعطى البطاقة للمرأة بعد أن أفهمها مضمونها ثم سأل المرأة بكم تقدرين أثاث بيتكم وملابسكم ومصاغك الذي أنفقه زوجك ؟ قالت بعشرة جنيهات . فالتفت اليّ الشيخ سلامه وقال اعطنى عشرين جنيهاً من الصندوق ، فناولته اياها فأعطاها الشيخ للمرأة قائلا لها خذى هذه واشترى بها الاثاثين . فبهتت المرأة وترددت في أخذ هذه النقود الذهبية الكثيرة لكن كلمات الشيخ اللطيفة ونظراته السمحة أقنعت المرأة فأطاعته بأن أخذت ما قدمه اليها وخنقتها عبراتها وانطلق لسانها بالشكر والدعاء للشيخ .

اقتراح سعاده صيدناوى بك أنقذ سلامه حجازى من الخسارة وأفاده كثيراً

حدثنى وجيه من وجهاء المصريين نقل الى رحمته تعالى قال: ذهبنا للاصطياف فى لبنان صيف سنة ١٩٠٥ وكنا ستة أشخاص وبينما نحن فى قرى هـذا الجبل العجيب إذ علمنا ان مواطننا ذا الصوت الملائكى الساحر – الشيخ سلامه حجازى – قد حضر الى بيروت لأول مرة لكى يحيى بها بعض لياليه الخالدة فانحدرنا جميعاً الى بيروت لنشنف أسماعنا بصوت بلبل الشرق الغرّيد — قابلنا الشيخ قبل بدء الحفلة – فاذا هو مستبشر مسرور ، وأثنينا على فكرته فى التجول فى بلاد الشرق العربي . ثم حل موعد الحفلة فدخلنا المسرح ولـكنا لاحظنا لسوء الحظ ان المتفرجين قليل عددهم جداً مع ان الشيخ كان على استعداد عظيم من حيث الممثلين الذين استحضرهم فضلا عن المناظر التى أعدها لرواياته ولذلك انقلب استبشاره تشاؤماً وأمر أحد رجاله بأن يقف على المسرح يعتذر الى الجمهور قائلا بأن الشيخ أصابه مرض فجائى وهو يرجو منهم الاحتفاظ بتذاكرهم الى الليلة التالية للدخول بها أو تصرف لهم قيمتها .

وانصرف الجمهور ساخطاً وخرج الشيخ من الباب الخلفي فذهبنا اليه نحن المصريين جميعاً وقابلناه في الفندق الذى نزل به فوجدناه ذاهلا مكتئباً لهذه النتيجة الغير منتظرة وصار كل واحد منا ينسبها الى رأى رآه على ان الاجماع انعقد تقريباً على ان السوريين فى ذلك الزمان لم يكونوا

قد سمعوا عن الشيخ وصوته بما فيه الكفاية للاقتناع بتفرده عن مُغنّي الشرق جمعاً وسموّه عليهم على ان أغلبهم يميلون الى الأدب والطرب ويعتزون بأغانيهم وأصواتهم ظناً منهم انه لا يفوقهم أحد فى ذلك ولهذا لم يكن اقبالهم عليه كبيراً واخذنا نقلب الرأى فى طرق نحسن اتخاذها لتعريف الشعب اللبناني قيمة الشيخ الفنية والغنائية بعد أن حسبنا أن يبقى هذا الشعب الطروب المرح جاهلا فنه فيضطر الى العودة وقد يحمل خسارة مادية كبيرة وخسارة ادبية أكبر وهي الخسارة التى كانت تهمه دون غيرها وكثرت الاقتراحات وتعددت ولكنها كلها لم تكن مما يحسن الاطمئنان الى نتيجتها وحدث لحسن الحظ أن كان بيننا المرحوم سمعان صيدناوى بك وقد كان رجلا تجاريا بالسليقة فأدلى الى الشيخ بالراي الآتى


سمعان صيدناوى بك

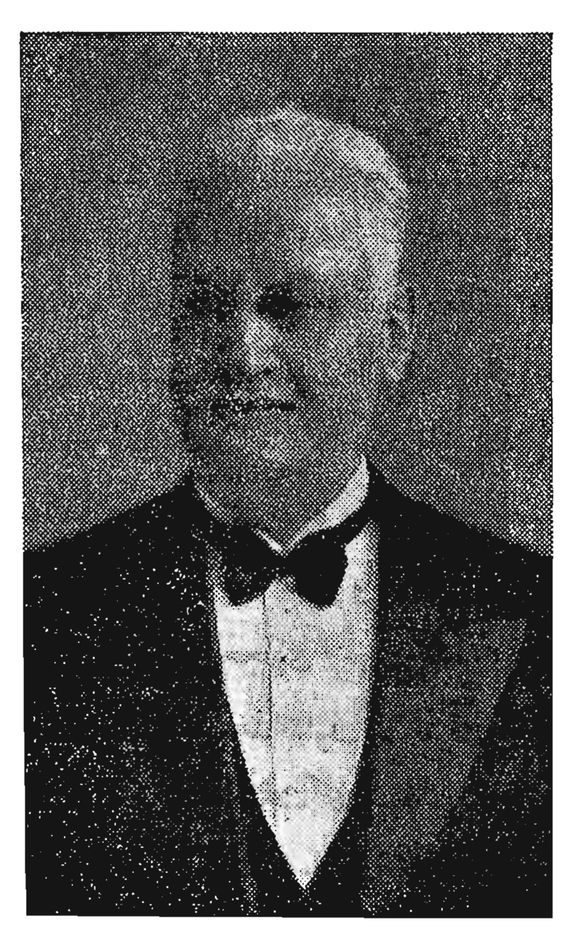
قال له لقد سمعت ياشيخ سلامه انك كنت مؤذناً بالمساجد قبل ان تصبح مغنيا ، قال الشيخ نعم كنت مؤذناً فى مسجد الشيخ الأباصيري بالاسكندرية وبغيره أيضاً قال سمعان بك ألا تزال تذكر وكيف تلقيه . قال الشيخ نعم قال سمعان بك عندى أن تقوم باكر بدور المؤذن فى مسجد بيروت الكبير ومن حسن الحظ ان غداً الجمعة ، وأنا متأكد ان الناس متى سمعوا صوتك يتساءلون عنك ونكون نحن المصريين جميعاً فى المسجد فنخبر المصلين والسامعين بأن المؤذن هو الشيخ سلامه حجازى المغنى المصرى الشهير وأنا ضامن انك بعد هذا سوف لا تعرف كيف تدبر المحال اللازمة لألوف الناس الذين سيتدافق سيلهم الى مسرحك فأعجبنا كلنا بهذا الرأي الصادر عن عبقرية وأمّن الشيخ على فائدته ونفذناه حرفياً كل منا فيما يخصه . ولا تسل عما أحدثه صوت الشيخ عندما صاح بآذان الجمعة فى مسجد بيروت فان الناس اجتمعت داخل المسجد وخارجه بما جعلنا نعلن انه لم يبق فى لبنان كلها رجل أو امرأة لم يأتوا لسماع هذا الصوت الملائكي العجيب وكان صمت الناس على ازدحامهم تاماً كاملا ووصل الشيخ الى نهاية مقطع من مقاطع الآذان انطلقت حناجر الناس بأصوات الاستحسان وأكفهم

بالتصفيق ثم يذكرون هيبة المكان الذى هم حوله فيعودون الى صمتهم وانصاتهم ومع اننا كنا نتوقع إقبالا عظيما على المسرح تلك الليلة الا أن شدة الاقبال وكثرة الزحام فاقتا كل ما كنا نتوقع وكأننا فى الهول بحيث خشينا أن تحدث فى المسرح كارثة أو فى البلد فتنة ولكن الله سلم وكان نجاح الشيخ تاماً فى كل وجه

الياس جرجس الياس

جورج بك أبيض

وُلد جورج بك أبيض ببيروت فى ٥ مايو سنة ١٨٨٠ وتلقى العلم بمدرسة الحكمة ونال من اللغتين العربية والفرنسية أوفر قسط وعُين بعد حصوله على الشهادة النهائية من المدرسة المذكورة تلغرافجياً بمصلحة السكة الحديد بيروت فوكيلاً لمحطة شمسكين بحوران ثم ستقال من وظيفته هذه والقى عصا التسيار في الاسكندرية حيث وُفق الى شغل مركز ناظر لمحطة سيدي جابر



(جورج بك أبيض)

وكان عضواً بنادي سانت كاترين فى الاسكندرية وقد اعتاد أعضاء هذا النادى تمثيل رواية بالفرنسية فوق مسرحه كان يحضرها كل من المحافظ والمسيو بيير جيرار (Pierre Girard) قنصل فرنسا وقتئذ ومن بواعث السرور ان هذا الأخير كان يصعد غير مرّة الى المسرح بعد إتمام تمثيل الرواية لكى يُهنىء الأستاذ جورج أبيض بنجاحه الباهر وكثيراً ما كان يشجّعهُ على المثابرة على التمثيل والتخصص لهذا الفن الذى هيأت الطبيعة

مواهبه لهُ بنوعٍ خاصٍ وكان لشدة شغفهِ بهِ يقصر عليه أوقات الفراغ مع قيامه باداء عمله في السكة الحديد إلى أنهُ فى سنة ١٩٠٣ شهد ممثلاً شهيراً إيطاليًا يُقال لهُ إرميتى نوڤيلى (Ermetti Novelli) تمثل بعض رواياته بالاسكندرية فأُعجب بهِ أيَّما إعجاب وآلى على نفسهِ أن يترك الخدمة لغاية الميل الى الفن الذي لم يُخلق إلاَّ لهُ دُون سواه ولما عَرض هذا الامر على عائلته وطلب منها أن تشتري نصيبه فى المنزل الذي خلَّفه والده ليُخلي لفن التمثيل ذَرْعهُ وليظهر فيــه ما أوتي من عبقرية كامنة وصريحةٍ مُحكمة نزا الغضب فى رؤوس أقربائهِ وطارت قلوبهم شعاعاً لاعتقادهم أن حرفة التمثيل مستمطة للجاه وقاطعوه وضربوا بمقترحه عرض الحائط

ولما يئس من هذا الأمر رفَع الى الخديوي عباس حامي الثاني عريضة طلب فيها مساعدته على درس فن التمثيل فى معهد باريس بنفقته الخاصة . ولما مثَّل فى ١١ يونيو سـنة ١٩٠٤ على مسرح تياترو زيزينيا رواية فرنسية يُقال لها برج نسْل (La Tour de Nesle) درامة ذات خمسة فصول وضعها نثراً كلٌّ من اسكندر دوماس وجايارديه فى سنة١٨٣٢ (Alexandre Dumas & Gaillardet) وكانت تحت رعاية الخـديوى عباس أعجب الخديوى بها لدرجة أن أمر بقبول طلب الاستاذ أبيض الذي سافر الى باريس وتمَّ قبوله فى معهد التمثيل فيها تحت اشراف الاستاذ سلڤان الشهير (Silvain) وذلك بعـد أن أدَّى الامتحان بنجاح وقد خصّصتْ لهُ المعيّة الخديوية مرتباً شهريًا قدره ثمانية جنيهات لمدة ثلاث سنين مدة الدراسـة وذلك بمثابة نفقات خصوصية لهُ لأن الدروس التى كان يتلقّاها فى معهد التمثيل كانت مجَّانية وقد قضى فى الدرس نحو سـبعة شهور كان فيها مثال الاجتهاد وعنوان النجابة وما كاد يعلم بتقدم الخديوى الى باريس فى اثناء مطالعته جريدة Le Matin فى صيف سنة ١٩٠٥ حتى زاره فى الفندق ومكث مع سموّه مدة طويلة قدّم لهُ فى خلالها الشهادات الموقع عليها من الاستاذ فى فن التمثيل المسيو سِلفان الدّالة على تفوقه وعبقريته فتقدّم الخديوى الى ياوره الخاص أن يخبر الخاصّة بزيادة مرتبـه الى ١٦ جنيهاً بدلاً من ثمانية جنيهات شهريًا إظهاراً لرضى الخديوي وسروره بنجاحه والأغرب انه بعد ان أتم دراسته فى نهاية السنة الثالثة حضر الخديوى ثانية الى باريس وأقيمت حفلة تمثيلية فى الفندق الذي نزل به مثَّل الاستاذ أبيض دوره فيها بالقاء قطع شعرية لأشهر الشعرآء أمثال فـكتور هوجو ولامارتين والفريد دي موسيه فسُرَّ الخـديوى بحسن القائهِ وشـدة تأثيره فى الحضـور ورفع فى الحال مرتبه الشهرى الى ٤ جنيهاً مصريًا وظل الاستاذ أبيض يتقاضى هذا المبلغ لغاية سنة ١٩١ وبعد ذلك عاد الى مصر على رأس فرقةباريسية

من الدرجة الأولى ومثّل على مسرح الأوبرا عدة روايات حضرها الخديوى و بمعيته وزراؤه وكذلك على مسرح الهمبرا بالاسكندرية و بعد إتمام برامج الرحلة التمثيلية الفرنسية طاب منه المغفور لهُ سعد باشا زغلول وزير المعارف وقتئذٍ أن يؤلف فرقة تمثيلية تنهض بالتمثيل العربي فى مصر إسوة بالفرقة الفرنسية المُقدّم ذكرها فاهتم الاستاذ أبيض بطلب الوزير وكوّن فرقةً كبيرة جمعت نخبة من الممثلين والممثلات وقد انضم اليها كلٌّ من الاستاذ عبد الرحمن رشدي المحامى ممثلاً بعد أن ترك مهنة المحاماة وفؤاد سليم الشاعر الذي كان ناظراً للوقف وعزيز عيد واحمد فهيم ومحمد بهجت ومحمود حبيب والآنسة مريم سماط وابريز استاني وسارينا ابرهيم ونظلى مزراحي الخ الخ وقد زاولت هذه الفرقة عملها فى شهر مارس سنة ١٩١٢ و بدأت تمثيل روايات اوديب الملك ولويس الحادي عشر وعُطيل و بعد ذلك مثّلت روايات الاحدب ومضحك الملك والساحرة وغيرهنّ وفى سنة ١٩١٥ قام الاستاذ جورج بتأليف جوق باسم جوق « أبيض وحجازي ومثّل روايات مىّ وهوراس والافريقية وصلاح الدين الايوبي مع ريكاردوس قلب الأسد وثارات العرب من تأليف الشيخ نجيب الحداد ثم عُيّن الاستاذ جورج سنة ١٩٣٥ ممثلاً أول فى الفرقة القومية بمرتب أربعين جنيهاً شهريًا وهو لايزال حافظًا لهذه الوظيفة الى الآن

وفى ٢٩ ابريل سنة ١٩٤٥ مثَّل الاستاذ أبيض فصلاً من رواية لويس الحادى عشر بتياترو الاوبرا الملكية أمام جلالة الملك فاروق المعظم احتفاءً بالكشّاف الاعظم و بعد نهاية التمثيل مَثَل الاستاذ امام جلالته بملابس التمثيل وقال لهُ « مبروك ياجورج بك » وقد أنعم عليه برتبة البكوية من الدرجة الاولى مكافأةً لهُ على مابذلهُ من جهود جبَّارة متواصلة فى سبيل ابلاغ فن التمثيل الى ذروة المجد والكمال فنحن نهنىء حضرة الاستاذ جورج بك أبيض بما نال من عطف سامٍ كريم ونثنى أجمل الثناء عليه لقيامه بهذا العمل الجليل ونرجو لهُ مزيد الشهرة ودوام الرقيّ جزاه الله خير ماجزى به الساعين فى خدمة الفن الجميل والانسانية والله لايضيع أجر العاملين المخلصين

قال خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة

قال بعض الحكماء : صاحبك من ينسى معروفه معك و يتذكر حقوقك عليه

وقال بعض النساك كفى موعظة انك لا تموت إلا بحياة ولاتحيا الا بموت

قال أبو الدرداء كان الناس ورقًا لاشوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه

الاستاذ اينياس تيجرمان

وُلد تيجرمان فى بلدة بولونية صغيرة كائنة في المنطقة التابعة لحكم النمسا سابقاً وقد تلقى دروس البيانو الاولية فى ليواو Lwow وما كاد يبلغ العاشرة من سنيه حتى أرسله والده الى فينا حيث تخرج فى علم البيانو على تيودور ليشيتسكى الاستاذ الذائع الصيت وقد عزف بعد مضي أربع سنين على دراسته أول مقطوعاته على البيانو فى فينا و برلين ، ولما تحقق والداه من استعداده الفطرى للنبوغ في هذا الفن أدخلاه جامعة برلين ليدرس فيها الفلسفة بادىء بدء مع استمراره فى التخرج فى البيانو على الاستاذ إينياس فردمان ، ولما توفر حظه منه احترف المهنة إلا انها لسوء الطالع وقفت بسبب نشوب الحرب الكبرى الأولى سنة ١٩١٤ ولكنه كان ينتهز الفرص للعزف بصحبة جوقات موسيقية فى برلين ولبزيج ودرسدن وميونيخ وكوبنهاجن وغيرها وذلك قبل أن ينخرط فى سلك الجندية وقد أبلى بلاء حسناً فى الحرب عندما دخل الفرقة البولونية تحت إمرة قائد الجيش النمسوى . ومن محاسن الاتفاق أن نجا أخيراً من ويلات هذه الحرب الضروس بخلاف زملائه الذين لقوا حتفهم ولما عاد الى مزاولة عمله الذى كان ولعاً به كل الولوع لقى فى أثناء ذلك من الاضطهاد السياسي وسوء المعاملة ما حداه على الرحيل الى مصر فقام فى سنة ١٩٣٢ بتأسيس معهد لتدريس علوم البيانو بشارع شمبوليون رقم ٥ تليفون نمرة ٥٤٥٩٥ وهو لا يزال قائماً الى الآن وبالغاً النجح بهمة وخبرة صاحبه ومديره الاستاذ تيجرمان ويؤمه نخبة من علية القوم مصريين وأجانب شباناً وشابات



الاستاذ إنياس تيجرمان

والاستاذ يشار اليه بالبنان لغزارة مادته وسعة علمه فى هذا الفن الجميل على عدم ميله الى حب الظهور والدعوى ، وهو لا يعزف الا إذا مسّت الحاجة ودعت اليه الضرورة، لكنه مُجدّ فى معهده بهدوء وتؤدة وله أصدقاء والمعجبون به كثيرون نالوا الحظوة بشهود حفلاته الموسيقية وسماع عزفه الفذ على البيانو فى وسط الجوقات بنادي فكتوريا بالقاهرة وفى فلسطين بصحبة الأوركسترا الفلسطينية السمفونية

وقد شهدت بعبقريته الناقدة الشهيرة فى مصر « الآنسة شيفر » فقالت بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٤٣ عقب حفلة موسيقية أقامها فى السنة الماضية فكان فيها عازفا على البيانو « يصعب على الانسان معرفة الاستاذ تيجرمان لان عزفه من الندورة بمكان ومع هذا فهو أشهر من نار على علم فى نظام برامجه واتزان عزفه وقد لوحظ ان طريقته الخاصة تثير الاعجاب ومن مميزاته وضوح المنهج وسهولة الشريعة وإطراد النظام وتناسق الأجزاء مما يأخذ بمجامع القلوب وعن إلحانه حينما يعزف مقطوعات « براهم » و « شومان » و « شوبن » فحدّث ولا حرج فانه بأصابعه الرقيقة يُسْمع الحاضرين من ساحر الانغام ما يحكى مناغاة الأطيار فوق عَذَبات الأغصان فى أيام الربيع ويُلهب أفئدتهم بنار الهيام فكانوا يستعيدونه صارخين « encore »

ومن مميزاته الخلقية انه مع علو كعبه فى هذا الفن وسامى تربيته لا يتهادى بين أذيال التيه ولا تزال له نفحات من المعروف فى عالم الموسيقى ويقوم كل سنة بتنظيم حفلات موسيقية فى قاعة يورت الأمريكانية يتبارى فيها تلامذته وتلميذاته بالعزف على البيانو والكمان أمام عظماء الامة والمعجبين به .

جيرار كنتارجيان



جيرار كنتارجيان

وُلد فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٣١ وتوجه الي تحصيل علم الكمان منذ بلوغه السنة الخامسة من عمره وكان موضع دهشة وإعجاب الاساتذة الذين تخرّج عليهم ومن الغريب انهُ توصل بذكائه الى العزف علي الكمان أمام الجمهور بالليسيه فرنسيه (Recitals) وهو فى التاسعة من عمره ونال من الاستحسان ماشجعه على العزف بقاعة يورت الأمريكانية وفوق « مسرح تياترو » الاسكندرية على ماذكرته الجرائد الغربية وأفاضت فى مدحه وهو يتلقى دروسه الآن عن الاستاذ أدولف منشه الكمانى الذائع الصيت على توفر حظه من علم الكمان الذي خصته الطبيعة به ، ونحن نرجو له مزيد التقدم والرقي كما نرجو به النفع الجزيل ، وفى مثل هذا المضمار فليتنافس المُتنافسون . ا

الموسيقى الشرقية وتجديد عبده الحمولى

موضوع المحاضرة التى ألقاها المؤلف بالنادي الشرقي في مساء يوم الجمعة ١٥ ديسمبر سنه ١٩٣٩ وأعيد القاؤها بالقاعة الشرقية للجامعة الامريكانية فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٤١ بناء على طلب نصراء الفن العربي القديم



(المؤلف)

كلٌ يعلم ما كان بقدماء المصريين من طرب نازع الى الموسيقى فقد قتلوها درساً وأمعنوا فى بحثها واستقصائها ووضعوا لها أصولاً وقواعد حتى أوصلوها الى ذروة الكمال فى عصورهم حيث كانت الهمجية ضاربة أطنابها فى كثير من الأقطار والبلدان بدليل مايوجد لغاية الآن من الصور والآلات الموسيقية المرسومة على جدران هياكلهم ومقابرهم التى يحسن أن أذكر منها مجموعة رسوم قديمة ترجع من ٣٠ الي ٤ سنة وقد عُثر عليها فى إحدى المقابر القديمة خلف الاهرام الكبرى وهى تمثّل جوقة موسيقية يعزف أفرادها على عودين من نوع « الهارب » وناي ومزمار وعدة آلات أخرى لعهد الأسرة الثانية عشرة وشكل امرأة مرسومة على إحدى علب الزينة وهى تعزف على القيثارة مما عُثر عليه فى متحف برلين وقد أُبيح استعمال الموسيقى وسماعها فى بيبسط أو بيبسطس التى يُقال لها « تل بسطا » وهى كائنة على ضِفاف بحر مويس بجوار الزقازيق عاصمة مديرية الشرقية احتفاء بعيد الإلهة ديانا على حدّ ماحدث فى أعياد ومناسبات أخرى مماثلة لما ذُكر وقد ذكر هردوطس أبو التاريخ أن الناي والصنوج المعروفة « بالكروتولا » كان يستعملها نفرٌ من الموسيقيين وقفوا أنفسهم على خدمة الالهة المذكورة قبل زمن انحدارهم من ضفاف النيل الى بيبسط حيث شُيّد لها هيكل فخم وأن النافخ فى الناي كان فى أثناء الاحتفال بعيد باكوس فى مقدمة المطربين الذين كانوا يصحبونه فى وقت الغناء والابتهال بأعلى أصواتهم وأردف قائلا ان ماتعرضهُ لنا اليوم الرسوم التى تُمثّل موسيقياً مقدساً قائماً بخدمة آمون ملك طيبة وممسكاً الناي بكلتا يديه وامرأة من مطربات الملك وُجد فى كفنها بعض صنوج

لهو دليلٌ قاطع على صحة هذه الاعتبارات المبنيَّة على تحقيقات تاريخيّة محضة مع العلم ان الذي يوجد من بين الاموات فى كفنه زوج من الصنوح يُعدّ موسيقياً خاصاً بخدمة أحد الآلهة ولما كان من معتقدهم فى تناسخ الأرواح ان النفس بعد مفارقتها للجسد وسيرها الى العالم الثاني تأتى كل يوم وتزور جسدها أخذوا يزاولون صناعة التحنيط إبقاء للجسم قروناً عديدةً من أن يمسَّهُ البِلى ووضعوا بجانب موميات ملوكهم من ضروب الآلات الناي والصنوح والقيثارة والصاجات زاعمين ان كل روح تتجسد من جديد في مخلوق ما تدل على ان صاحبها قضى حياة راضية مرضية ويكون تجسدها فى أوان البعث فخراً له وعنواناً على انتصاره على الناي الذى نفخ فيه ليمنع طيراً كاسراً أو بهيمة من استعماله بتةً

ومما لايختلف فيه إثنان ان اختراع السلم الموسيقيّ يرجع الى فيثاغورس الذى عُني بهذا الفن أعظم عناية لِما أنهُ فنٌّ شريف سامٍ الغرض منه تهذيب العقل وتلطيف الطباع وتدريب النفس على ممارسة الفضائل ومكارم الاخلاق إلا ان جمبليكوس صَرَّح قائلاً بان فيثاغورس إستمد كل معلوماته فى الموسيقى ومختلف العلوم من البلاد المصرية وأطلع تلاميذه عليها كما اقتبس عنها معرفة النظام الشمسى الذى ظلَّ فوق طور إدراك الاروبيين قاطبةً وتخرَّج فى علوم الفلسفة على أكابر الكهنة لقدماء المصريين

وقد زعم بعضهم ان الصينيين كانوا أسبق اليها من المصريين وان كنفوشيوس فيلسوفهم قد اشتغل بها كثيراً وانها انتشرت عنهم الى اليابان والهنود حتى وصلت الى الفرس الذين سبروا غورها ووضعوا فيها ألحاناً وميّزوا بين ضروبها وأوزانها كما يُستدل عليه من أسمائها الفارسية التى لاتزال شائعةً فى الموسيقى الحاضرة وقد أخذها عن المصريين اليهود الذين خالطوهم وعاشوا بين أظهرهم أزماناً طوالاً واقتبسوا عنهم كثيراً من عوائدهم الا انهم ميزوا بين الموسيقى المقدسة والموسيقى العالمية وفرقوا بينهما فيما يختص بالنغم وقد زعم يوسيفوس ان سليمان عليه السلام خصَّ فى أثناء تشييد الهيكل باورشليم ١٢٠ كاهناً للنفخ فى البوق وأردف قائلاً ان لاأقل من ٢٠٠ الف موسيقىّ من العازفين و ٢ الف من اللاويين والمطربين شهدوا حفلة افتتاح الهيكل مما حدا سليمان على أن يتقدم بصنع نحو ٣٠ الف ثوب من أجود الصوف لباساً للاويين ونحو ٤٠٠ الف آلة من النحاس مرصدة للعازفين وفى ذلك من الغلو مالايخفى لبعده

وقد نقل عن سُنكنيات أحد كهنة الفينيقيين ان الصيدونيين هم الذين وضعوا فن الموسيقى

واليهم يرجع فضـــل اختراع أكثر الآلات القديمة وفى رأي بعضهم ان هذا الفن لم يبلغ مابلغهُ من الاتقان عند الاسرائيليين لعهد داود عليه السلام إلا لِما كان من رسوخ قواعـد المودة بين بلاط أورشليم و بلاط صور والفينيقيون شرقيون على كل حال وقد اختلف المؤرخون فى أصلهم فمن قائل انهم من العرب أبناء اسماعيل بن ابراهيم ومن قائل انهم من أبناء كنعان بن حام وردوا فينيقية من أرض آشور لضيم وقع عليهم هناك – على ما ذكره الشيخ ابراهيم اليازجي ضمناً في مجلة الصياء

ومما لا يتمادى فيه اثنان ان اليونان أخذوا هذا الفن عن المصريين أيام وطئوا أرض مصر ولعل ذلك فى عهد أمسيس من الأسرة السادسة والعشرين الذي أباح لهم التعامل معهم فى أنواع التجارة وضروب الصناعة ثم نقله العرب عن اليونان واتصـل أخيراً من العرب بالغربيين فالأتراك فالأمريكان بواسطة النازحين اليهم من الاوربيين .

بيّنٌ ان من اطلع على صور مختلف الآلات الموسيقية التى كان يستعملها المصريون واستقرى ما خلفوه من الآثار الدالة على شديد نزوعهم الى هذا الفن ووقوفهم على قواعد « الهرمونيا » أيقن ان مصر منبثق أنوار العالم قد بزَّت الأمم فى مضمار الحضارة والرقي وطبقت شهرتها آفاق المعمور فى العلوم والفنون وليس أدلُّ على ماذُكر مما صرح به اثانيوس إذ قال

« ان اليونان والبربر اقتبسوا هذا الفن عن اللاجئين اليهم من القطر المصري وان الاسكندريين كانوا أعلم الناس به من سواهم وأعظمهم حِذقاً فى العزف على ضروب الناي وسائر الآلات الموسيقية ذات الثلاثة الأوتار »

ومما يحسن ايراده هنا مصداقاً لما ذكر أن أنقل بعض فقرات مما قاله الدكتور كورت زاكس فى حضرة المغفور له الملك فؤاد فى دار الاوبرا الملكية نائباً عن أعضاء المؤتمر المنعقد فى سنة ١٩٣٢ وهو كما يأتي بنصِّه

« فهذه البلاد التى نشأت قبل بلاد الغرب تريد الآن أن تقاسمها الحياة وأن تتبوأ بينها المكان اللائق بها فهى الأم التى تجدد صباها وأصبحت تعد نفسها أختاً لبناتها وهاك شـعار المؤتمر والروح الذى يتجلى فيه عن مصر ان هذه البلاد التى نعجب بجدِّها ونشاطها ترغب فى ترقية موسـيقاها وتجديدها وهي التى غذت منذ ألف عام الموسيقى الاوربية »

أما ما كان من أمر العلامات « النوتة » التى وضعها الأوربيون فى هذا العصر فمن المحال أن نقرر ان الـكهنة المصريين قد عنوا في أزمانهم الغابرة باستنباط الأساليب لحفظ ألحانهم من الضياع

أسوة بالغربيين لانهم كانوا يحرصون على كتمان سر هـذا الفن حرصهم على غوامض أسرارهم بل كانت أغانيهم تحفظ بالسماع ولم يكن لها ضابط الا أن اليونان استعملوا حروف الهجاء لنقل تلاحينهم مع ما فى ذلك من ارتباك ونقص وفى تقديري ان المصريين عموماً والمحترفين خصوصاً كانوا أسبق منهم الى استنباط مثل هـذه الأساليب بدليل ما عثر فى هرقولانيوم على صورة امرأة تعزف على « الليِر » ذات الاحدى عشر وتراً وبجانبها صورة امرأة أخرى تغنى وهى ممسكة بيدها ورقة قد تكون إما محتوية على العلامات و إما مقتصرة على نص الأغنية والله أعلم

ولما كان القبط البقية الباقية من الفراعنة كان حقًا عليهم أن ينقلوا إلينا ما تركه السلف من هذا الفن ولـكن الاضطهاد الذى ابتلوا به وما توالى عليهم من نكبات وتعاورهم دهراً بعد دهر من تسلط أيدى الرومان والبيزنطيين والاكراد والشراكسة والترك وغيرهم عليهم كان ذلك كله من أهم الاسباب فى فقد الموسيقى المصرية لطابعها الفرعوني وقد كان التزاوج على ما أثبت التاريخ بين ملوك مصر وبنات الملوك الأجانب سبباً مهماً فى فقد وحدة الاصل المصرى وعلة اختلاط الاصول البشرية فى مصر ويرجع بدء امتزاج الدم المصري بالدم الشرقي الى زمن الدولة الرابعة التي ملكت سنة ٣٤ ق . م وذلك قبل زمن ابراهيم الخليل بناء على ماذهب اليه لبسيوس .

وغير خافٍ أن اليونان تغلبوا على مصر وحكموها زهاء ٢٧٥ سنة أى منذ سنة ٣٢٣ الى سنة ٤٨ ق . م ثم استولى عليها الرومان الى أن دحرهم عنها العرب بقيادة عمرو بن العاص ثم تغلب عليها الاكراد والشراكسة على ان مدرسة الاسكندرية كانت نبراس العلوم والفنون والفلسفة الذي استضاء القبط بنوره فتبدلت بذلك عوائدهم وتغيرت أغانيهم انقياداً لحـكم الغالب حتى رسخت وتأصلت الموسيقى البيزنطية فى طقوسهم الدينية ونسوا الفرعونية التى قد لانسمع منها الا النزر اليسير على ضفاف النيل فى الوجه القبلى عند سقي الزرع بالشادوف وفى الحقول والمزارع والعمارات فى مصر والاسكندرية من حملة الحجر والجص والرمل من أهل الصعيد ومما لاشك فيه ان العربي كان ولعاً بالغناء منذ زمن الجاهلية وارتجل الشعر بما استمدّ فى الصحراء الصامتة من الإلهام والوحي وقد عُرف الحداء عند العرب أولاً وارتقى تدريجًا الى أن أصبح غِناءً يعرف بالنصب

ولما انتقل العرب الى الحضارة في عهد الاسلام سمعوا تلحين الروم والفرس للأصوات فلحنوا على مهاجها أشعارهم وأخذت هذه الصناعة تتدرج شـيئاً فشيئاً الى أن بلغت حدّ الاتقان فى عصر الدولة العباسية بما ترجمه مشاهير المترجمين عن فلاسفة اليونان من الـكتب مثل مؤلفات فيثاغورس

فى الموسيقى وارفيوس وافلاطون ممن وضعوا أساس الموسيقى اليونانيـة ، وقد بنى المأمون فى بغداد جامعة عربية سماها بيت الحكمة لتدريس العلوم والفنون ، وقد شغف أمراء وأكابر بنى العباس بالموسيقى وتعلموا العزف على العود الذى غُني به كثير من الخلفاء كنزيد ومسلمة بن عبد الملك وابراهيم بن المهدى وأبو عيسى بن الرشيد وعبد الله بن موسى الهادى وابراهيم بن عيسى بن جعفر المنصور ومحمد بن جعفر المقتدر والمتوكل وغيرهم .

ومما جاء فى كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهانى ان ابن مسجح وهو موسيقي أسود مشهور وأصْلهُ من مكة لما درس الموسيقى اليونانية والفارسية نقل عنهما الى الموسيقى العربية ألحاناً كثيرة بعد ان جردها من بعض نبراتها وأصواتها .

وقد اشتهر بهذا الفن ابو النصر محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ الفارابى من رجال القرن الرابع وهو اكبر فلاسفة المسلمين وله عدة تآليف فى الموسيقى وللرئيس ابى علي الحسين بن سيناء كتاب المدخل الى صناعة الموسيقى وكان الغالب على ابناء موسى بن شاكر وهم محمد واحمد وحسن من العلوم الهندسة والموسيقى وغيرهما وكان الرازى من المتقدمين فى الطب والموسيقى والهندسة والمنطق وليعقوب الكندي الملقب بفيلسوف العرب مصنفاتٌ فيها وممن اشتهر بها أيضاً ابن باجة ابو بكر محمد بن يحيى النجيبي السرقسطي المعروف بابن الصائغ وهو من اكابر فلاسفة العرب بالاندلس وقد كتب ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدُون الحضرميّ من أهل القرن الثامن فى مقدمته مقالاً نفيساً فى تاريخ وفلسفة الموسيقى عنوانه « فى صناعة الغناء » ولعبيد الله بن عبد الله الطاهر من اهل العصر العباسي الثاني كتاب فى النغم وعدد الاغاني سمّاه الآداب الرفيعة

أما الموشح فقد أوجده المتأخرون من أهل الاندلس ونظموه اسماطاً اسماطاً وأغصاناً أغصاناً على ماذكره ابن خلدون وكان المخترع له بجزيرة الاندلس مقدّم بن معاقر القريري من شعراء الامير عبد الله محمد المرواني وأخذ ذلك عنه ابو عبد الله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العِقد وكان أول من برع فيه عبادةُ القزّاز شاعرُ المعتصم بن صمادح صاحبُ المرية وكان ابو بكر بن زهير يقول كل الوشاحين عيالٌ على عبادةَ القزاز ولا بن رافع شاعر المأمون بن ذي النون موشحٌ قال فى أوله

العـود قد ترنّم　　بأبدع تلحـين
وسقت المذانب　　رياض البساتين

ومن ألطف الموشحات واكثرها تداولاً قولُ الخطيب شاعر الاندلس

جادكَ الغيث اذا الغيث هما يا رمان الوصـل بالاندلس
لم يكن وصالك الا حُلما فى الـكرى او خلسةَ المختلس

وهو طويل ولا عجب أن نرى الشيخ احمد بن موسى بن داود ابا الصلاح العروسي الشافعي شيخ الجامع الازهر من اكابر الوشاحين وكذلك المغفور لهما الشيخ عبـد الرحمن قراعه مفتى الديار المصرية والشيخ علي الليثي من ناظمي الادوار لعبده الحمولي وهاك الموشح الحجازي الآتي وضربه سماعي ثقيل

قدكَ الميَّاس يابدري لغصون الآس قد يزرى

وفى ديوان ابن الفارض كثيرٌ من الموشـحات ومنها خرجت القدود التى جاء بها الى مصر شاكر افندي الحلبي فى المئة الاولى بعد الالف للهجرة ثم اشتقت المواليا وعامة المصريين تقول موال اعتاد البدء بغنائه فوق التخت كل من عبـده وعثمان والمنيلاوي وغيرهم ونبا عن سماعه الشبان المصريون بعلة تكراره المملّ وقد اخترعه أهل واسط وهو من بحر البسيط و مركب من بيتين تكون القافية واحدة فى الصـدرين والمجزين دون التفات الى قواعد الاعراب وكان أسهل تناولاً من الشعر حتى تعلمه عبيدهم وكانوا يغنونه في أوقات العمل ويقولون فى نهايته يامواليا أى ياسادتنا وقد أخذه عنهم البغداديون وهذبوه ومن المواليات الطريفة قول بعضهم

طرقت باب الخبا قالت من الطارق، فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق
تبسَّمت لاح لى من ثغرها بارق رجعت حيران فى بحر ادمعي غارق

ولما وهت أركان الدولة العباسية خبت أنوار العلوم والفنون وزالت الموسيقى بزوالها الا أن حلب الشهباء احتفظت بالموشحات والقدود التى آلت اليها من البلاد العربية أيام كانت قبل فتح قنال السويس فى سنة ١٨٦٩ محط رحال التجارة والسياح من أعاجم وأتراك وأرمن وعراقيين وتتر ونقطة اتصال بين مختلف الشعوب التى كانت تُرسل اليها البضائع من جميع النواحى فتحملها القوافل برًّا الى نواحي العراق وبلاد العجم وغيرها ولهذا السبب رسخت قواعد الموسيقى فيها وتأصلت حتى ان المستشرقين إذا غمض لهم شيء فى الموسيقى لجأوا الى محترفيها في حلب للاستفهام منهم عما خفي عليهم وعادوا مستضيئين بمشكاتهم ، والحلبيون أذكياء بالطبع لما انهم ينزعون اليها جميعاً وتهفو قلوبهم فى اثر الطرب ولذا فان دورهم ومجامعهم وأنديتهم لاتخلو لغاية الآن من الآلات الموسيقية

التي يحذقون غالباً العزف عليها . ولما تلقى المحترفون المصريون عن شاكر أفندى المذكور قبل القدود والموشحات والأدوار الحلبية الصبغة أخذ المرحوم عبده الحمولى حينما سمعها فى تلطيف نبراتها وصقلها مضيفاً اليها ماعنّ له من النغمات الحديثة تمشياً مع ناموس التقدم والرقي وكساها جلباباً فضفاضاً ووسمها بطابع مصري فرماه إذ ذاك المطربون الرجعيون بالشذوذ عن القديم وقاطعوه بشدة لشذوذه عن البالي والجامد من أغانيهم وقيامه بتجريدها من نبراتها الحلبيه وألحانها العربية انتهى الامر بأن انتصر عليهم واضطروا الى الانقياد الى هذا التحديد والجرى على منهاجه ولم تقتصر جهوده على ذلك فقط بل أدمج فى صلب الموسيقى الشرقية ماتلقنه عن مشاهير المطربين فى الآستانة من النغمات مثل الحجاز كار والنهاوند والعجم عشيران والآهات الصعودية التى طبقت عنان السماء طيلة رحلاته المتعددة اليها منفرداً وبصحبة ساكن الجنان الخديوى اسماعيل الذي انتشر فى عصره الذهبي التعليم وظهرت النهضة الغنائية والتمثيلية أيما ظهور وأول ماظهر من التحوب للآلات المصريه تختا المنسى والرشيدى اللذين كانا يعزفان فوقهما على ديوان واحد للقانون على حد سائر العازفين فى عصرهم أمثال عبد الله وحنا المنسي الضريرين ومحمد أيوب وحسن العقاد ومحمد ابراهيم (وأصلهم جميعاً من دمياط) الا أن مصطفى حافظ القانونجى المشهور فقد امتاز عنهم بالعزف على ديوانين فى وقت واحد أيام حظى بمزاولة مهنته فوق التخت لعبده الحمولى مما جعل للقانون من الرنين وقوة الصوت المكون عن نغمتى القرار والجواب ما يشبه البيانو تماماً وقد أخذ عنه كل من عبد المجيد طوسيلى ومحمود مكاوى وغيرهما

على انى أغفلت ذكر تخت «المقدم» المغني الوحيد فى زمنه قبل ظهور عبده الذى ظهر قبل تختى المنسي والرشيدي لما انه من التفاهة وقلة الاستعداد بحيث لو عددت آلاته لما تجاوزت العود والرّق والقانون وهو أول تخت صغير اشتغل فوقه عبده فى بادئ الأمر فى قهوة عثمان اغا المشهورة التى كانت مقامة بين أشجار كثيفة ملتفة حول مستنقع أمر بردمه الخديوي اسماعيل فتحول الى روضة غناء أطلق عليها اسم «جنينة الازبكية» وممن نظم الادوار والموشحات له المغفور لهم الشيخ على الليثي شاعر الخديوي اسماعيل ومحمود باشا سامى البارودي واسماعيل باشا صبري وكيل الحقانية حينئذ ومصطفى بك نجيب من كبار موظفيّ وزارة الداخلية والشيخ محمد ابو الفضل والسيد على ابو النصر ومن اليهم وممن لحّن لهُ الادوار الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب ولما طرَّ شاربهُ عمد بنفسه الى تلحين الادوار وترتيبها وضرب عرض الحائط بأغاني الرجعيين من المطربين والصهبجية الذين كانوا ينشدونها على صوت

الدربكة والرق فى الافراح ومجالس الانس وبذ الطرائق المملة لأولئك الذين ينشدون القصائد والقصة النبوية فى الموالد ومحافل الاذكار فأوجد ما كان معدوماً من فن الغناء العربي وأحياه بعد موته فجاءت أعماله الباهرة فى التلحين ومبتكراته فى التجديد وراء الغاية فى التنسيق والتناسب والانسجام وانتشرت فى آفاق مصر خاصة وفى أنحاء الشرق عامة حتى أضطر الفقهاء من قراء القرآن والمنشدون والمؤذنون الى الجري على منهاجه فأطربوا سامعيهم بتناسب نغماتهم وحسن مساقهم طبقاً لما اجازه الدين الحنيف ومع العلم بان لتلاوة القرآن أحكاماً وروابط تقضي بالتزام الدقة فى تصوير الاداء والامعان فى صفات الحروف ومخارجها بدليل انهُ كان عند تلاوتهِ آي الذكر الحكيم فى جامع الحسين وغيره لايخلُ بلفظ حرفٍ واحدٍ ولا يبدّل مخرجهُ وكان حريصاً على تلطيف النطق بهِ من غير تعسف ولا افراط وكثيراً ما كان يتلو سورة القيامة فى الجامع الحسيني طول شهر رمضان و يؤذن فوق مأذنتي الجامع الحسيني والجامع الحنفي وقد اشتهر بتفخيم الالفاظ التي يمثّل معانيها بنغماته الساحرة ومما رواه داود حسني عنه تأييداً لما رأيته بعيني رأسي وسمعته بأذني فيما بعد انه سمعهُ ليلة مهرجان عرس محمد بك فريد يغنّي قصيدة ابي فراس وما كاد يصلُ الى عجز البيت القائل « اذا متّ ظمآناً فلا نزل القطر » و يفخم هجاء « ظم » حتى خُيّل للناس أجمعين انه أصيب بالظمأ فى الصحراء وأغرب من ذلك فانه عند ماذكر صدر البيت القائل « وقالت لقد اذرى بك الدهرُ بعدنا » ووصل الى عجزه القائل فقلت معاذَ الله بل أنتِ لا الدهر» وحالما جهر بصوته العظيم قائلاً معاذ الله قف شعر رؤوس الجموع المحتشدة واقشعرت أبدانهم خوفاً وتخشعاً واجلالاً لذكر الله كأنهم قد عقروا حتى خرّوا الى الارض ساجدين

ومن مميزاتهِ ان تلاحينه جيدة الحبك واضحةُ المنهج مصريةِ الصبغة ولطيفة الذوق ليس فيها حشوٌ وغير مستكرهة على مواضعها تَبُثُّ فى سامعيها الجذل والأمل والرجولة والعظمة لما انهُ فرحٌ وطروب وطلق المحيا ، ومن كانت حالته وطبيعتهُ كذلك فمحال أن يأتى على لحن محزنٍ بخلاف كثير من المجددين الذين لم يُعرفوا بأنهم لحنوا أنغاماً مفرحة طول حياتهم لأن وضع الألحان يتوقف بنوع رئيسى على حالة الملحن وطبيعته ووجدانه الا ان عبده أُضطُرّ طول حياته أن يلحن فى أوقات الشدة لحنين محزنين فقط أولهما غنّاه على نغمة العساق عقب وفاة ألمظ زوجته وها هو « شربت الصبر من بعد التصافى » والثانى وضع لحنه ارتجالاً عندما فوجىء وهو يغنى على التخت بنبأ وفاة محمود ولده فى آخر ليلة عرسهِ وهو « الصبرُ محمودٌ لمثلي على حبيبي و بعده والنار فى القلب ترعى والرب يلطف بعبده » من نظم مصطفى بك نجيب .

ومما يؤثر عن عنايته بشؤون الفن واصلاحه له والنهوض به الى ذروة الكمال أنهُ كان يرغب فى بعض الأحايين عن الغناء أنفة واستنكافاً لما كان يرى فى الشعب المصرى من عدم الالتفات الى الفن والاستخفاف به ومما يؤيد ذلك ايراد الواقعة الآتية

« بينما كان الاستاذ جاك رومانو ذاهباً الى دكان أبوسطولي تاجر الطرابيش فى الاسكندرية - مجتمع خلان عبده - إذ سمع عبد اللطيف بك الصيرفي وخليل باشا ابراهيم واحمد افندى عبد المنعم يسكّنون غضب عبده ، ولما استقر به المقام علم ما أوغر صدره وهو ان محمود ولدهُ غنّى اخوانه فى حفلة خصوصية ملبياً الطلب لما لوالده من الشهرة فى الغناء فقال جاك رومانو المرحوم عبده قمعاً لشرة غيظه لا ضرر فى ذلك يا سى عبده لانه (جاك) يغنى اخوانه فوق التخت كما يعلم ذلك وصالح باشا المستشار يعزف على القانون علناً فأجابه عبده قائلا لا ياسي جاك أنا عندى يموت ولا يطلعش مغني هو إحنا بلادنا تقدر الفن ، أنا لو كنت فى بلاد أخرى كان حقي تمثال وانت أعرف الناس بما لحقنى من الاهانة بسبب صناعتى » .

وكان الذي أهانه فى ذلك الوقت وجيهٌ من أطيب الأعراق فى الأسر المصرية وقد حاز قصب السبق على خصومه ومنافسيه ليس بالدعوة الكاذبة ولا من طريق الاعلان عن نفسه بل بكفايته وسعة مداركه الفنية وعبقريته وكان طلق اليدين ذا لب رصين باسم الثغر لطيف الروح راغباً فى مصاحبة الشعراء والأدباء والعلماء وممن كانوا أكثرهم له خلطة وأقدمهم عشرة الشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين وأحمد فتحي زغلول باشا وصالح باشا ثابت وخليل مطران بك وشاهين بك مكاريوس وسليم سركيس وسعيد باشا ذو الفقار ، وهو ربع القامة قمحى اللون وكان جذعه طويلا بالقياس الى رجليه ، عريض الصدر كبير الرئتين ، وقد وصفه طبيبه بأن صدره أشبه بغطاء صندوق نحاس ، ومن مميزاتهُ أيضاً انه كان يُلهَمُ فى أثناء الغناء إلهاماً يبعث على التأثير العميق فى سامعيه ، كما كان يلهم قيس مجنون ليلى وأمير الشعراء أحمد شوقي بك ، والشعر والموسيقى توأمان . وتضع فرنسا الموسيقى فوق الشعر ، كان يفيض عليهم من المعجزات فى الفن ما يحسر دونها الفكر وتقصر ثقافة منافسيه الفنية مهما يبعد مداها عن مجاراته وكان يرتجل التلحين بدون معاناة ولا مكابرة وله عدة تلاحين وأدوار خالدة . وقد سأل العقاد الكبير المرحوم ابراهيم القباني الملحن المشهور لِمَ لَمْ يأتِ فى ضمن تلاحينه بلحن من نغمة الحجازكار فأجاب قائلا ان عبده لحّنَ عليها أدواراً كثيرة ولم يترك فيها مزيداً لمستزيد .

أما العلامات فكان بوده أن يعرفها وقد شكا خليل بك مطران اليه يوماً هذا القصور قائلا له ان الرموز الموسيقية موضوعة منذ خمسة آلاف سنة ونيف وانها أول ما رُسمت فى الهند وفى الصين فمن المخجل أن تكون مصر سيدة الموسيقى فى الشرق الآن ولا يُستطاع إثبات لحن من ألحانها على صحيفة يعلم منها اخواننا القاصون أو أبناؤنا الآتون أي فن كان فننا فى التلحين وما كان عبده وكيف أسلوبه وهل كان جديراً بالمحل الذي أُحلَّ فيه من إكرام الناس فأجابه انهُ كان يود ذلك وانه سعى ماسعى للوصول اليه فلم يفز بطائل وانه لم يجد واحداً فى القطر يستطيع أن يعرفه معني لحن من الألحان الأجنبيـة تركية كانت أو غير تركية وان كل ماحصله من مغنى الاتراك وأدخله فى المغنى العربي كان سماعياً اجتهادياً رائده فيه موافقة الذوق المألوف ومراعاة الاصلاح المعروف انتهى .

وكان يُعرف برعاية المناسبة والتعبير بالأنغام عن معاني الألفاظ وقوة التأثير فى نفوس سامعيه إلا أن الأستاذ قسطندي المنسي تلقن تدوين الألحان بالعلامات عن الاستاذ أنطون جوان المدرس بالسراي الخديوية بعهد توفيق باشا فعمد الى عمل أدوار وبشروات منها بشرو جهاركاه عـديم النظير وأول الادوار التى دونها على الحجر لعدم وجود مطابع فى أول العهد بها هو دور (تيهك على اليوم بسنين) ووقع دور (كادني الهوى) وهو محرف وصحته (خادني الهوى) من نغمة النهـاوند عزفه على البيانو الذي كان من يوقِّع عليه دور (ياطير الحمام) يُعَدُّ من أكابر العازفين لندرة استعماله. مع العلم ان النوتة مهما بلغت من الدقة والاتقان فلا يمكن بها تمام تصوير النغمات الشرقية لعدم وجود ربع المقام الذي طبقا لما قاله الاستاذ منصور عوض لايستطاع بدونه وضع سكك التصوير وأخيراً فانه استنبط رموزاً مخصوصة أضافها إلى العلامات للدلالة على ربع المقام المقدم ذكره وسجلها بمحكمة مصر المختلطة سنة ١٩١٥ وأجرى المقطم الاغر تقريظ هذا الاستنباط في حينه

ومن صفاته إسداء المعروف وإغاثة الملهوف وقد تعاهد كثيرين من رجال الفن الذين عضهم الفقر بنابه وأقعـدهم الـكبر عن مزاولة مهنتهم وجعل لهم أرزاقاً مُدخلاً الراحة عليهم وعلى أبنائهم وأراملهم من بعدهم وكان إذا وعد خيراً أنجزه وقد أنفق نحواً من مئة الف جنيه فى سبيل الله وينطبق عليه فى الـكرم قول الشاعر

هو البحرُ من أيّ النواحي أتيتهُ ... فلجتهُ المعروف والبر سـاحلُه

وكان مواظباً مع ما يحيط بهِ من العوائق والعوامل المغرية على مافرضه الله عليه من الصلوات الخمس وكان صوته يتألف من ثلاثة سلالم ونيف و يعدّ إذ ذاك من فلتات الطبيعة

أجل ان الفن كالنفس يتقدم باستمرار تبعا لسنة العمران والرقيّ و يؤدى نتائج صالحة متواصلة بحيث ان الامة المثقفة كلما تبسطت فى الحضارة ازدادت أبعاد موسيقاها اتساعاً وأوزانها إبدالا وتركيباً وألفاظها دقة وتعبيراً و بالعكس فان كل أمة اقتصرت كالاسكتلنديين مثلا على تأدية نغمات متشابهة و بسيطة ومحصورة فى دائرة محدودة جامدة اللحن ناضبة الروية لايدخل موسيقاها تلاعب فى الانغام أو تجديد فى الالحان يرجع الى أصولها ولا يتفرع عنها مبتكرات شائقة تمت الى عوائد شعبها وتعود الى قواعدها الأساسية عدّت من الأمم المتأخرة البليدة الطبع وشتان ما بين النغم الظريف المتناسب و بين النغم الفظ المتنافر لما بينهما من بون شاسع فى اختلاف نغمات كل واحد منهما وحسبنا شاهداً حديث خادمة جاهلة وحديث سيدتها المثقفة المتمدنة الذى يحاكي مناغاة الاطيار لاحتوائهِ على إبدال وتركيب فى النغم والتوسع فى الابعاد مما يرجع سببه الى تبسطها فى الحضارة وتمكنها من التهذيب الذى تعنو له جميع الطبقات . تشعر به النفوس ولا يغرب عن البال ان أول الشروط الاساسية للاغانى الحسن والتناسب وعدم التنافر بحيث لا يخرج الصوت منها الى الحدة دفعة واحدة أو يرجع اليها كذلك بل بالتدريج مع وجوب توسط المغاير بين الصوتين وهذا العيب يؤخذ به المجددون من المطربين الذين ركبوا هواهم فى تلاحينهم المجددة بدون أن يرجعوا فيها الى الأصول المرعية والقواعد القديمة الثابتة وحسبك شاهداً آخر وهو موسيقى الجاز التى وصفها أحدأساتذة الموسيقى الغربية بأنها « ضحك مضطرب هيستيرى لنسوة سكيرات » فانهم يسلخون منها نغمات يقحمونها فى وسط الأغنية الشرقية – فيشوهون محاسنها الأصلية – و يفقدونها طابعها الشرقي .

سيداتي وسادتي

التجديد اليوم انْ هو الا لزيقٌ ملصق وخليطٌ مائع وتقليدٌ سمج لان لكل موسيقي أغراضاً يرمي اليها واضعوها فما كم موسيقى الزنوج أو الهرتنتوت تتعاورها الركاكة فى التعبير وهي تافهة الذوق ليس على نغماتها طلاوة قد اختصها أهلوها بالرقص دون غيره مترنحين ترفيهاً عن نفوسهم واستجماماً لقرائحهم فان اختلف تمثيل أي نوع من أنواع الاغانى عن غرض ملحنها عُدَّ ذلك جرماً لا يُغتفر . مثال ذلك . ان مقطوعةً من مقطوعات الاو برا كفاجنر لا يجوز تأديتها على بيانو وآلة ذات ثلاثة

أوتار كما انه يُحظرُ على الموسيقيين أن يؤدّوا تلاحين لبتهوفن من نوع السنفونيا أو أغانى شوبير على آلات النفخ النحاسية أو المقطوعات الغنائية الساحرة لموزار على « الفلوت » ومما تنبغي مراعاتهُ أن يُقيِّدَ المؤدي بغناء الاغاني حسب مايقصده منها واضعها وكثيراً مانرى من بعض المجددين الخلط بين غناء التخت والغناء التمثيلى على المسارح وفى الافلام السينمائيــة لان لكل ضروبٍ من الاغاني ونواحيها المختلفة حدوداً وشروطاً خاصــة فمنهم من يُوافق أصواتهم الغناء التمثيلى فقط ومنهــم من يمازجهم غناء التخت وقد لايصيب الواحد منهم فى كلا النوعين معاً الا القليل منهم وقد سأل الشيخ سلامه حجازي عبده الحمولي مرةً وهو فى قهوة نزهة النفوس فى شارع وجه البركة مستشيراً اياه في أمر انضمامه الى التمثيل فنظر اليه ملياً وقال له بعد التروي ياشيخ سلامة ان التمثيل يمازجك وهوالمخرج الوحيد لصوتك والاداة الحرة لاظهار نغمتك وعليك أن تنضم اليــه ليكون منا فرد نفخر به من ناحية جديدة من الغناء وكلٌّ يعلم ان سلامة حجازي الذي كان مؤذناً اعتلى التخث حيناً ولما زاول مهنة التمثيل كان النصرُ فى جانبه وطبقت شهرته الآفاق وقد حاول الشيخ احمد ندا المقرئ الشهير الغناء فوق التخت ولم يفز بطائل وعلى الجملة فان من حصلت له ملــكة فى صناعة ذهاباً الى ما قاله ابن خلدون قلَّ أن يجيد بعــد فى صناعة اخرى الا ان عبده الحمولى فانه كان منشداً ومؤذناً وقارئاً ومطرباً وعازفاً أجاد فى كل هذه الانواع لتنوع نواحي عبقريته وتشعب اطراف تفننه ماهذا بشراً ان هو الا ملكٌ كريم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ومن المخجل أن يستعمل المجددون بعض اللحن الرباعي المؤلف من الســبرانو وهو الصوت الاعلى ترنمه النساء الغربيات والالتو للاصـوات المنخفضــة منهن ثم التينور وهو الصوت العالى للرجال والباص للاصـوات المنخفضة منهم محاكاةً لموسيقى بعض الـكنائس وهو كثير الشـيوع والاستعمال فى الترانيم الـكنسـية والمراد منه الخشوع والتعبد والورع لااللهو والطرب ولمَ ياتُرى لايغرف المجددون من معين الموسـيقى الشرقية الفيّاض نغمات حساسة على ارباع المقام وما ضَرَّهم لو لجأوا الى موسيقانا الشرقية فقط واستنبطوا من عواملها الخصبة فى التجديد مايقيهم شرّ شماتة الموسيقيين الغربيين بهم وازدرائهم لهم من جراء سرقة بعض نغماتهم التى لاتلبث أن تتلاشى سريعاً بعد سماعها بخلاف تلاحين المتقدمين من مطربي مصر فانها خالدةً على مرّ الايام وكرور الاعوام وتزيد حســناً وبهاءً كلما تقادم العهد بها مع العلم ان للاتراك والفرس والاكراد والغربيين على اختلاف اقاليمهم موسيقات خاصة وطبائع خاصة ولغات خاصــة والمصريون كما تعلمون سيداتى وسادتى لطفآء المحاضرة كرامٌ فى ضيافاتهم سريعو الخاطر اشتهروا

فى الغناء بحسن الحركة و إحكام (القفلة) وهم ميالون الى الطرب و يفصلون سماع موسيقاهم على غيرها بالغةً مابلغت من الاتقان فى الهرمونيا والعرب منذ الجاهلية لا يطأطئون للغرباء رأساً ولا تؤثر فيهم الاحداث الغربية والمصطفى المنتسب نبيّ العجم والعرب عربيٌّ صميم ولا بد إذ ذاك أن تكون موسيقانا عربيةً محصةً مستقلة عن غيرها حفظاً لتقاليدنا وتمشياً مع عوائدنا والشمسُ تطلع من المشرق فاستفيقوا أيها الشبانُ لقد طمى التحديد الهادم لمجد العرب والطامسُ لآثارهم ولقد بني استقلالُ مصر على كواهلكم فكونوا دعاةً لخيرها وأعواناً لحفظ تراث الشرق وبثوا فى الاهلين والمجددين روح الغيرة على حفظ تقاليدنا لان الفن المصرى النفيس امانةٌ فى اعناقكم وحفظهُ من الضياع منوطٌ بكم دون سواكم وهو يشب بشبابكم و يهرم بهرمكم واعلموا ان ما أصابهُ من جمود لا يرجعُ اليه بل الى اهمال محترفيه وان فى خروج المجددين جرّاً لهم عن قواعده الاساسية فسادُ أمره وتنكرُ معالمه لان فى موسيقانا الشرقية من الكنوز الفنية النفيسة مايعز وجوده فى سواها وهى بحرٌ زاخرٌ باللآلىء والدرر الغوال لكن الموسيقيين الغربيين فانهم على ضيق نطاق موسيقاهم بالقياس الى موسيقانا قد استنبطوا كافة الوسائل ولاوصوا كل الامور حتى وصلوا بها الى أبعد مدى

واحتفاظاً بما لأغانينا من تقاليد يجب على المطربين المجددين أن يبدأوا أغانيهم بالمواليا التى تتخللها الفاظ ياليل ياعين متابعةً لسنن السابقين من المطربين وضرباً على قوالبهم

لقد أطلت سيداتي سادتي بالكلام الى مالعله سبب لكم الملل فأقتصر وأقول ان ما تفضلتم بسماعه عن فقيد الفنّ الذي لاتُفتح العين على مثله لم يكن الاّ نقطة من بحر لعلّ الله يخلق لنا عبقرياً آخر فيطربنا كما أطربنا الأول و يشرح صدورنا بساحر انغامه وشريف وجدانه وحرّ خِلاله

فالى حضرة صاحبى المعالى وزيرى المعارف والشؤون الاجتماعية من نيطت بهمتهما الآمال في اصلاح شؤون الموسيقى الشرقية أرفع كلمتى هذه راجياً منهما ألاّ يُرخصا لأي محترف للغناء العربي بالاذاعة فى المحطة الاّ اذا عمل على متابعة سنن عبده وعثمان ومن على شاكلتهما واتباع ماتركوه للفنّ من أصول وقواعد. والضرب على قوالبهم إصلاحاً لِما لحِق هذا الفن من فساد التجديد وحفظاً لطابعه الشرقى فى ظل جلالة الملك فاروق المعظم ناشر العلوم ونصير الفنون فلا بقاء لأمة بدون لغتها وفنها وشعورها وتقاليدها

وفى نهاية المحاضرة التى ألقاها الاستاذ قسطندى رزق بالنادي الشرقي شنّف آذان الحاضرين الاستاذ محمد بخيت فوق التخت وغنّى دوراً من أدوار عبده الحمولى من نغم الرصد مطلعه كما يأتي

(الورد في وجنات بهيّ الجمال وعنبري الخد سبى مهجتى) وذلك برئاسة الاستاذ ابراهيم شفيق رئيس معهد الاتحاد الموسيقيّ وناظر مدرسة فؤاد الأول الموسيقى العربية الذي قدّم هذا التخت عن طواعية وخدمةً للفنّ الشرقي القديم

عود الى ماهنالك

داود حسني



داود حسني

ذكرنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب شيئاً عن تاريخ حياة المرحوم داود حسني ، ونحن موردون هنا توفيةً لحقه واتماماً لما سبق ذكره بعض ما اتفق لنا العثور عليه أو عَلِق بالذاكرة من جليل الخدم التى قام بها للنهوض بالموسيقى الى ذروة الكمال وما اتصف به من محاسن الخلال وعذب المنطق ورحب الصدر

كان الفقيد في التلحين على احتلاف أنواعه ينبوعاً لا ينصب مآؤه بدليل ما خلف لنا من آثار خالدة فى الأدوار والغناء المسرحي وهى أكثر من أن تتسع لها صفحات هذا الكتاب وكثيرا ما كان يبتكر من أنغام ويجدد فى ضمن حدود الفن القديم بما يلائم الذوق المصري السليم من دون

أن يثقل على السامع بجفوة غريبة وكان النصر من نصيبه والظفر في جانبه وليس تجديد هو أمتع ولا ألذ في الأسماع ولا أوقع فى النفوس ولا أشد اتصالا بالمدارك من غنائه الطافح صدقاً وعفافاً والممتاز بحسن الصياغة وسحر التلحين .

ظهر الفقيد فى عصر اسماعيل الذهبى وعاصر النابغين عبده وعثمان وأخذ عنهما الشيء الكثير حتى كان يحسن تقليدهما معاً وكان قوي الذاكرة يتوقد ذكاء منذ صغره ويتدفق فصاحة فكان كيوسيفوس يسرد لنا الوقائع التاريخية بلا غلوّ ولا مواربة مؤيداً قوله فيها بالحجج القواطع إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل . وإذا كان من مميزات المغنيّ على ما قاله ابراهيم بن الهانيء أن يكون فأره البر ذون براق الثنايا عظيم الكبر سيء الخلق كان بالعكس فقيدنا متواضع النفس سلس الطباع طلق اليدين على ضيق ذات يده

ومما يثبت علو كعبه فى التلحين ان نابغة زمانه عبـده الحمولي أقبل على تلاحينه وغنى بعضها ومن بينها دور (عزيز حبك) (حبك يا سلام) فى نغم السيكا ، أما الدور الاول (الحق عندي لك) الذى لحنه فهو يعد رمزاً لما انطوى عليه من التسامح والسعي فى الخير ورأب الصـدع ، وقد صـدقت أماني محمد عثمان عندما تنبأ بأن الفقيد سيخلفه فى فن التلحين الذى ستكون له فيه المزية الظاهرة ، ولا غرابة فان داود تَعطِشُ محمد عثمان إسلوباً وصوتاً بدليل انه بينما كان الأول يغني فى مكان ما مرّ به رجلان من عليّة القوم فقال أحدهما للآخر ها هو محمد عثمان يغنى الليلة هنا فأجابهُ الثاني أنه ترك عثمان عند فلان الفلانى (مشيراً الى صديق له) ولما اشتد اللداد بينهما راهنا على ذلك وكانت النتيجة أن خسر الاول الرهان . وقد أنشد أدواره كل من الشيخ يوسف المنيلاوى وعبد الحي حلمي وسيد الصفتي ومحمد السبع وزكي مراد وصالح عبد الحي وغيرهم

أما دور (أسير العشق) فلو لم يقتصر تلحينه الا عليه وحده لكفاه فخراً لانه إحدى المعجزات الفنية ، وهو ولا جرم لم يترك باباً فى الموسيقى إلا طرقه ولذلك فانك قلما تجد دوراً أو مقطوعة من أوبرا أو نغما جديداً إلا تجد له فيه الغرة الواضحة ، وهو سباق الى الغايات النبيلة ، لم يخلق لنفسه بل للآخرين ، ومما يثبت ذلك انه شاطرني الأجر في إحياء ذكر « عبده » وآلى على نفسه ألا يتقاضى أجراً فى الحفلة التى أقيمت بدار الاتحاد النسائي مساء الخميس ٧ يناير سنة ١٩٣٧ وفى غيرها فوق مسرح حديقة الازبكية وذلك بخلاف رجال التخت الذين قبضوا أجرهم ، وعلى الجملة فانهُ كان فى ابان الكرب الذي كان يخيم على قلبه ويأخذ بنفسه رابط الجأش لاتفوته الابتسامة فوق شفتيه

راضياً وكأني به يقول : « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » ، ولو لم يقلب له الدهر ظهر المجن ونال النزر اليسير مما أغدقت على بعض تلاميذه الأفلام من النضار لصعد بالفن الى قمة الكمال بفضل زيادة إنتاجه وإدمان رعايته له وأنى لنا أن نوفيه حق الرثاء ؟ ولله در حافظ بك ابراهيم ، إذ قال في هذا المعنى

كم طوى البؤس نفوساً لو رعت منبتاً خصباً لكانت جوهرا
كم قضى العدم على موهبة فتوارت تحت أطباق الثرى

بتهوفن يعزف على البيانو فى دار موزار

يرى الانسان إذا وقع بصره على هذه الصورة ان موزار يشير الى الحاضرين من المعجبين بعبقرية بتهوفن أن يرعوه سمعهم بهدوء وسكون فى أثناء عزفه على البيانو ، مع ان هذا الأخير أصم أصلخ لا يسمع صوت الرعد الا انه يعزف عن روح وشعور ووجدان وليس أدل على مبلغ إكبار الشعب لنبوغه فى أن المعهد الموسيقي فى برلين أرصد لذكرى وفاته

بتهوفن يعزف على البيانو فى دار موزار

خمسمائة جنيه - جائزة سنوية - تدفع لمن يفوق أقرانه فى التأليف الموسيقي وكأني باهل الغرب قد تنبهوا منذ عهد بعيد بعد أن كانوا يتخبطون فى دياجير الظلمة الى التماس جميع أسباب السعادة فى حياتهم وحث فتيانهم وفتياتهم بلا استثناء على أن يرضعوا من لبان العلم ويغذوا نفوسهم بالفنون الجميلة وعلى الارتياض بالفضائل ومحاسن الآداب وجعلوا الغرض من إحياء ذكر نوابغهم المتوفين ورفد أرباب التصانيف العلمية والفنية منهم شحذ العزائم لابراز نتائج أفكار السباقين الى الغايات وثمرات اجتهادهم مما يكون فيه توسيع نطاق العلوم والفنون وإسعاد المجتمع فى الوجود وإلا محيت العبقرية من لوح الوجود وفشا الجهل وكان المال له عوناً على ارتكاب المنكرات فيصبح الانسان

نكرة ويعد وجوده عديم الفائدة بموت المدارك البشرية وجمود القرائح ونقصاً في الانسانية على حد قول شاعر العرب

وما المرءِ خيرٌ في حياةٍ إذا ما عُدَّ من سقط المتاعِ

وُلد لدويج فان بتهوفن من رجل مدمن للشرب عربيد استغله وهو فى الرابعة من سنيه ليكون قوام أهل بيته بالعزف فى المحال المغرية وغيرها من دون أن يوجهه الى تحصيل القليل من العلم والتهذيب فكانت حياته مليئة بالهموم متلبدة بغيوم قاتمة وكان يحس بالخيبة فى قرارة نفسه ويشتكي بؤساً له أحياناً وميض إذا ما ذكر فى مخيلته والدته التي كان يحبها حباً جماً ، وعن الروع المومض حدِّث ولا حرج حينما اختطف منه الموت والدتهُ وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره فاكفهر الجو أمام عينيهِ وقامت عنده قيامة الأحزان ثم شرع فى تربية أخويه عقب وفاتها بصفة كونهِ كبير العائلة وكان يستولي بنفسهِ على المرتب الذى كان يتقاضاه والده تفادياً من أن ينفقهُ فى المسكر والمنكر فضلا عن ان رؤساء بتهوفن كانوا لايواظبون على اعطائه أتعابه كلٌ يعلم ان هذا الانسان التعِس كان لوحشته صَلف العشرة وكان رفيقهُ العنكبوت الناصب خيوطهُ فى أحد أركان حجرة قذرة صغيرة فوق سطح منزل كان يسكنها ومع هذا كله فانه فطر للميل الى مخالطة الناس (والانسان مدني بالطبع) وأشرب قلبه حب المرأة وحاول ثلاث مرات أن يُوجد له رفيقة تقاسمه فى حياته السراء والضراء ولكنه لم يفز بطائل لا لضيق ذات يده فحسب بل للئيم حسبه وسفالة طبعه والذى زاد البلوى انه أصيب وهو في السادسة والعشرين من عمره بالصمم الذي كان وقعه عليه أشد من وقوع الصاعقة وكثيراً ما كان يحاول إخفاءه على أصدقائه ومريديه وقد عملت له أربع عمليات ولم تنفع فى اطالة أجله حيل الاطباء ونقله الله الى دار كرامته فى اليوم الحادي عشر فى مارس سنة ١٩٢٧

تنويم الاطفال على صوت الموسيقى

خيرٌ وأبقى

لقد دلَّ الإختبار على انَّ الطفل يضحك و يهتزّ طرباً فوق ذراع أمّه أو مرضعته حينما يسمع صوتاً جميلاً أو توقيعاً موسيقياً أو يشاهد لوناً بهيجاً وقد ذُكر أن وليدة لها من العمر أربع سنوات كانت تزعق(أي تخاف بالليل) فأُشير على والدتها أن تعالجها بالغنآء وكانت تجلس بجانب سريرها وتُغنّيها بصوت منخفض فلا تلبث أن تهدأ الى صوتها وتنام ولم يمضِ على ذلك شهر حتى شُفيت تماماً وأغرب من ذلك ان للغناء تأثيراً فى البقر فاذا كانت الفتاة التى تحلب بقرة تغنّى تحتها فى أثناء الحلب غناءً شجياً فلا شكَّ أنها تدر لبناً يزيد مقداره على المعتاد بنسبة ٢٥ ٪ وكذلك الخيل فانها ترقص على أنغام الموسيقى كما تسترسل النياق فى سيرها على الحدآء وتميل الى سماعها العناكب والسمك والفأر والأفاعى والأسود

من المعلوم ان لكلٍّ من الشعوب أغانيَّ خاصّة تنوِّم بها أطفالهم وللكونتيسة مارتينينجو سيزار سكو مؤلفة « كتاب دراسة الأغانيَّ الشبعية » مجموعة أناشيد جميلة تلقى على مسامع الأطفال فى أسرّتهم فى كثيرٍ من البلاد

ومما لاحظتهُ هذه الكونتيسة فى الاطفال أنفسهم أنهم مسترسلون الى سماع الحركات الموزونة و يصغون الى الموسيقى والغنآء بعواطفهم وكذلك الى رنين مفاتيح معدن صغيرة مربوطة بحلقة اذا هُزَّت هزاً والطقاطيق والاشعار الشعبية التى تتلى على مسامعهم واليك بعض أنواع الأغاني لبعض الشعوب

فى سيسيليا (من أكبر جزائر ايطاليا) تغنّى الأم ولدها وتقول لهُ (يا كحيل العينين يا أحمر الخدّين ياحاكى البدر فى تمّه ويقال ان ماتحرقه الأم من البخور شغفاً بأولادها يكفى بلا مغالاة عدّة كنائس أما وليدتها فإن أمها تصفها بربطة الزنابق و باقة الورد أما اذا أبت أن تنام وأعولت إعوالاً تمنَّى الأم فى نهاية الأمر أن يختطفها الموت شرّ خطفة أما الحاضنة الهنغارية فانها تتطلّع الى أن يكون سرير الطفل المنوطة بتربيته مصنوعاً من شجيرات الورد وقماطهُ مزركشاً وخيوطه التى نسجتها الملائكة من قوس قزح وأن يهزّهُ نسيم المسآء العليل وأن تفيض عليه الزنبقة أريجاً من أنفاسها وتبسط الفراش أجنحتها اللامعة فوقهُ

أما الالمان فانهم يغالون فى الوصف فى هذه الاغاني التى نجد شيئ منها فى تلحين رتشارد فاجنر المعروف تحت عنوان « سيجفير يد ايديل Siegfried-Idyl »

وهو خليط من التيتوني الصميم الذي تكون لحماته التعبد والهيام وسداه الوداعة والسذاجة واليكم أبياتاً تمثل الحياة المنزلية على الخصوص

Sleep, baby sleep.	Your father tends the sheep.
Your mother shakes the branches small,	Whence happy dreams in showers fall.
Sleep, baby, sleep,	Sleep, baby, sleep:
And do not bleat like a sheep,	Or else the shepherd's dog will bite
My naughty, little, crying sprite.	Sleep, baby, sleep.

وترجمتها كما يأتي نَمْ أيها الطفل ان أباك يرعى الغنم وان أمّك تهزّ الاغصان الصغيرة التى تتساقط منها الأحلام اللذيذة بكثرة . نَمْ أيها الطفل نَمْ أيها الطفل واياك أن تمأمئ كالشاة أو غيرها مثلا يعض كلب القطيع جنيّي الصغيرة الخبيثة التى تبكي نَمْ أيها الطفل نَمْ

أما كلمات الوعيد فى اسبانيا فانها مقتصرة على ان الأم تطلب مجيء المغاربة الى الطفل الصارخ وهى شائعة فى اوربا الجنوبية بخلاف الفرنسيين الذين كسرهم ولنجتون فى موقعة واترلو سنة ١٨١٥ فانهم قاموا بتلحين أغنية لاجـل الامير الاسـود كما لحّن الحواضن قطعة مؤثرة تاريخية احياءً لذكر حصار باريس وهى كالآتي :

As-tu vu Bismark	A la porte du Chatillon ?
Il lance les obus	Sur le Panthéon.

ومعناه أرأيت بسمرك على باب الشانيليون ؟ وهو يقذف القنابل على البانتيون إلا أن الام فى قبرص فانها تقول لطفلها نم يابنيّ لأعطيك الاسكندرية لاجـل سُكّرك ومصر لأرزك والاستانة لتتولى الحكم فيها طيلة ثلاث سنين

على ان الأم الغير مثقفة فى مصر فانها تعد طفلها وعود عرقوب عند ارادة تنويمه وتقول له نام لمّا أدبح لك جوزين الحمام واذا تواصل امتناعه عن النوم رأيت من خلال تذمرها بروقاً ورعوداً وشتماً وإرهاباً فتقول مثلا لطفلها أهو البعبع واقف على الباب وتنادى ابو رجـل مسلوخة أو الجاويش أو الخفير ليخطفه واذا أرادت اضحاكه مثلا فانها كثيراً ما تستعمل الدغدغة له فى أخمص الرجل وثغرة النحر وفى الإبطين والخاصرتين وغير ذلك مما يؤدي غالباً الى خطر الموت والأصوب تنويم

الطفل على انغام الموسيقى و بثّ روح الشجاعة فى قلبه على حدّ الاوربين وذلك خيرٌ من أن يُملأ صدره رُعباً فيشب خائر العزيمة مخلوع القلب وأجبن من كروان لان الطفل اذا رضع البأس وقت رضع حليب أمه وسمع صوت الموسيقى ورأى منها ابتسامة وعطفاً وصدقاً وأمانة نشأ حراً شجاعاً مانعاً لحوذته صادق القول مخلص العمل

الشيخ يوسف المنيلاوى

للشيخ يوسف المنيلاوى إسطوانة رقم ١ - ٥٨ .ورقم ٢ - ٥٣ ١٢٠ . تعبئة شركة الجراموفون « صوت سيده » وهى تحتوى على الثلاثة أبيات الآتية

من له عهدٌ بنوم يُرشدُ الصبَّ اليهِ
رحم اللهُ رحيماً دلَّ عينيَّ عليهِ
سهرت عيني ونامت عين من هنت لديهِ

ولا بأس عبرة للقارى من إيراد سبب نظم هذه الابيات فى هذا الموضع قال بن خلكان كان ابن الزيات قد اتخذ تنوراً من خشب فيه مسامير من حديد وأطراف مساميره المحددة الى داخل وهى قائمة مثل رؤوس المسال وكان يعذب فيه المصادَرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالاموال فكيفما انقلب واحدٌ أو تحرّك تدخل المسامير فى جسمه فيجدون لذلك أشد الألم ولم يسبقه أحد الى هذه المعاقبة . وكان اذا قال أحدٌ منهم أيها الوزير إرحمنى يقول لهُ الرحمة خَوَرٌ فى الطبيعة فلما اعتقلهُ المتوكل أمر بادخاله فى التنور وقيَّدهُ بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال لهُ يا أمير المؤمنين ارحمنى فقال لهُ الرحمة خوَرٌ فى الطبيعة كما كان يقول للناس فطلب دواةً وبطاقةً فأحضرتا اليه فكتب

هى السبيل فمن يومٍ الى يومِ كأنه ما تريك العينُ فى النومِ
لا تجزعنَّ رويداً انها دُوَلٌ دنيا تَنَقَّلُ من قومٍ الى قومِ

وسيرها الى المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلاَّ فى الغد فلما قرأها المتوكل أمر باخراجه فجاءوا اليهِ فوجدوه ميتاً وكانت مدة إقامته فى التنور أربعين يوماً ولما مات وُجد فى التنور مكتوباً بخطه قد خطهُ بالفحم على جانب التنور من لهُ عهدٌ بنومٍ الخ وانما أوردناهذه القصة الصغيرة بياناً لما كانت عليه الأغانى فى عهد السلف من حسن الاختيار والصلة بالتاريخ والأدب فكان عبده وعثمان

محاطين بمجابذة الأدب وفحول الشعرآء لاينظمون لها طقاطيق ولا أدواراً ركيكة مبتذلة بل من قلائد الشعر والقصائد الحكمية الباقية على الدهر مايشف عن سمو منزلتهم فى المجتمع وعفة اللسان والطهر ومن تتبع هذه النظائر فى مواويل وأدوار وموشحات السلف وجد من كل ذلك مايدل على ان عصر الاخلاق الكريمة قد انقضى ولا يرجع وان الطبيعة قد عقمت عقما فلا نجد أبداً لاعبده ولا عثمان آخرين فلا حول ولا

اسكندر شلفون

وُلد اسكندر شلفون بالقاهرة فى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ وهو خريج مدرسة الفرير بها وانتظم فى سلك وظائف الحكومة بوزارة الاشغال العمومية ولما كان ميالاً بالفطرة الى الموسيقى التى ورثها عن والده بطرس شلفون والعرق دساس استقال من وظيفته سنة ١٩١٩ وتفرغ للموسيقى دون سواها حتى حَذَق العزف على البيانو والعود والقانون والكمان وقد أنشأ بشارع الفجالة مدرسة للموسيقى سمّاها روضة البلابل وأصدر فى أول اكتوبر سنة ١٩٢ مجلة عربية باسم المدرسة أيضاً (روضة البلابل) وعاشت ثماني سنين ونيف وكانت أعدادها لاتخلو من معزوفاته مدونة بالنوتة وفوائد جمة وبحوث مستفيضة وهو أديب وشاعر ومن مؤلفاته الشاهدة بسعة علمه وكثرة تفننه «السبايا» رواية تمثيلية (اوبرا) وصبر العذارى وقد عرَّب الروايتين الآتيتين معبد النيران وابن برديان وله عدة تلاحين وقصائد نُشر أكثرها فى مجلة روضة البلابل وقد عرَّب دائرة المعارف الموسيقية الفرنسية لجون دوانيت وعلق عليها الحواشي والهوامش وساعد البارون دى ارلنجر فى ترجمة ما اختص به كتاب الفارابى من بحوث موسيقية وكتابي ابن سيناء والأغاني وقد وضع فى سنة ١٩٢٢ تقريراً فى الموسيقي العربية رفعه الى مصطفى ماهر باشا وزير المعارف آنئذٍ لإدماجه فى برامج التعليم بالمدارس الأميرية ونظم ولحَّن نشيداً للمقتطف بمناسبة عيده الخمسيني أنشده فى الحفلة التى أقيمت بدار الاوبرا الملكية فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦ كما أنه فاز في مباراة موسيقية بنشيد لحَّنهُ

مطلعهُ « املكى يامصر وليحيي الملك » ولحّن توشيحا مطلعهُ « أيها الساقى اليك المشتكى وقد شهدنا بحثاً طريفاً لهُ ومحاضرة ألقاها بمعهد فؤاد الأول للموسيقى العربية قبل أن يرحل الى لبنان فى سنة ١٩٣٠ وكان مدارها على عجز البيانو عن تمثيل ارباع المقام وقد وفق الى اختراع آلة صغيرة أمكن بها تمثيل ارباع المقام فى البيانو فاندفع يعزف دوراً عربياً ذا الأرباع المقام على البيانو ولم يستطع الى ابرازها سبيلاً إلاَّ انه عند ما استعمل الآلة المذكورة التى وضعها داخل البيانو استطاع أن يمثل للجمهور الأنغام الشرقية كالحجاز كار والنهاوند والعجم عشيران وغيرها وقد هنأناه بما نال من توفيق ونجاح ولكن وياللأسف ذهب ليصطاف فى لبنان حيث مات حتف أنفه أسكنه الله فسيح جناته ورحمه أوسع الرحمات

اسكندر فرح

(تابع لما فى الجزء الثانى)

واستمر الشيخ سلامه حجازى ملازماً له فى العمل الى سنة ١٩٠٤ ولما انفصل عنه أسس فرقة لقيت من الشعب المصري أكبر إقبال لما كان يتخلل رواياته من شجى الألحان وروائع القصائد وقد تخرج عليه إخوان عكاشه ، أما المرحوم اسكندر فرح فانه بعد أن انفصل عنه الشيخ سلامه بثلاثة شهور كوّن جوقاً عصرياً من كل من الأساتذة عزيز عيد وأحمد محرم ومحمود كامل والشيخ احمد الشامي وهم من هواة الفن فى مصر ، وأحضر من الاسكندرية رحمين يعبيس وأمين عطا الله ومارى صوفان وإدريس وألماس استاني وغيرهم ، وبدأوا تمثيل الروايات الآتية (الطواف حول الارض) و (العواطف الشريفة) و (صاحب معامل الحديد) و (مارى تيودور) و (الولدان الشريدان) و (ابنة حارس الصيد) وقد تحمل اسكندر خسائر فادحة لعدم إقبال الشعب عليها بخلاف الشيخ سلامه الذى أبلى بلاء حسناً فى رواياته ، ولما تُوفي قيصر شقيقه ورئيس إدارة الجوق سنة ١٩٠٩ ترك التمثيل واقتصر على تأجير التياترو للفرق التمثيلية ولما أصيب الشيخ سلامه بالفالج أسس اخوان عكاشة فرقة باسمهم ومثلوا عدة روايات فوق مسرح تياترو عبد العزيز الذى استأجروه من اسكندر فرح

أما الشيخ فانه عندما نال بعض الشفاء استأنف عمله و انضم العكاشيون اليه ثانياً وأخذوا يزاولون هذه المهنة معه بدار التمثيل العربي الى أن عاد الاستاذ جورج أبيض من أوربا حيث تخرج على الاستاذ « سلفان » الممثل الفرنسي الشهير وذلك بنفقة الخديوى عباس حلمي وقام بتكوين جوق خاص ضم اليه أكبر عدد من نخبة ممثلي الشيخ سلامه وكلاً من الأستاذ عبد الرحمن رشدي وفؤاد سليم بالاشتراك مع عبد الرازق بك عناية ولما أمرت الحكومة سكندر فرح في سنة ١٩١٣ بازالة تياترو عبد العزيز من أساسه لداعي قبوله للاحتراق لانه مبنى من خشب استأجر شقيقه الاصغر توفيق فرح كازينو حلوان من شركة سكة حديد الدلتا وكان يمثل فوق مسرحه في كل يوم أحد رواية من رواياته وكان أول الحاضرين لسماعها المغفور له الخديوي توفيق وكان عنده يغنى فصلين غنائيين فى خلال الروايات فى ليالي الاعياد والمواسم وكان من عادته تأجير الكازينو ليلة واحدة فى الأسبوع لكل من جورج أبيض والشيخ سلامه لأجل التمثيل لحسابهما الخاص واستمر قائماً بالعمل حتى سنة ١٩١٦ وبعد ذلك ترك توفيق كازينو حلوان وأقام بالمحالة تياترو تحت اسم تياترو شانزليزيه لمدة سنتين

وقصارى القول فان اسكندر فرح الذى يعود اليه الفضل فى تكوين أكبر جوق للتمثيل ضحى بماله فى سبيل النهوض بفن التمثيل الى درجة الكمال

وقائع لعبده الحمولى

– احتج ابراهيم سهلون الكمانى فى أثناء العزف فوق تخت عبده الحمولى على شخص تعدّى عليه بالسب علناً وذلك بعد ثورة عرابي ببضع سنوات فرفع عليه قضية جنحة مباشرة مقدماً عبده كشاهد فيها ، ولما طُلب عبده لحلف اليمين أمام قاضى الجلسة وجد القاضي متأنقاً فوق ما يُتصور فالتفت الأخير اليه وقال له ياسى عبده قل لى رأيت ايه ؟ . .

فأجابه عبده بلهجة الاستفهام « فى جمالك » ؟ » . . إيماء الى الدور الشائع آنئذ القائل « قول لى رأيت ايه فى دلالك » . . فابتسم القاضى وعرض فى الحال الصلح على الخصمين فقبلاه . . .

طلعت باشا حرب

خص الله فى كل أمة أفراداً فَضَّلهم على سائرها بتوقّد الذهن والإقدام على ركوب العظائم والتناهي فى خدمة الانسانية والاضطلاع بالمصالح العامة حتى يكونوا قادةً للأمة فى سبل الفلاح والتوفيق وقد كان أحد هؤلاء المغفور له طلعت باشا حرب واسمهُ غنيٌّ عن التعريف ولمصر أن تُباهي به مدى الدهر بما أنشأ من مؤسسات وشركات ومعامل أغدقت على سكان القطر السعيد الخيرات والبركات أمثال بنك مصر وشركات السياحة والطيران والنقل والملاحة وحلج الاقطان والغزل والنسيج والكتان ومحاجر رخام الهرم ومصايد الاسماك والازرار ومطبعة مصر والتأمين للحياة وغيرها

(طلعت باشا حرب)

وكيف لا وقد جمع بين رزانة الانكليز ورقة الفرنسيس وأريحية العرب وجعل أيامه وقفاً على معالجة أدواء المجتمع في مصر خاصة وفى الشرق عامة ومحاربة شياطين المال الذي كانوا سبباً فى تخريب البيوت العامرة وتتبع حياة مصر صفحةً صفحة وسطراً سطراً حتى أضحى بصيراً بمواضع الضعف منها عارفاً بمساوئ أولئك الأبالسة والاكاذيب فى معاملاتهم وأول مالمع له فى مبتكراته من بروق الفوز بنك مصر الذي بدأ تأسيسه ثم الصناعات على اختلاف أنواعها داحضاً النظرية الفاسدة لأرباب المآرب القائلة بان اعمال المصارف والشركات والصناعات لا تصلح لمصر ولا يقوم بها غير الأجانب طعناً فى كفاية المصريين وذكائهم

هذه الخطوة الجريئة الصادرة عن ارادة حديدية كانت من أهم الأسباب في انعاش الصناعات المصرية وتشغيل مئات الالوف من العمال المتعطلين وبالتالي فهي حفظت الرمق الباقي من بيوت الأسر الكريمة المحتد وكبحت جماح المرابين ورفعت اسم مصر عالياً في جميع الأقطار ، وكان من مميزات الراحل الكريم المثابرة على العمل وتنفيذ كل فكرة لأي كان أو أية فكرة تبدو له لأول وهلة في سبيل معالجة مواطن الوهن في جسم الامة المصرية وشل أيدي أصحاب المنافع الخاصة المبسوطة لامتصاص أموال المصريين المساكين الكرماء المحبين ضيوفهم [illegible] من مساعدات وصناعات وما قدمهُ من جلائل المنح وفواصل البركات الجمعية الخيرية التي تقوم بتوزيعها على الأسر العريقة التي أخنى عليها الدهر وعضها الفقر بنابه

هذه المكرمات وهـذه الفضائل التي تأهب لها طلعت باشا بالفطرة سواء كانت من معالجة أمراض المجتمع أو تقوية الروح المعنوية أو نزوع النفس الى ركوب العظـائم ، كانت وليدة فيه ، وكان معاصراً للسيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وقاسم بك أمين ، إلا أنهُ لم يكن نزوعاً الى القبض على أزمَّة السياسة والمباهاة بزخارف الرئاسة ووميضها الخلَّب ابتغاء للشهرة والجاه ، بل انصرف الى معالجة الامراض النفسانية والمعنوية والاقتصادية في كل بيئة مصرية ، وهو حريٌّ بأن يُلقَّب بطبيب المجتمع ، وهو لم ينقطع عن درس شؤون مصر المالية والصناعية وتنفيذ ما تفتح بهِ عليهِ الأسفار الى أوروبا في نواح جـديدة لم يسلكها من قبل ، وقد كان في خلال تلك الأسفار يقف علي جميع الموضوعات في بنك مصر ومؤسساته بواسطة التقارير التي كان يبعث اليه بها تباعاً الموظفون المنوطون بالأعمال في البنك .

ومن مميزاته الجليلة حفظ تقاليدنا القومية وممارسة الفضائل وتثقيف الفتاة المصرية وتعليمهـا الواجبات المنزلية وراء الحجاب ، وله رد قوي الحجة على قاسم بك أمين على طلبه رفع الحجاب في كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) .

ولما مات ولده حسن غض الشباب وآنس فيهِ طول حياتهُ حب التمثيل والموسيقى اندفع الى مساعدة القائمين بهما وأنشأ داراً للتمثيل العربي تصدقاً على روحه وإحياءً لذكره ، واستوديو مصر للسينما والأفلام تمشياً مع التطور العالمي وقد أُنشئت على غرار استوديو مصر شركات أخرى للأفلام أمثال شركات تلحمي والاهرام ونحاس وبهنا وتوجو مزراحي وغيرها

ومما يحسن ذكره ان طلعت باشا تطوع باعطائي مسرح حديقة الأزبكية مرتين إحياءً لذكرى عبده الحمولي وتشجيعاً للفنون الجميلة وعندما أهديته الجزءين من كتاب « الموسيقى الشرقية » تأليفي وصورة فوتوغرافية لعبده الحمولي موضوعة داخل إطار جميل ، سألني عما إذا كنت سمعته شخصياً فكان جوابي له بالإيجاب ، فأردف قائلا انها لنعمة تغبط عليها يا أستاذ ! لأنه لم يتسنَّ لي سماعهُ ولا يفوتني أن أترحم على الراحل العبقري الجليل وأثني على تضحيته أطيب الثناء وأن أحثّ أرباب الغنى والجاه على الاقتداء بسنته ووقف حياتهم على النفع العام ، لأن قيمة الانسان ما يحسنهُ ولم يخلق الانسان لنفسه فقط بل للآخرين أيضاً ، وقد صدق الشاعر إذ قال

وإذا الكريمُ مضى وولى عمرهُ كفل الثناءَ لهُ بعمرٍ ثانِ

وقائع لعبده الحمولي

— دخلت احدى السيدات دار عبده وطلبت منه ثلاثمائة جنيه على سبيل القرض لزوجها فلبي الطلب وأرسل مندوباً الى الشيخ يوسف المنيلاوي ليقرضهُ هذا المبلغ ، فاعتذر الاخير وعاد المندوب بخفي حنين ووقف على باب عبده حيران لا يدري مايفعل فلما رآه محمد القرا شيخ الطباخين على هذه الحال استمهله قليلا وأسرع السير الى بيته وأحضر معه لا ثلاثمائة بل ستمائة جنيه ، ودخل بها على عبده مستاءً من عدم تلبية يوسف المنيلاوى طلبه ، وأقسم بالله بأن هذا المبلغ يقدمه هدية له ، واردف يمينه بالحلف بالطلاق ثلاثاً .

ولما وجد عبده نفسه أمام الأمر الواقع ، وانهُ لا يقبل أن يكون لمحمد القرا فضلٌ عليهِ ، قبل المبلغ كمقدَّم الصداق عن ابنته ، وسمح — على عريض جاهه — لتكون ابنته زوجة لابنه محمد .

وكُتب الكتاب على هذا الشرط ، وحل اللغز وأعطى السيدة الثلاثمائة الجنيه التى طلبتها واحتفظ بالباقي . .

فتأمل !! . . .

الموسيقى الشرقية

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق حامي ذمارها

والناس على دين ملوكهم

لما كانت الاغاني والموسحات العربية التى سبق أن نظمها اسماعيل باشا صبري وكيل الحقانية آنئذ والشيخ علي الليثي شاعر المغفور له الخديوي اسماعيل باشا وغيرهما من فحول الشعراء والتي غناها لعهده الذهبي عبده الحمولي ومحمد عثمان وألمظ قرة عيون المصريين ومهوى أفئدتهم لانها تلائم أذواقهم وتعبر عن عواطفهم وتحتفظ بطابعها الشرقي ومميزاتها الخاصة فضلا عن انها متينة البناء صحيحة الأجزاء محكمة الاداء جزلة الالفاظ وحلوة المعاني وجدت في تنبيه حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك ليلة الحفلة في سراي الزعفران على حضرة الاستاذ محمد القصبجي بالتزام خطة الموسيقى العربية دون سواها احتفاظاً بتراث الشرق الأثيل مايبشرني بنجاح أماني ونصرائي أجمعين بفضل حسن تقدير جلالته السامي للموسيقى الشرقية لما لها من سحر فى النفوس . وقد نوهت بذلك مطولاً على صفحات البلاغ الأغر بتاريخ ١٢ أغسطس الماضي بعنوان « جلالة الملك حامى ذمار الموسيقى الشرقية» إشادة بفضله السامى و بالغ عنايته بأماني شعبه الملتف حول عرشه المنيع الحوزة

واني أفتخر قائلا بأن مالقيته فى شخص جلالة المليك المعظم من الاريحية الرفيعة والتحفز البالغ فى حُبّهِ لشعبه والاحتفاظ بتقاليده ومجده العربي الأثيل منذ نعومة أظفاره سوّل لي أن أشحذ عزيمتى للسعي فى تمصير الغناء العربى فى مستهل حكمه السعيد ليتجدد شبابه و يلبس ناعم الخز بعد ان طغى عليه التجديد الفاسد وألبسه خشن الجلباب كما فعلت منذ انعقاد المؤتمر الموسيقيّ سنة ١٩٣٢ وخاطبت فى ذلك وزارات عدة منها الوزارات الصدقية والنسيمية والماهرية والنحاسية فرفعت بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٣٧ بطريق البريد المسجل الى انكلترا اقتراحاً للاعتاب الملكية عن يد سعادة احمد حسنين باشا والى حضرة صاحب الرفعة مصطفى النحاس باشا بتاريخ ١٢ يوليو سنة ١٩٣٧ والى معالي سعيد ذو الفقار باشا بتاريخ ١٩ يوليو الماضي – مآله صدور أمره الكريم بإباحة عرض

نموذج الغناء العربي الذي أنشاه عبده الحمولي بمعرفتى ليلة التتويج الملكي إظهاراً لشعوري وولائي نحو السدة الملكية وغيرة على الموسيقى الشرقية من أن تمتد اليها يد التلاعب والضياع

فهل بعد هذا التنبيه الكريم ما يمنع بعض المجددين فى الموسيقى من الانتهاء عما هم فيه من خلط ومزج بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربيــة وليعلموا علم اليقين ان الملصق اللزيق من نغماتهم المستكرهه على أما كنها المنقطع سلك مبناها مرة والمنعقد أخرى ان هو الا التحام لا يرجع الى نسب شرقي ولا تربطه عصبية عربية ويشبه اسمالا بالية لعجائز فانية فلا كلفة على المجــددين فى هذا الامر اذا ثابوا الى هــداهم واتبعوا الغناء القديم حرصا على سحر الموســيقى الشرقية والاتحاد ملاك القوة والانقياد الى الاقتداء بالموسيقى الغربيــة بدعة وعجز على اني فى الوقت نفسه لم افتر عن السعي فى استعطاف خاطر جلالة مولاي الملك بأن يداوم العطف على الموسيقى الشرقية ويرفق بها وبمحترفيها البائسين كما هو المنتظر والمتوقع من جــلالته على حد مافعل رأس العائلة الملــكية وذراريه المغفور له ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير والخــديوي اسماعيل باشا والخديوي محمد توفيق باشا والسلطان حسين والملك فؤاد الاول . وقد زار المغفور له محمد توفيق باشا عبده الحمولى بداره فى حلوان عقب أوبته من رحلته الى الوجه القبلي وكان المغفور له السلطان حسين كما تقدم ولعاً بالموسيقى العربية الى أبعد مدى (وهذا الشبل من ذاك الاسد) بدليل انه استدعى قبل وفاته بأربعين يوماً تختاً مصرياً مكوناً من الاساتذة محمد العقّاد القانونجي وسامى الشوا وعلي عبــد الباري المطرب وحســين العواد وأمين بزري العازف على الناي فأنشــدوه غناء عربياً ذا صــبغة شرقية وروح مصرى انفسح له صدره فأجزل لهم العطاء وأكرمهم إكرام اسماعيل أبي الاشبال وصاح عند انصرافهم قائلا لهم اطلبوا الى الله أن يصــل فى عمرى ليتسنى لى القيام باحياء الموســيقي العربية وتجديد شبابها واعادة مجدها الاثيل

وقد قال الاستاذ الدكتور كورت راكس فى حضرة المغفور له ساكن الجنان الملك احمد فؤاد الاول فى الحفلة التي أقيمت بدار الاوبرا الملــكية نائباً عن أعضاء مؤتمر الموسيقى المنعقد سنة ١٩٣٢: فهذه البلاد التى نشأت قبل بلاد الغرب تريد الآن أن تقاسمها الحياة وأن تتبوأ بينها المــكان اللائق بها فهي الام التى تجدد صباها وأصبحت تعد نفسها أختاً لبناتها وهاك شعار المؤتمر والروح التى تتجلّى فيه عن مصر ان هــذه البلاد التى نعجب بجدها ونشاطها ترغب فى ترقية موسيقاها وتجديدها . وهى التى غذت من الف عام الموسيقي الاوروبيــة وقد تفضلتم جلالتكم فدعوتمونا وأدركتم مع منظمي

المؤتمر ان هناك صعوبات جمة تقف فى سبيل اصلاح الموسيقى العربية لكنكم ذللتم هذه الصعوبات وتحملتم اعباءها لان الغرض هو توسيع نطاق فن الموسيقى العربية دون التورط فى تقليد اوربا تقليداً أعمى فعلينا أن نسعي فى هدوء الى الرقي الذى سده لان الطفرة بعد انقضاء الف عام كثيرة الضرر كما يجب علينا أن نضع أسلوباً جديداً دون أن نهمل شيئاً من التراث النفيس الذى خلفته لمصر هذه الاجيال الكثيرة »

وقال حضرة الاب كلانجيت فى نهاية الكلمة التى القاها فى حضرة جلالة الملك عند تشرف رؤساء اللجان ومندوبى الدول فى مؤتمر الموسيقى العربية بمقابلة جلالة الملك يوم ٣١ مارس سنة ١٩٣٢: « ان للسعادة مظاهر تنم عليها والموسيقى واحدة منها لايجوز اسقاطها فان الشعب الذى يغنى لهو شعب سعيد وفى عرفنا ان الترقية والتجديد لا يستلزمان حتما هدم القديم بل نحن نعد جرما كل مساس بهيكل الموسيقى العربية القديم ونريد أن يُحتفظ هذا الفن الجميل الذى ازدهرت به عصور الخلفاء الاقدمين وتناقله الخلف عن السلف بعناية حتى وصل الينا نريد أن يحتفظ بصبغته التقليدية وأن يبقى فناً عربياً حقاً » . ولا يسعني قبل مسح القلم الا أن أشكر حضرة صاحب السعادة صاحب المقطم الاغر وحضرة رئيس تحريره العلامة المفضال لانهما شجعاني على احياء مجد الموسيقى العربية ولما كان للمقطم من بحوث مستفيضة ومناقشات جمة فيها كما أشكر لحضرة الاستاذ احمد أبي الخضر منسي نصرته للغناء العربى القديم لما كان لكلمته النفيسة المنشورة بمقطم يوم ١٤ الجارى من جميل الموقع

(نشر المقطم الأغرّ هذا المقال بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٧) **قسطندى رزق**

قال عيسى بن مريم عليه السلام « البرّ ثلاثة المنطق والمنظر والصمت . فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا . ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته من غير فكر فقد لها

دعا اعرابى فقال : اللهم انى أسألك البقاء والنماء وطيب الاتاء (الرزق) وحط الاعداء ورفع الاولياء

وقد جاء فى الحديث « منهومان لايشبعان منهوم فى العلم ومنهوم فى المال »

فى الدعاء اللهم إني أعوذ بك من عدوّ يسري ومن جليس يُغري ومن صديق يُطري

مادار بين مدير الاذاعة وبيني من جدال

ما كاد المستر فورجسن المدير العام لمحطة الاذاعـة يطلع على الشكوى التي رفعت اليه في مساء ٢٦ أغسطس ١٩٣٥ ونوه بها المقطم الأغر مساء الخميس ٢٩ منه حتى بعث اليّ في ساعه وصولها اليه بكتاب طلب به مني تحديد موعد بالتلفون لبحث موضوع الشكوى فحددت ظهر الجمعة ٣٠ الماضي موعداً ، لذلك وذهبت الى مكتبه حيث قضيت معه ساعة وعشر دقائق أفضيت اليه في خلالها بحجج الشاكين مستظهراً عليه بدليل العقل والنقل وكاشفته بمواطن الضعف التي هي موضوع الشكوى ورغبات الشرقيين ذوداً عن فن الغناء العربي تراث الشرق الذي دب فيه دبيب الفوضى تحت ستار « التجديد » واذيع ممسوخاً مشوهاً في الغرب والشرق جميعاً . وقد وعدني

EGYPTIAN STATE BROADCASTING
AGENTS
MARCONI'S WIRELESS TELEGRAPH Co LONDON
RADIO HOUSE, SHARIA ELWI, CAIRO
TELEPHONE: 50127
TELEGRAMS: KAHIRADIO CAIRO
Commercial Register No. 11332 Cairo

الاذاعة اللاسلكية لحكومة المصرية
الوكلاء
شركة التلغراف ماركوني اللاسلكية لندن
راديو هوس شارع علوي بمصر
تليفون رقم : ٥٠١٢٧
العنوان التلغرافي : قاهراديو بمصر

Ref: 513

26th August 1935

Mr. Constantin Rezk,
1, Sharia Cattaoui,
"Bawaki"
Cairo.

Dear Sir,

We thank you for your letter of even date.

If you would care to ring up and make an appointment for Thursday or Friday this week, the writer would be pleased to interview you.

Yours faithfully,

[signature]

GENERAL MANAGER

خطاب مدير الاذاعة

الخير بعدما أنعم النظر فيها واقتنع بملاحظاتي التي لم آت بايرادها له الا ايثاراً للنفع العام وخدمة للفن الجميل الشرقي ، فلننتظر ما يكون منه ، وقد دار البحث على الامور الآتية بنوع خاص وهي -

١ – عدم توازن أصوات الآلات الناجم عن عدم انتظام تصليحها مما يقضي باشراف مهندس أصوات فني يمتحن الآلات قبل الاذاعة كامتحانه اياها في قاعة التجربة في أثناء تعبئة الاسطوانات

وكثيراً ما نقد هذا النقص النقّاد الفنيون على صفحات الجرائد والمجلات وليس من الانصاف أن ينسب ذلك الى محطة الاذاعة بل الى أولي الامر المنوط بهم النظام والترتيب وقد ذكرت لجنابه ضمناً اسم الاستاذ منصور عوض الذي قضى فى شركة الجرامفون نيفاً وخمسا وعشرين سنة كمدير ومهندس أصوات فى أثناء تعبئة آلاف من الاسطوانات وله أتم دراية فى توصيب التخت وضمان تناسق أصوات آلاته من عود وقانون وكمان وغيرها ، وهو والحق يقال كما شاهدته شهود عيان يسمع من الأصوات مالا يقاس بخفائه صوت الحـكل كالذر والنمل

٢ - عدم انتقاء الاغاني والمغنين معا وقصور محطة الاذاعه على تخصيص نفر منهم دون آخر لما فى تكرار المغنين أنفسهم على أسـاليبهم التحديدية أو تكرار الأغاني نفسها من الملل ولو كان من أشهر المغنين فشـتان بين المغنى المـكرر المجدد الذى تدرب على قطعة أشهراً وأياماً و بين المغني العبقرى الذى يرتجل على تخته و يبتكر كما استعيد أمثال عبده الحمولي ومحمد عثمان و يوسف المنيلاوى حتى انك تجد بين أجزاء أغاني المغنى الثانى ارتباط محكما يضم النغمات كلها الى سلك واحد ويرد كل شارد منها الى مقر معروف وحبذا لو اقتفى أثره المغني المجدد وحافظ فى تجديده على القواعد الاصلية والعناصر الأساسية للنغمات السرقية دون خلط أو مسخ أو ركاكة أسلوب فانه ولا شك يكون له عندنا جميعا وقع جميل ولـكن التحديد الممقوت الذى لا يراعي القواعد أتانا من الشطط فى النظام والتنافر والتباين فى لحمة النغمات ما مسخ طلاوة الغناء الشرقي وأضحى ثقيلا على اللسـان وكريها فى الأذن لانه يحتم أن يكون جناساً بين ما يضاف الى الأغانى و بين سائر الغناء إذ أن المغنى كالرسام أو المصور الذى ينتقي اللون و يضعه بجانب ما يناسبه

٣ - بذاءة منطق المنولوجات التى تذاع مثل وضع الشفة على الشفة والخد على الخد الخ مما تنفر منه ربات العفاف وحبذا لو صنف الزجالون أوالمنولوجست من المنولوجات مافيه عفة لا تطير الفحساء فى جنباتها لأن المرأة الحرة فى السرق قد تجوع ولا تأكل من ثدييها .وتأبى الدنيئة ولو اضطرت اليها

فقاطعني جنابه قائلا ان هذا المنولوج لم يُذَع قبل أن وقع على قبوله وخلوه مما يعاب اثنان من كبار المصريين فضلا عن انه يجهل العربية فلا لوم عليه ولو انه اعتبر ذلك تغزلا وتشبيباً مسموحا فى أشعار الغرب.

٤ - تكرار الافلام المركونية بعد القاء المغنى دوره بأسبوع وتكرار مولد النبى دائما فى أوقات غير مناسبة لان ذلك يقال فى تاريخ مولده (صلعم) وفي شهر رمضان مثلا وهذه الملاحظة حديث

بعض الموقعين على الشكوى من إخواننا المسلمين أنفسهم دون سواهم .

٥ – إذاعة اسطوانات غير مستحسنة والأفضل إذاعة اسطوانات يوسف المنيلاوى وأبي العلاء محمد وعبد الحي حلمي والسيدة منيرة المهدية . فسأل المدير عن اسطوانات المنيلاوى فأجيب بأن أولاده يعارضون فى الاذاعة فقلت له ما المانع إذا تراضت محطة الاذاعة معهم واشتريتم من شركة الجراموفون كمية من أدواره الجميلة الطلية وهم يفرحون بأن تذاع ذكرى والدهم فى الشرق

٦ – أن يسمح لأمير الكمان الاستاذ سامى شوا بالقاء قطع صامتة على الأسلوب القديم الطريف وألا يسمح بذلك لبعض العازفين على الآلات وهم الذين لم ينالوا الاستحسان من جمهور لا يرتاح الا الى سماع تقاسيم الأفذاذ مثل السيد أمين المهدي وكامل بك رشدي والاستاذ عبدالحميد القضابي والاستاذ محمد عمر وابراهيم العريان الخ .

وقد طلبت تشغيل كل من الاساتذة محمد السبع وسيد الصفطي وأحمد ادريس ومحمد بهجت وزكي مراد والاستاذ عبد اللطيف محمد عمر والاستاذ داود حسنى والاستاذ عبد اللطيف البنا

ولما كنت من المعجبين بالأغاني الشرقية الطلية التى هى أشهر من أن ينبه على وجوب الاحتفاظ بطابعها الشرقي وذوقها المصري وكان أصلها يرجع الى الاغانى التى اختارها للرشيد ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء والتى جمعها أبو الفرج الاصفهانى فى كتابهُ المشهور بالاغاني – اقترحت فى حديثي وان لم يكن ذلك من اختصاصي لان المحطة للاذاعة وليست للتدريس ، كما أقترح على الأمة الكريمة عموماً والمغنين الافذاذ القدماء خصوصاً أن يجتمعوا فى المعهد الشرقي والنقابة للموسيقى التى يرأسها الاستاذ منصور عزض ويدربوا النشء على مالديهم من نغمات قديمة شرقية حتى يشبوا على المحافظة على البقية الباقية من الموسيقى الشرقية الواقفة اليوم على مفرق طريقين لا محيد لها عن سلوك واحد منهما فاما أن تحيا وتستعيد بهذه الواسطة ماضى شبابها وكمال زخرفها أو أن يسجل عليها بموت لاحياة بعده ولا مبعث منه من جراء عاصف التجديد الذى هب عليها وكلا الامرين منوطٌ بالأمة وحدها و بالصحافة فانبذل جهدنا فى إمساك هذا الرمق الباقي منها ونلقنه الى النشء ونذيعه على أيديهم بما أوتينا من رغبة ووطنية لان الغناء رمز أمانينّا ومحك نفسيتنا فلا بقاء لأمة بدون لغتها وموسيقاها وعواطفها لان جناب المدير اتهمنى بأني معارض للتجديد واني أمثل الاقلية وان الأغلبية تميل الى الجديد وقدم لي مثلا ان الحمار فى المواصلات استبدل بالسيارة وخيرلنا

أن نحتفظ بموسيقانا القديمة العذبة الساحرة ولو انتقلنا من شامخ القصور الى مضارب الصحراء وغادرنا شوارع المدن الى مسارح البادية ولله البقاء وفى يده أزمة الأمور

قسطندي رزق

(نشر هذا المقال المقطم الأغر فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٥)

كلٌ يعلم أنّا لا نغمط إحساناً ولا نتصدى للنقد عن موجدة او تسوئة من أحسن عملاً وما نقلنا هنا بالزنكغراف الخطاب الذى بعث به إلينا مدير الاذاعة فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٥ إلا رغبة فى إظهار وجوه الحقائق لاسترها تحت براقع التمويه وطلباً للنفع العام مع العلم بان المدير المشار اليه لم يختصّنا بهذه المكاتبة لبحث موضوع الشكوى دون أحد ممّن وقّعوا عليها من ذوى المراكز والثرآء إلا ظناً منه بأنّا لا نقول إلاّ الحق ونتجافى عن الغلو فى المدح ونأبى التدح فضلاً عن أنا بذلنا جهوداً كثيرة للنهوض بالغنآء العربى الصحيح الى ذروة الكمال وهذا الحديث الذى نشره المقطم الاغرّ ليس حديث العهد وانما نحن أوردناه تبياناً لما تجشّمناه من عنآ وما أنفقنا من مال فى سبيل الخير العام وترقية الفنون الجميلة فى عصر مليكنا الفاروق المعظم ونحن نحمد الله على ان وجوه الشكوى قد زالت وخطت محطة الاذاعة خطوة واسعة فى طريق التقدم والرُّقي بهمم أُولى الأمر منهم وعلى رأسهم الهمام النشيط مصطفى بك رضا الذى ذاق عذوبة معين الفن القديم بسماعه عبده وعثمان وقد آثر الغنآء القديم على الغنآء الجديد واعترف بذلك جهراً ولكن اللوم كل اللوم على من يُلحّ على المحطة فى طلب سماع الجديد من أبنآء الشعب المحدثين الذين لم يسمعوا سواهُ ولم يتذوقوا الموسيقى الشرقية الصحيحة

كان علي بن أبي طالب يقول اللهمَّ ان ذنوبى لا تضرّك وان رحمتك إياي لا تنقصك فاغفر لى مالا يضرّك وأعطنى مالا ينقصك

قالوا الحرب أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى

من التوقي ترك الافراط فى التوقي . اذا لم يكن ماتريد فأرد ما يكون

قال النبي ان الله يبغض البليغ الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها

عبده الحمولى والسيد ابو الهدى فى الاستانة

سافر عبده فى سنة ١٨٩٦ الى الاستانة حيث حظى بالمثول غير مرة بين يدي السلطان عبد الحميد ولما غنى أمامه أعجب به وملأ يديه بجوائزه وكلف سماحة السيد أبي الهدى تبليغه رضى أمير المؤمنين والايعاز اليه بأن يلقن ما غناه فى حضرته من جميل النغمات لضباط الموسيقى الشاهانية فالتمسهم المرحوم منها ما أمكن تلقينه لضيق الوقت ووعدهم وعداً وثيقاً بأنه سيشتغل عند عودته الى مصر بربط تلك النغمات بواسطة النوتة وعرضها على الاعتاب الشاهانية تسهيلا لهم فى أخذها عنه »

واجتمع بالمتزاحمين حوله الذين رغب كل واحد منهم أن تكون له وحده الحظوة بتقديم تلك الاغانى بعد عودته الى مصر وارسالها الى الاستانة فما لبث أن عاد الى مصر حتى عكف على عملها وضبطها وأتم عشرين دوراً منها مربوطاً بالنوتة ثم تردَّد في كيفية ارسالها خاشياً أن يغضب أحدهم إذا اختار سواه فامتنع عن ارسالها لهم جميعاً وآثر تقديمها الى الاستانة عن طريق رسمي . فاستاء أبو الهدى منه . وثارت به الحفيظة وحمل عليه حقداً

ولما دهب فى آخر مرة الى الاستانة وجهة آماله وقبلة رجائه . لم يشعر فيها وهو فى مجاس أنس لبعض كبراء المصريين من خلانه في ناحية البوغاز الا وقد أحاط به رجال الشرطة احاطة الهالة بالقمر فسار معهم وأخذوا ينقلونه من سجن الى سجن ومن مخفر الى مخفر الى أن وصلوا به الى مأمور ضابطة غليظ الكبد فأمره بالخروج حالا من الاستانة وعلم أخيراً ان ما أتاه أبو الهدى فى تلك المعاملة لم يكن الا تشفياً منه لانه لم يقدم تلك الاغاني عن يده لمولاه السلطان وقد أصيب بداء السكر لشدة ماقاساه وعاد الى مصر خائر القوى وانتهى به السل الى الدرجة الثالثة

ويُحكى عنه أنه لما غنّى وهو فى الاستانة دور « غيرنا تمتع وَصال واحنا نصيبنا خيال . فين العدل يامنصفين ؟ » سُجن ٢٤ ساعة مع الاستاذ حسين القصبي الذي ألف ذلك الدور المشئوم ولا يخفى مافى ذلك من الدلالة على نزعته الى شدة الشكيمة وعزة النفس وانه لايريد أن يقيم على ضيم أو مذلة من جراء الاستعمار التركى الذي كان سائداً على مصر ولذلك يُعتبر كموسيقيّ أول من طالب باستقلال مصر وتخليصها من النير العثماني وقد أصيب بداء الصداع الذي لازمه طيلة حياته وأمراض أخرى كانت السبب فى وفاته

قسطندي رزق

حبذا لو طعمت الموسيقى الشرقية بنغمات غربية تقربها الى الرجولة

بقدر ما تبعدها عن الغرام

أهدى إليّ رفيق التلمذة الاستاذ قسطندي رزق نسخة من كتابه الموسوم بـ « الموسيقى الشرقية والغناء العربي وقد ألّفه تخليداً لذكرى المرحوم عبده الحمولى وطلب إليّ أن أكتب عنه كلمة بعد ما أتصفحه

وأعترف أولاً بأني لم أر المرحوم عبده الحمولى ولم أسمع غناءه ولا غناء الذين عاصروه أو جاءوا بعده من كبار المغنين لانسكا وزهادة فى لذائذ الحياة ومباهجها بل لانه لم يتح لى أن أكون صديقاً أو معروفاً للسراة الذين كانوا يدعوهم الى الغناء فى أعراسهم « ويالهم »

وأعترف ثانياً باني لم أوهب ذوقاً غنائياً ولا أفهم شيئاً من النغمات وان كنت أطرب بالموسيقى ولكنى بالرغم من ذلك لاأرى بداً من النزول على رغبة صديقى الاديب

ولا يسعني في مستهل هذه الكلمة إلا أن أحمد للاستاذ قسطندي ما أخذه على عاتقه من إحياء ذكرى رجل كان نابغة فى جيله فى فن الغناء وقد وهبته الطبيعة حنجرة قوية وصوتاً عذباً وعبقرية ممتازة فى فن جميل هو بلا مراء سيد الفنون وامامها . فالموسيقى فى لغة الارواح وهبة السماء للاصفياء من بني البشر وان شوه بعض من هؤلاء جمالها وأفسدوا معناها وحولوها الى متعة أرضية . وحسبها شرفاً وجلالا ان البشر بالموسيقى يتشبهون بالملائكة فى تسبيحاتهم وأغاريدهم

ونِعم الموسيقى وأياديها على الناس لا تحصى فهي منهضة العزائم الخامدة وعزاء النفوس الحزينة ومزيلة الهموم عن الصدور المنقبضة ومخففة الآلام العصبية وقد جاء فى التوراة ان شاول ملك اسرائيل كان اذا اقتحمه روح ردىء دعا اليه داود فعزف له على قيثارته فيغادره الروح الردىء

فاذا كان الاستاذ قسطندى رزق نظراً لما نشأ عليه من حب للغناء وما أسعده به الحظ من التعرف بذلك العبقري الفذ قد وجد من الوفاء أن يكرم ذكراه ويعطر الارجاء بأريج سيرته ويجدد حياته بنشر هذا المؤلف عنه وبالحفلة التى أقامها للاشادة بنبوغه – فانه يستحق من أجل ذلك أجزل شكر . والواقع انه أدى واجباً كان على المحترفين للموسيقى وهواتها أن يسبقوه اليه إعلاء لشأن صناعتهم ورفعاً لمقامهم فى نظر الجمهور فهم أولى من غيرهم بعرفان قدر زميل لهم وتمجيداً آثاره الفنية وتسجيل آياته الغنائية بمداد من ذوب التبر فى أبهى صفحات تاريخ الموسيقى فى مصر . وليس

هـذا الواجب ملقى عليهم لعبده الحمولى وحده بل هو كذلك لغـيره من الذين نبغوا مثله فى عهده وبعـد عهده لان تاريخ الفن هو تاريخ رجاله الذين بنوا صرحه وأعلوا أركانه بمواهبهم وبما بذلوا فى سبيله من عصارة حياتهم

وقد أبرز المؤلف الفاضل صفات شخصية وخلالا نبيلة تجمّل بها عبده وهى الاريحية والسخاء ورقة القلب والميل الى اغاثة الملهوفين بكل ماملكت يداه حتى انه رغم الاموال التى تدفقت عليـه مات فقيراً ولو حرص عليها لترك لذويه الى جانب ثروته الادبيـة وآثاره الفنية ثروة مالية تجعلهـم فى بحبوحة من العيش الناعم الرغد

وفى ماعدا ذلك جعل الاستاذ قسطندى من كتابه دائرة معارف صغيرة عن الموسيقى الشرقية وسحرها والغناء العربي وفتنته مع نتف من سير رجال هذا الفن فى أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن وأبدع ماشاء له أدبه وذوقه السليم فى تنـسيق المعـلومات التى احتواها كتابه فبات مرجعاً لايستغنى عنـه كل طالب راغب فى استيعاب تاريخ هذه الحقيقة فى باب الموسـيقى والغناء ورصعه بطائفة من فصول دبجتها أقلام جماعة من فحول الـكتاب والشـعراء كالاستاذ رئيس تحرير المقطم والاستاذ خليل مطران وصاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور عبد الرحمن شهبندر وسيادة المطران كيرلس رزق وغيرهم

ولا أحاول هنا أن أتقصى جميع ماضمته دفتا هـذا السفر من معـلومات لذيذة وأخبار طريفة مكتوبة بلغة عربية بليغـة . ولـكنى اكتفى بالاشارة الى ذلك وفى الاشارة غناء عن العبارة لـكى أنتقل الى المأخذ الوحيـد الذى أخذته على صـديقي وهو إكثاره من الاشارة الى الذين نعتهم بالمجددين الذين يحاولون أن يفسدوا الموسيقى الشرقية بادخال نغمات من الموسيقى الغربية عليها فقد سرى هـذا الانتقاد اللاذع أحياناً فى جميع فصـول الـكتاب تقريباً حتى لاح لى انه هو الدافع للمؤلف الى تمجيد ذكرى عبده الحمولى

ولا ريب فى ان للاستاذ رأيه فى اعتبار التجديد الذى أشار اليه إفساداً ولكن ليسمح لى أن ألفت نظره الى ما كتبه هو عن المرحوم عبـده الحمولي فقد كان من امارات عبقريته فى نظره انه « بما حباه الله من مواهب فذة فى صقلها – أى الموسيقى – وتهذيبها أضاف اليها ماعنّ له من النغمات تمشياً مع نواميس الرقي والاصلاح ونفحها بروح مصرى وطبعها بطابع عربى ووسمها بطابع بهيج وذوق سليم فرماه لذلك المحترفون الرجعيون بالزندقة وقاطعوه بشدة . . . فأخذت الموسيقى تتدرج وترتقي

بعد ان انهضها من كبوتها حتى بلغت ذروة الكمال لاحتوائها على أنواع من السحر وعوامل من التطريب بما ادرجه فى صلبها من نغمات النهوند والحجاز كار والعجم عسيران التى تلقنها عن مشاهير المطربين فى الاستانة » (ص ٤١ و ٤٣)

هذا ما سطره قلم الاستاذ قسطندى عن التجديد الذى أدخله المرحوم عبده على الموسيقى التى كانت شائعة فى ذلك الوقت فلماذا يحرم على موسيقى هذا العصر ماأحله لعبده ولماذا يكون اقتباس عبده لنغمات تركية تجديداً واصلاحا ولا يكون اقتباس موسيقى اليوم لنغمات غربية تجديداً كذلك مع انه لا ينكر ان الموسيقى الغربية بلغت الذروة وان الموسيقي الشرقية لاتجاريها فى مضمار بقطع النظر عما تحدثه من تطريب لآذان الشرقيين فان هذا التطريب ليس سوى مجرد تعود على سماع نغمات معينة.وفى كل موسيقى مايطرب ذويها حتى موسيقى الزنوج الفطرية البدائية.وفى ملاحظة أخرى لا أخشى الجهر بها وقد أبديتها على صفحات المقطم مرة قبل الآن وهى انالموسيقى الشرقية يغلب عليها الطابع الغرامي . وليس أدل على ذلك مما اختاره المؤلف الصديق من ألحان عبده الحمولى فان المرء لايجد فيها لحناً واحدا خارجاً عن معنى الحب والغرام وطلب الوصال والتحرق على غياب الحبيب

وليس العيب فى ذلك على عبده أو على غيره من المغنين بل على روح الزمن وهو روح كان يشف عن هذا الموضوع فى موسيقاه ولا يسمو الى ماهو أعلى منه من محبة الله ومحبة الوطن ومحبة العفاف والمروءة والنجدة والبطولة والاحسان والوفاء وحب العائلة والطفولة

هذه كلها موضوعات كانت غريبة عن الموسيقى الشرقية والغناء العربي فى عهد عبده ومابرحت غريبة عنها الى اليوم وهى حالة يجد الاستاذ المؤلف اشارة اليها ممزوجة بمرارة فى كلمة الدكتور شهبندر وفى الانتقادات الشديدة التى تنشرها الصحف من حين الى حين ماتذيعه محطة الاذاعة اللاسلكية من الأغاني والطقاطيق المنافية للحشمة

فان كان الموسيقيون المجددون الذين يشير الاستاذ قسطندى اليهم يرومون أن « يطعموا » الموسيقى الشرقية بنغمات غربية تبث فى موسيقانا روح الرجولة والقوة الأدبية والبأس والاعتماد على النفس والوحدة الوطنية فاننا نرحب بعملهم ونشجعهم عليه ونستزيدهم منه

هـذا رأيي وقد أكون فيه مخطئاً فالعصمة لله وحده أو يكون الباعث لى عليه جهل بالموسيقى ولكني أديت بالاعراب عنه واجباً علي لما أعتقده حقاً والسلام ف . ك .

(الاستاذ فريد كامل المحرر بالمقطم الاغرّ)

تطعيم الموسيقى الشرقية

بموسيقى غربى فنال

ردًا على ماجاء بالكلمة النفيسة المدرجة بمقطم ٢٤ يوليو الجاري التى دبجتها براعة زميل الدراسة حضرة الاستاذ فريد كامل الذى لايسعني أولا الا مقابلته لاجلها بجميل ثنائي أما قوله اني أستحق أجزل شكر على قيامى باحياء ذكرى المرحوم عبده الحمولى وتأليف كتابى الذي ذكرت به تاريخ حياته الخ فلا شكر على واجب أديته بدلا من المحترفين الذين عاصروه وشملهم بقسط وافر من مبرّاته . ولا غرابة فى ذلك فان فساد الجيل العشرين قد أصاب نصله مقتلا منا ليس فى الموسيقى فقط بل فى الاخلاق واللغة والعادات فان الأنانية دبَّت فينا وأنستنا الواجبات الانسانية وانشبت فينا الشهوات سهامها وأصبنا بموت العقل والجنان فلا نبلغ الأرب فى الآخرة ذهابًا الى ما قاله أحد علماء النفس

مَثَل الانانىّ مَثَل بعير عظيم السَّنام لا يستطيع دخول الجنَّة ان لم تفتح لهُ فرجة بأعلى بابها »

أما المآخذ التى أخذها عليّ حضرة صديقى العزيز فانها تنحصر فى ثلاث نقط:

(١) تجنيه عليّ بانتقاد المجددين فى غير موضع من كتابي انتقاداً كان الدافع على مالاح له الى وضع هذا الكتاب

(٢) يريد أن يعرف السبب فيان التجديد حالته لعبده فقط وحرمتهُ المجدّدين

(٣) وسم الموسيقى الشرقية بالطابع الغرامي وخلو ألحان عبده المختارة من معاني الرجولة والعفاف بدلا من الغرام والصد والتحرق الخ

أما النقطة الاولى فانى أجيب عنها بانى أرغب فى التجديد على قواعد الموسيقى الشرقية وليس فى قلبي على المجددين حقد لاسمح الله ولم تتح لى فرصة للتعرف بهم قبلا وما تصديت للسعي فى صونها من أيدي التلاعب والضياع إلا غيرةً على مجد الشرق واحتفاظاً لتراث العرب الأثيل ليكون الفن عربيًا لاغربيًا . أما وضع كتابى فى الموسيقى فيرجع القصد منه الى ذكر تاريخها ونبوغ عبده زعيمها وفذلكة عن نصرة ساكن الجنان الخديوى اسماعيل باشا لها ووصف مزايا الموسيقى العربية وسحرها واستغنائها عن الالتجاء الى الموسيقى الغربية التى تغذت من الاولى بلبنها فى الموسيقي وفى العلوم وسائر الفنون (انظر آراء حضرات الاساتذة رئيس تحرير المقطم وخليل مطران والمستشرقين

أنفسهم أعضاء المؤتمر الموسيقي)

أما النقطة الثانيـة فأجيب قائلاً ان القدود والتواشيح التى بقيت من التلاحين الموروثة عن الدولة العربيـة كانت مقصورة على أمهات المقامات وبعض الفروع المشابهة لها ولذا وقفت الموسيقى جامدة ردحاً من الزمن لحرص المحترفين عليها واقلاعهم عن إدخال أي جـديد مستحسن اليها أو إخراج السيء منها وهـذه القدود والتواشيح التى حضر بها شاكر افندى الى هـذه الديار على ماهو مشروح بكتابى فى المئة الاولى بعـد الالف هجرية كان يغلب عليها النبر الحلبى وكان الغناء فى أول عصر عبده مقصوراً فى مصر على تلاحين الفقهاء والمداحين بالدف وأولاد الليالي الصهبجية الحشاشين لابسي الجلاليب ذوات العطف الضيقة والعوالم الخ فهذبها جميعا وصقلها وأضاف اليها من النغمات ما اختاره تمشياً مع ناموس الرقي والاصـلاح وبدل النبر الحلبى بنبر مصرى ولمـا سافر الى الاستانة اختار من الموسيقى التركية نغمات النهوند والحجازكار والعجم عسيران وغيرها والاهات وأدمجها فى صلب الموسيقى الشرقية دون أن يخرج قيد شعرة عنه مراعياً قواعدها الاساسية وعناصرها الاصلية راجعاً فى التجديد الى مسـتقر معروف ضارباً عرض الحائط بالركيك والمشوه من الالحان وواسماً الأغاني كلها بطابع مصرى متناسب غير متنافر ، خلافاً للمجددين الذين لم يراعوا فى التجديد لا القواعد الصـحيحة ولا المقاييس وأهملوا المقاطع والتوقيع وخلطوا القطع المجـددة خلطاً فبينا هى فى بدئها مصرية يفاجأ السامع بنغمة بيزنطية يتلوها رطانة عبيد ثم رقصة افرنجية فنحيب فبكاء فعويل مما يفقد جمال التجديد الذى يجب أن يكون مبنياً على قواعد الموسيقى الشرقية الاساسية فابتلعت عجمة التجديد سحرها وأزالت مزاياها الخاصة بها دون سواها

وقد كان أول المجددين المرحوم سـيد درويش وهو من نوابغ الفن بلا مراء فانه لم يتح لى الحظ بسماعه شـخصياً بل سمعته بالحاكي فهو مجدد عظيم لـكن تجديده لم يرق الغناء الساحر الذى يلقى على التخوت مصـحوباً بأصوات الآلات الوترية لانه كان مسرحياً أكثر منه تختياً ولو عني بذلك ووجه تجديده صوب التخوت بنوع خاص لأدّى خدماً جزيلة للفن ويلوح لى انه فعل ذلك اضطراراً فى عصره الذى أنشئت به الصالات والمسارح بشارع عماد الدين وكان الجمهور يؤثر سماع الطقاطيق المبتذلة على الاغاني الجـديدة حتى أدّى ذلك الى طلب الراقصات العاديات فى روض الفرج للاتفاق مع شركات الجراموفون وغيرها على تعبئة طقاطيق على اسطوانات بأجور غالية تمشياً مع روح العصر تحت لواء التجـديد الذى عرّفه حضرة رئيس تحرير المقطم بالالحاد الفنّى وعرّف

التحول تحولا بغير ضابط وهو مفسد للذوق

٣ — غاب الطابع الغرامى على الموسيقى الشرقية بدليل ان تلاحين عبده المختارة طافحة بمعانى غرام وتحرق وصد دون معانى الرجولة الخ

وجوابًا على ذلك أقول ان التلاحين المختارة لعبده من نظم الشيخ على الليثي شاعر الخديوى اسماعيل واسماعيل باشا صبرى والبارودى باشا الشاعر الكبير وغيرهم لا يقصد بها الا الغزل والتطريب فدون أن يرمز بها الى عوامل الشوق والحب والجمال لا يميل الى سماعها الشعب المصرى الذى يصبو بفطرته الى الغناء والتغزل وهذا الأمر سائد بين أغانى الغربيين وفى تراجم حياة مشاهير مطربيهم كموزار وشومان وغيرهما ترى ما يؤيد قولى هذا وسأبينه مطولا فى الجزء الثانى من كتابى والعبرة بالنغمات لا بالالفاظ فان فى نغمات عبده تقرأ الشهامة والعظمة والاباء وعزة النفس وحفظ الكرامة والجذل بدليل ان فى الدور الذى غناه ليلة زواج المغفور له سعد زغلول باشا فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٩٥ القائل « عشنا وشفنا سنين ومن عاش يشوف العجب غيرنا تملك وصال (بواو العطف) واحنا نصيبنا خيال فين العدل (كررها ثلاثا) يا منصفين » غضبة عمر وزئير سعد الزعيم الاكبر مطالباً بالاستقلال التام أو الموت الزؤام يوم تدخل رجال الاحتلال فى شؤون مصر العزيزة خلافًا لنغمات المجددين الطافحة بالخنوثة والذل والتهتك. ولا عجب فى هذا العصر الذى يتخنث به الشاب وتسترجل الانسة ولله در شيخنا اليازجي اذ قال

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجب من حالنا ان تأخرا
فمذ أصبحت أذنابنا وهى أرؤس غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وبديهيٌ ان من ملتزمات الموسيقى الصراحة فى الالقاء والاخلاص فى العمل فنياً لتكون الموسيقى قوية الدعائم وليكون السامعون على بينة من ان النغمة للاغنية صادرة من قرارة قلب المطرب كأنها جزء لا يتجزأ من نفسيته تمثيلا لمعناها الصحيح وليس أدل على الجهل الاعمى من أن يجهل الانسان نفسه ويدعي بما ليس فيه وبدون موافقة الرأي العالم عليه وأما العبقرية الحقة أن يخلق العبقرى كعبده عالمًا جديداً دون أن يقلد ماهو نصب عينيه تقليداً ولاصول الفن والدين وحدة لا ينازع فيها وهى جمال الله عز وجل ولا يعرف كنه الجمال سواه على حد قول الشاعر

شيءٌ به فُتن الورى وهو الذى يدعى الجمال ولست أدرى ماهو

قسطندى رزق

شاعر لبنانى يحي نجمة سينمائية مشهورة

لمـا كانت آسيا النجمة السينمائية المشهورة فى بيروت أخيراً كان من القصائد البليغة التى ألقيت فى حفلة تكريم أقيمت لها فى نادي المهاجرين القصـيدة العصماء التى نظمها حضرة الشاعر المطبوع الاستاذ حليم دموس وقد قال فيها

الى النجمة العربية الوطنية ! السيدة اللبنانية الممتازة آسيا داغر وجوقها الراقي

اب فى الفن نفحة علويه ... تتباهي بكونهـا (ارزيه)
كل عام فتح بمصر جديد ... يتجلى من (نجمـة) وطنيه
(زوجـه بالنيابة) الامس لاحت ... فشـهدنا المحاسن الشرقيـه
و (ابنة الباشا) اليوم شع سـناها ... فرأينـا تفـنن المدنيـه
و (عن المرأة) الابية (فتش) ... فهي أم الاخلاق والاريحيه
هتفت باسمها العذارى اغتباطاً ... إذ تجلت بالعفـة العـذريه
هكذا ترتقي الفنون وتزهو ... حفـلات بكل مدح حريه

* * *

اب (نادي المهاجرين) يحيي ... شهب جوق كالنيرات السنيه
والمليك الفاروق فى أرض مصر ... بث فيها الشـجاعة الادبيـه

* * *

آسيا ! . . آسيا ! . . الى المجدسيري ... يا ابنة العصر يا ابنة الحريه
وأطـلي على الخـلود بفلم ... رب (فلم) تاريخه الابديه

* * *

أنعش (النيل) قلبها فتجلت ... بنت (لبنان) وردة نيليـه
نشأت طفـلة بلبنـان تحبو ... وبوادي النيل الظليل فتيه

* * *

ماذكرنا (لبنان) الا ذكرنا (جاليات) تسمو بكل سجيه
نثرتها الاقدار فى كل أفق كنجوم فى القبة الفلكيه
من رجال خاضوا المخاطر ذوداً عن بلاد تبغي الحياة الهنيه
ونساء هجرن لبنان حبًا بربوع بين المنى والمنيه

* * *

أيها الهائمون بالفن هبوا واستعدوا ليقظة قوميه
ان فى الشرق قوة حجبتها عن بني الارض قوة أجنبيه
أي فرق بين العقول ولكن تلك شرقية وذي غربيه

***

يا ابنة الشرق آسيا ذاك بشرى أنت فجر للنهضة الاثويه
سرت شوط الى الامام بجوق لكِ فيه يا آسيا الاوليه
خطوات سريعة مع (مارى) في مراقي أفلامنا العربيه

* * *

يا ابنة الارز يا ربيبة مصر ستنالين شهرة عالميه
والقوافي مشت اليك وأبقت فوق طرس من الشباب بقيه
ذاك شعري لفنك الغض يهدى ان فى الفن نفحة علويه

بيروت — لبنان حليم دموس

نشرها المقطم الاغر فى ١٩ مارس سنة ١٩٣٨

قال الحسن كان مَن قبلكم أرقّ قلوبًا وأصفق ثيابًا وأنتم أرق منهم ثياباً وأصفق قلوبًا
قال ابراهيم بن الهانئ من تمام آلة القصص أن يكون القاصّ أعمى ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت . ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء ومن تمام آلة المغنّي أن يكون فاره البرذون برّاق الثنايا عظيم الكبر سيئ الخلق

الدكتور اتيان دريوتون

وُلد الدكتور إتيان دريوتون بمدينة نسي فى ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٩ ، وتلقى علومه لجامعة الجريجورية فى روما ونال شهادة الدكتورية فى الفلسفة واللاهوت وعكف فى سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٤ على التبحر فى العلوم الشرقية ونال شهادتها و صبح ممن يرمى بالأبصار ، ونال دبلوم العلوم المصرية والقبطية من جامعة باريس بعد دراسته فيها من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢٠ وانصرف حتى سنة ١٩٢٢ الى إدمان البحث والاطلاع فى مدرستى اللوفر والعلوم العالية الى أن عين مدرساً بالجامعة الكاثوليكية وذلك فى سنة ١٩٢١



الدكتور إتيان دريوتون

على أنه كان أحد أعضاء بعثة حفريات اللوفر فى مداموند وطود (بالوجه القبلى) فى سنة ١٩٢٤ ، وقد عين فى سنة ١٩٢٦ نائب قيم على متحف اللوفر حتى سنة ١٩٣٦ ولما أعجب به المغفور له ساكن الجنان الملك فؤاد لتبحره فى العلوم والمعارف أمر بتعيينه مديراً عاماً لمصلحة الآثار والمتحف المصري لمدة خمس سنوات ابتداء من سنة ١٩٣٦ وكانت تتجدد المدة عند نهايتها وقد تجددت أخيرا لمدة سنتين على ما ذكرته الاهرام الغراء ، وله مؤلفات كثيرة تشهد له بغزارة العلم وطول الباع عدا مقالات أنيقة لا تحصى عامية كانت أو شعبية ومحاضرات نفيسة ألقاها مراراً فى المجامع والأندية ومما وضعه من المؤلفات كتاب المسرح المصري (Le Theatre Egyptien) طبعه فى سنة ١٩٤٢ وهو يقع

فى ١١٢ صفحة وكسَرَه على بابين الأول فيما يُعرف عن المسرح المصري والعجائب وتمثيل الروايات والثانى فى البحث عن المسرح المصرى وصحة مواضيع الروايات الممثلة وخصائصها وتحديد صحتها وحفظها واختيارها ومولد هوروس والاحتفاء بتمجيده إلها وما يتصل بذلك من وصف انكسار آبو فيس ومحاربة ثوت لابوفيس وغير ذلك مما أحاط بأحوال إيزيس (أم هوروس وزوجة أوزيريس) وعقاربها السبعة وهوروس الذي لسعه العقرب وما يتعلق برجوع سيت . أما لغة الكتاب فهى فى النهاية من البلاغة وحسن الترصيف مما ينطق بما عُهد فى حضرته من البراعة في صناعة القلم وبعد المدارك فى مجال الآثار المصرية القديمة خاصة والعلوم الشرقية عامة ولولا احتوائه على أشكال صغيرة ورموز هيرغليفية لقمت بتعريبه برمته وسأعود الى اختزال بعض فصوله مما نظنه يهم القارىء فى الجزء الرابع من هذا الكتاب

فاننا نهنىء حضرة المدير الفاضل بما أحرز من الحظ الأوفر فى العلوم المصرية كما نهنىء المتحف المصري بما أوتي على يده من التقدم والرقي والنشاط تحت لوآء صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم الذى اقتفى أثر الطيب الذكر المغفور له والده العظيم فى الايغال فى بحث الفنون واستبطان دخائل العلم مما يعود على المصريين خاصة وسكان المعمورة عامة بالفوائد الغزيرة والعوائد الجليلة

وقد وردنا خطاب بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٤٦ من حضرة المدير العام يشكرنا فيه على اهدائنا الجزءين من كتاب الموسيقي الشرقية تأليفنا لابأس من ترجمته وهو كما يأتي :

حضرة الاستاذ قسطندى رزق رقم ١ بشارع قطاوى (بالبواكى - خازندار) بمصر

تناولت بيد السرور تأليفكم الأنيق وقد كلفتُ لعدم معرفتى اللغة العربية من قام بتعريفى مواضعه الرئيسية ومما يدهشني انكم وُفقتم الى تمثيل أصدق الصور وأكملها للحضارة المصرية القديمة أمام قرآء كتابكم بفضل تقليبكم المراجع العلمية والتاريخية بطنًا لظهر ولا يسعني إلاَّ أن أثني عليكم وأهنئكم بما أتحتم بتأليفكم للشعب المصري من امكان الوقوف على ما للمدنية المصرية القديمة من مجد وسؤدد يستوجبان إيثارها باعزازه (الأمر الذى لا يتسنّى لمؤلفاتنا المختصة بذلك أن تقوم بمثله)

واني أرجو منكم المثابرة على ما تتوخونه من صادق الخدمة للوطن أعرب لحضرتكم عن أطيب التمنيات وفائق الاحترام ؟ (الامضآء)

اتيان دريوتون

المدير العام لمصلحة الآثار والمتحف المصري

المرحوم الشيخ سيد درويش

نشأ المرحوم سيد دويش في الاسكندرية وتعلَّم القرآءة والكتابة في مدرسة أولية صغيرة واقعة في ناحية قسم الكمرك ولما تُوفّي والده احترف النجارة ثم تركها لضآلة دخلها وألَّف فرقةخاصة بانشاد المولد النبوي ولما آنس في نفسه الاستعداد الفطرى للاجادة في حلبة الموسيقى سافر الى حلب الشهبآء محطّ رحال الموسيقيين والمطربين ومنبع القدود والموشحات ومهوى أفئدة محبّي الفنون الجميلة ولما خالط أرباب الفن فيها استجلى غوامضها ووقف على أصولها وفروعها وما كاد يلقي العصا في الاسكندرية حتى أمّ مجالس المرتلين في الكنائس اليونانية وسمعهم مراراً وتكراراً فاصطبغت تلاحينه بصبغة مصرية بيزنطية ثابتة واختطّ لنفسه خُطَّة خاصة تميَّز بها عن نظرآئه وعمَّن سبقهُ من الملحنين ومن الادوار الخالدة التي أبرزها الى حيّز الوجود ياللي فؤادك يعجبني ، انا عشقت ، ضيّعت مستقبل حياني ، الحبيب للهجر مايل ، في شرع مين، عواطفك



(المرحوم الشيخ سيد درويش)

دى أشهر من نار ، يوم تركت الحبّ أنا هويت وانتهيت وقد وُفّق أكبر توفيق فى التلحين المسرحي وأجاده أيَّما إجادة . ومن رواياته نذكر بالفخر هدى ، عبد الرحمن الناصر، الدرّة ، شهر زاد ، فيروز شاه ، وأول الألحان التى لحَّنها للاستاذ نجيب الريحاني أنشودة « السقَّايين » التى أولها « يهوّن الله يعوّض الله » ولفرقة الكسار رواية راحت عليك فضلاً عن تلحينه « العشرة

الطيبة » ورواية « كلها يومين » مثَّلتها منيرة المهدية وغنَّت نعيمة المصرية بعض ألحانه ولم يتسنَّ لي سماعه إلا بالحاكى على حدّ المرحوم جاك رومانو وقد ندم هـذا الأخير على مافرط منه من اهمال مثل هذا المطرب الذى سعى كثيراً فى نيل الحظوة بمعرفته بصفة كونه صديقاً حمياً للمرحوم عبده مع أن سيد درويش بفنّه حرىٌّ بان لا يُغفل عنهُ وعلى كل ذى حِسٍّ مُرهف أن يشجّع مثله ويبلغه مايتوخاهُ من صادق الخدمة للنهوض بالفن الى أوج العُلاء وكيف لا وهو عبقرى ومجدّد على أساس القديم

ولما كانت كثرة الدرجات وزيادة الأبعاد الموسيقية دليل على تقدم الفن وحضارة الأمة فضلاً عن زيادة الاطراب وجب أن تكون الموسيقى الشرقية أرق وأحسن وقعاً وأشد تأثيراً لدينا من الغربية مع العلم بان البيزنطية أوسع مجالاً وأرقى من كلتيهما وبعض الفضل يرجع اليها فى تلاحين المرحوم سيد درويش التى تُعدّ غرَّةً فى جبين الدهر وقد انتقل الى دار القرار فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ سكب الله على ضريحه شآبيب الرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان

وفاة الرئيس بادروفسكى

اكبر عازف على البيانو وأول رئيس للجمهورية البولندية

لندن فى ٣٠ - لمراسل الاهرام الخاص - جاء من نيو يورك ان البروفسور اينياس بادروفسكى العازف الشهير على البيانو وأول رئيس للجمهورية البولندية توفى فى نيو يورك بذات الرئة منذ أسبوع وكانت الى جانب فراشه عند وفاته شقيقته انطونينا ويلكونسكا وياوره سيلفيان سترا كا كزوأحد الاطباء وقد اجتمع مجلس وزراء بولندا اليوم فى لندن برياسة المسيو زاكسيويتش رئيس الجمهورية البولندية الحالى فألقى بعض الوزراء كلمات فى تأبين الراحل الكريم عددوا فيها خدماته وتضحياتهُ فى سبيل وطنه . ثم قرر المجلس نقل جثمان الفقيد الى انجلترا عنـد ما تسمح به الظروف ليدفن فى مكان يليق به ، واطلاق اسمه على أحدى قطع الاسطول البولندى التى تبنى الآن ، واقامة قداس جافل فى لندن للصلاة على نفسه وقد عهد مجلس الوزراء الى السفير البولندى فى وشنطون فى تمثيل الحكومة البولندية فى تشييع الجنازة فى نيو يورك

وقد وافق مجلس الوزراء على اقتراح للجنرال سيكورسكى بالانعام على البروفسور بادروفسكى بنيشان فرتوتي مليتارى وهو أرفع النياشين العسكرية البولندية الاهرام ١ يوليو سنة ١٩٤١

مخضرم وجيه

يبكي على زوال عصر عبده الذهبيّ ويترحم عليه

اليكم صورة خطاب بعث به الى صـديقه جاك رومانو باللغة العامية رفعاً للتكليف المغفور له الفريق أحمد زكى باشا رئيس ديوان وسرياور الخديوي عباس الثاني وأودعهُ من حَرّ الشوق الى عبده الحمولي وزمانه ومصفّق الود وصادق الترحم عليه مايخلق بكل واحد من الشّبان أن ينزع الى غنآء العروبة الساحر رمز القوميـة ويجعلهُ مراد أمانيّه ونجيي خلواتهِ



(المغفور له الفريق احمد زكي باشا)

الخميس ٢٨ يوليـو انا غلطت وغلطاتي كثيرة والحقيـقة الاربع ٢٧ يوليه

اخي وعزيزى جاك

بعد غدْوه يحبها قلبى نمت نومه على الكرسي الطويل وصحيت من النوم حيث كانت الساعه اثنين ونصف بعد الظهر وقمت أغنّي الأدوار الآتية الا انها ضايعـه منى ولذلك أرجوك أن تكتبها لى وتصلح لى الناقص منها وهي الفـؤاد ناوى ونادر ان جفاك ماعاد يعود لك وبعدين وماهو المذهب وما هي النغمة وأختها جركا وكمان من يهون ودك عليه ليه تميل روحك اليه وما هو الدور ومبدأوه والمذهب ونغمته وأظن أيضاً جهاركاه يعني جركه والدورين كانوا متسلطين قوي معي وغنيتهم بحرقه واشتياق ورحمة الله عليه لاشك بانك تعرفه ولا تجوز الرحمة إلا عليه وهو

فقيد الشرق وأستاذه المرحوم أخينا عبده الحمولى وأين الدور الختامى إلى فيه فى البستان والله زمان ياحلو زمان اكتبه لى من فضلك راخر بالحرف الواحد

وكان ياعم جالك حبيت جميل طبعه الدلال هـذا الدور كنت سمعته من المرحوم نفسـه من أسـبوعين ثلاثه كان راخر واكتبه لى وأين المذهب بتاع الدور لو كان وفانى بوعده يوم ياسـلام عليه ياماهو خفيف ولطيف اكتبه لى راخر من فضلك

والله زمان ياحلو زمان ماألطف كلامه ولـكن ياخساره ضاع منى اكتبه لى ياأخينا ولك الشكر والفضل هذا ما كان من بواقي عبده رحمة الله عليه وصحتي وان كانت فى تحسن الا انى كنت أنتظر أحسن من ذلك وما باليد حيـله ويمكن يصادف يوم وتتحسن كان وكان آل زى زمان واليك الشوق والسلام

أخوك

زكي (الامضاء)

تخليد ذكرى الحمولى ومحمد عثمان

بمناسبة ما كتبته «الصباح» الغراء تحت هذا العنوان ، من ان حضرة صاحب الجلالة الملك أصـدر أمره الـكريم باقامة تمثالين بدار الاوبرا الملـكية للاستاذين الشيخ سـلامه حجازى وعبد الرحمن رشدى أقول انى رفعت الى العتبات الملـكية كتاباً بتاريخ ٣٠ يناير سنة ٩٤٠ التمست فيه من جـلالة الملك أن يصدر أمره الكريم باقامة تمثالين آخرين على نفقة جلالته للاسـتاذين عبده الحمولى ، ومحمد عثمان ، وأرجو أن تضم «الصباح» صوتها الى صوتى الضعيف تحقيقاً لهـذه الفكرة ، واحياء لذكرى مطربين عظيمين قسطندي رزق

الصباح ١٤ مارس سنة ١٩٤١

من أقوال سقراط

اذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به أضيق

النوم ميتة قصيرة ، والموت نوم طويل

وسـئل مرة لمَ ماء البحر مالح ؟ فأجاب سائله ان أعلمتني ما المنفعة من معرفتك ذلك اعلمتك السبب

صفات الموسيقى المطربة

بحث فنى

ما زالت الموسيقى الشرقية شغلا شاغلا لمحبى الفنون الجميلة وأنصار المدرسة القديمة هواة ومحترفين ومثاراً للجدل بينهم و بين المجددين فى عصر الانقلاب الفنى والتطور والبدع التى لا قِبل للحكومة وحدها فى توقى خلطها ما لم يكن كل واحد من الامة المصرية متصدياً لصونها من أيدي التلاعب والضياع ونبذ كل تجديد لا يُراعى فيه ائتلاف الأنغام عند ضم كل نغم جديد الى صلبها تفادياً من التنافر والتناكر عند الجوار مما تمجه الاسماع وتسأمه النفوس والحاكم فى ذلك غالباً الذوق السليم بعد تطبيق قواعدها على اننا لولا ما جُبِلنا عليه من الميل الى سماع الغناء العربى الذي قارع الدهر أزماناً طوالا والحنين الى سحره وتأثيره فى النفوس لكنا فى غنى عن استفراغ وسعنا فى الدفاع عنه وتحمل تبعاته ونحن مضطرون هنا الى ايراد بيان مختصر عن الصفات التى يتبين منها سحر الموسيقى الشرقية فضلا عما لها من عوامل خاصة مؤثرة فى نفوسنا لعله يكون هدىً للمتبصرين وكافياً لأن يُعرِّف لبعض المجدّدين المحدثين منزلتهم من المقام الذى راموا أن يصعوا أنفسهم فيه من طريق الدعوة الكاذبة حتى إذا اطلعوا على رؤوس أموالهم من هذه البضاعة لجأوا الى الصمت العميق و باءوا بالفشل والخسران

ولا يخفى على ذوى الفطَن انه ليس من الهين أن نلم بهذا الموضوع المهم ونستوعب أطرافه فى مقال واحد وهو أكثر من أن تتسع له صفحات الجرائد والمجلات وسنبذل جهدنا هنا بقدر استطاعتنا فى البيان الآتى موجزاً . يقع تأثير الموسيقى فى ثلاثة مواضع مختلفة أولا الأذن ثانياً الحواس القلبية ثالثاً العقل ، أما الاول فان الاثر اللاّذ الأذن يتوقف بنوع رئيسي على مقطوعة جديدة تُسمع لأول مرة أو غيرها اذا احتوت على المساوقة والترتيب وهذه اللذة تزول بسرعة وزد على ذلك ان مثل هذه المقطوعة إذا استعيدت نبأ عنها السمع وسأمتها النفس وأصبحت لا يقام لها وزن أما الموسيقى التى تؤثر في الحواس القلبية فانها تمتاز عن الاولى بما تسببه من تأثير أبعد مدى وأكثر عمقاً حتى إذا ما أُستُعيدت قطعة من نوعها مراراً عديدة لا يأنف منها السامع ولا يستثقل ظلها فضلا عن أن صفة الموسيقى المؤثرة فى الحواس تختلف باختلاف قوة وحالة التأثير الذي ينشأ عنها ، ولنعد الى الموسيقى التى تروق العقل فان الصدر لا ينشرح لها ولا تطرب الأذن عند سماعها لأول وهلة لكنها

د تقصّى السامع عن متين بنائها وتناسق أجزائها وتراصف أنغامها وقلّب الطرف في ضروب مساوقتها أزداد إعجاباً بها وغلبت عليه نشوة الطرب على غير ترقب منه ومَثلُ المقطوعة الجيدة الجبك المتددة المخارج والمداخل مَثلُ الشعر الغامض الذى لا يتيسر للقارىء الوقوف على غرضه الا بعد مماطلة منه وكدّ الروية ، وقد تباينت آراء الموسيقيين النقاد فى ذلك فمنهم من أعطى الأرجحية للموسيقى التى تؤثر فى العقل ، ومنهم من نزع منزعاً آخر وآثر الموسيقى المؤثرة فى الحواس القلبية على سواها .

أما رأينا الخاص – وهو رأى أغلب الموسيقيين – فهو ان الموسيقى المطربة تتناول الانفعالات التى تثيرها فى القلب والعقل معاً مع العلم بأن الموسيقى المؤثرة فى الاذن فقط تزول سريعاً وتعد تافهة على ما سبق الإيماء اليه على حد ما هو حاصل لتلاحين بعض المجددين وهى أوهى من خيوط العناكب بخلاف الاغانى القديمة الباقية على الدهر التى يعجز عن محا كاتها أو تقليدها سامعوها ولو كانوا من المحترفين ، ومما يثبت ذلك ان الشيخ أبا العلا محمد المطرب المعروف كان إذا سمع عبده تتأثر أذنه وحواسه القلبية وعقله جميعاً فيعصب رأسه وأذنيه باحرام احتفاظاً بها ويضع عباءته فوق رأسه تفادياً من تسرّب الأنغام التى سمعها الى خارج وذلك لدقة صياغتها وبعد مداها ومحاولةً لعدم رد التحية فى أثناء مسيره إذا طُرح عليه السلام ويقفل راجعاً الى بيته رجاء ترديدها وهو منفرد فى حجرته ، ويفوت هذا التقدير من غابت عنهم معرفة موسيقاه ومزاياها

ومن الغريب ان السامع البسيط الغير مرهف الحس الجاهل لأصول الموسيقى وفروعها فانه قلّما يستحسن غناء العبقرى لانه لا يشعر بما له من تأثير عميق فى حواسه وعقله ممّا هو فوق طور إدراكه ، وقد لوحظ ان الحسن الصوت من المطربين ومن المطربات استناداً الى مزية الصوت لايستطيع أن يلحن أو يبتكر شيئاً بدليل ان الاستاذ محمد السبع لما سأل عبده عما إذا كانت « ألمظ » تستحق المكان الذى أحلها فيه الشعب المصرى من التقدير ، وهل تستطيع التلحين والابتكار مثله أجابه قائلا ان كل ذى صوت حسن « عبيط » يقصد بلفظة « عبيط » عدم التصرف (ومعناها الحقيقي لغة طريء مثل دم عبيط » ، وأردف قائلا ان أحسن الاصوات فى المطربين صوت محمد سالم وفى المطربات صوت ألمظ ولم يدخل مطلقاً فى علم كليهما التلحين ومصداقاً لما تقدم أقول ان المغفور له سعيد باشا ذى الفقار كبير الامناء السابق صَرَّح لى قائلا عندما زرته بالسراى العامرة ان عبده لم يخلق مثله ولن يخلق بعده من يجاريه فى فن الغناء وان المدار فى التأثير على تفنن المطرب فى

ضروب الابداع وطول الباع في إطراب سامعيه لا على عذوبة الصوت ، و إثباتاً لما أسلفت أذكر شذرة من نص خطاب وردنى منذ زمن بعيد من الاستاذ محمد الديب المعاون الأول بمحافظة الاسكندرية سابقاً قال فيه ما يأتى :

« كنت إذ ذاك فى سن المراهقة فحاولت أن أسمع عبده فمنعني الحراس على الباب لعدم وجود تذكرة معى ولكنى توصلت بكل صعوبة الى الدخول فوجدت المرحوم « عبده » يغني دور (إن كان كده والا كده أصبر على حكم المليك) ولما وصل فى النهاية الى عبارة (اشمعنى قلبى ما اشتكي واللي جرى له ما جرى) ، فما قولك دام فضلك ان الرسم والضرب اللذين قيلا فى النهاية مازال أثرهما عالقاً بذاكرتى الى وقتنا هـذا فهل يمكن أن يوجد مطرب فى عصرنا الحاضر يسمع و يعلق في مخيلة السامع ما قاله ساء ين . والنتيجة ان الراحل درة من الدُّور النادرة .فرحمة الله عليه وعلى أيامه السعيدة . وأنا أشكرك بقلبي لسعيك المشكور نحو الراحل العظيم .

هذا قليل من كثير اجتزىء عن عبقريته المتشعبة الاطراف بما ذكرت استناداً الى أن من ذكت بصيرته استغنى بالقليل عن الكثير واجتزأ بالتلويح عن التصريح .

والسلام عليكم و رحمة الله .

اهتمام المليك بتقوية الاذاعة

لمكاتب المقطم الاسكندرى بالتليفون

يسرنا أن نذيع ان كتابات المقطم فى موضوع ضرورة ترقية محطة الاذاعــة لاسماعها فى السودان والاقطار العربية لقيت آذاناً صاغية فتقررت نهائياً تقوية المحطة

وعلمت من أوثق المصادر ان حضرة صاحب الجلالة الملك شديد الاهتمام بتنفيذ هذا المشروع سريعاً وذلك لما له من تأثير كبير فى تعزيز مقام مصر فى الجهات التى تصل اليها الاذاعة و زيادة تعريف الناس بها .

(عن مقطم ١٣ يوليو سنة ١٩٣٩)

تقريظ مجلة الرسالة المخلصيه

لكتاب الموسيقى الشرقية والغناء العربي

يأخذ الموسيقى العربية موجة نهضة جدية يقوم بها من أبناء الوطن العربي من يهمه الحفاظ على التراث الشرقي ومجده القديم . وهاهو ذا الاستاذ البارع قسطندي رزق يطلع علينا بمجموعة كتب نفيسة دعاها « الموسيقى الشرقية والغناء العربي » . وقد ظهر من هذه المجموعة للآن جزءان كبيرا الحجم في نحو ٣٥٠ صفحة مزينة بالرسوم التاريخية البديعة . وقد توخى فيها حضرته ذكر الموسيقى عند قدماء المصريين ، ولمحة فى تاريخ الخديوي اسماعيل وعنايته بالفنون الجميلة ونشر العلوم ، وترجمة حياة عبده الحمولى محيي الغناء العربي لعهده ، ومراثي الشعراء بوفاته ، وقصائده وأدواره ، ومواويله التى غناها . وسرد آراء عظماء الكتاب وأكابر الشعراء فى الموسيقى الشرقية ، وآراء أعضاء المؤتمر الموسيقي الذي عُقِد في دار الاوبرا الملكية سنة ١٩٣٢ تحت رئاسة المغفور له الملك فؤاد . وقد انتقد المؤلف الاساليب التى جرى عليها بعض المجددين والتى مسخت محاسن الفن العربي الساحر .

وقد علمنا بسرور ان سيصدر الجزء الثالث من هذه المجموعة في القريب العاجل مزيناًبالرسوم ومطبوعاً على ورق صقيل كأخويه لكنه أوسع منهما كليهما معاً وقد وضع فيهالمؤلف نوتات للادوار العربية القديمة وغيرها ، وشفع كل ذلك ببحوث مستفيضة حرية بالاطلاع عليها . ا . ص

١٫٢٥٠٫٠٠٠ جنيه

يربحها بادرفسكي عازف البيانو

نيويورك في ١٤ – لمراسل الاهرام الخاص – كان المسيو بادرفسكى عازف البيانو البولندى ورئيس جمهوريتها السابق يعد من أعظم عازفى البيانو فى وقته وقد اكتسب من عزفه أكثر مما كسبه أى عازف آخر ، وهو فى طليعة عازفى البيانو فى هذا القرن وذكرت مجلة (فراتيي) للمسرح والسينما والراديو ان مجموع ما اكتسبه بادرفسكى بلغ ١٫٢٥٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى ويليه الكونت جون ماكورماك المغنى وفريتز كرايزلر عازف الكمنجة وقد بلغ دخل كل منهما مليون جنيه استرلينى

الاهرام ١٥ / ١ / ٩٤٣

محمد كامل الخلعى

وُلد المرحوم محمد كامل الخلعي بن سليمان الخلعي الدمنهوري بالاسكندرية فى ٢٢ رجب سنة ١٢٩٦ هجرية وجاء به والده وهو صبيّ الى مصر حيث أدخله فى إحدى المدارس الأميرية لتلقي العلم وكان الفقيد ميَّالاً الى المطالعة فتصفَّح كثيراً من كتب الأدب ورسائل البلغاء واستظهر بضع قصائد لفحول الشعر وهو يُعدّ أديباً وكان شغوفاً بالموسيقى الشرقية التى عُني بالنهوض بها إلى ذروة الكمال الا ان فساد التجديد حال دون بلوغه الأرب

ومن آثاره الفنية كتابان فى الموسيقى وضعهما بنفقة المغفور له ادريس بك راغب تحت عنوان « كتاب الموسيقى الشرقيّ » و« نيل الاماني في ضروب الأغاني » وله موشحات وأدوار مربوطة بالنوتة



(المرحوم محمد كامل الخلعى)

مهرجان موسيقى

لمناسبة ذكرى المغفور له عبده الحمولى

تقام فى الساعة التاسعة من مساء اليوم حفلة موسيقية شائقة فى قاعة الليسيه فرنسيه بالقاهرة ، لمناسبة الذكرى الثانية والاربعين لوفاة المرحوم عبده الحمولى مطرب الخديو اسماعيل

وقد قام بتنظيم هذه الحفلة الاستاذ قسطندي رزق جرياً على عادته السنوية وسيشترك فى احيائها نخبة من المغنين الذين يحرصون على طريقة عبده الحمولى فى أغانيه .

الاهرام ١٢ / ٥ / ١٩٤٣

نظم الاستاذ قسطندي رزق حفلة موسيقية ساهرة مساء غد (الجمعه) بقاعة الليسيه فرنسيه احياء لذكرى الثالثة والأربعين لفقيد الموسيقى والغناء عبده الحمولى . وسينشد كل من الاستاذين عبدالله الحمولى ومحمد رزق بعض الاغانى القديمة التى سبق ان غناها الحمولى

المصور

فى بلد الموسيقى

سالزبورج موطن موزارت

سالزبورج ، مدينة الفن والجمال ، تضم فى جنباتها تذكارات تاريخية جميلة ، وتشرف من أعلى رابيتها على مناظر طبيعية فتانة ، يحج اليها محبو الهدوء والسكينة وهواة الفن والانغام الشجية لانها وطن الموسيقار الخالد الذكر « موزارت » الذى تتعاقب السنون على مقطوعاته الموسيقية فلا تكسبها الا رونقاً وجدة »

حججت فى العام الماضي الى وطن هذا المتفنن العظيم وزرت منزله وقد جمع فيه أنصاره ومريدوه بعض آثاره من علبة السعوط التى كان يستعملها الى ازرار بدلته الى أول « كمان » وقع عليه أنغامه الشجية،الى مجموعة من الصور التي تمثله فى طفولته وصباه ، وهناك قرب النافذة«المعزف» التى كانت أصابع موزارت تداعبه لاخراج أعذب الالحان

يقف الزائر امام كل ذلك وقد أخذته نشوة الطبيعة من جهة ، وتملكت مشاعره من جهة ثانية ذكريات المتفنن العبقرى الكبير الذى عاش فى هذه البيئة ولا يزال ظله يرفرف عليها

هناك تقام أعياد الفن فى كل سنة من آخر يوليو الى أول سبتمبر ، ويقصد اليها الناس من جميع الطبقات والطوائف من الامراء والكبراء الى الادباء المتفننين وقد زالت من بينهم الفوارق ، وجمعتهم رابطة الفن

هناك سمعت تآليف موزارت يشترك في عزفها ثلثمائة موسيقي ، وسمعت أنواعاً من الاوبرا يقوم بانشادها مطربون من مختلف الجنسيات التي يصح أن يقال ان هذه الحفلات هي وليمة فخمة تغذي الآذان بأعذب الالحان

أما السكان فهم فخورون بمواطنهم الكبير وبالمجد الذى اكسبه لبلدتهم ، فيتوافرون على اكرام الزائرين ويقفون فى كل ليلة يحيون المتفننين العالميين الذين يشتركون في اقامة هذه الحفلات ويهتفون لهم هتافاً طويلا

وهكذا يستطيع الانسان أن ينسى السياسة المزعجة ومتاعب الحياة ليقضي أياماً محمولا على أجنحة الفن الى عالم الارواح المطمئنة

اسما موصلى

الاهرام ٣/٦/٩٣٦

كتاب الموسيقى الشرقية والغناء العربى

ونصرة الخديوى اسماعيل للفنون الجميلة

« تقريظ المقطم للجزء الثانى من الكتاب بعدد ٢ فبراير سنة ١٩٣٩ »

من حسن الاتفاق أن ظهر يوم ميلاد صاحبة السمو الملكى الأميرة فريال الجزء الثانى من هذا الكتاب تأليف الاستاذ قسطندى رزق فألفيناه كتاباً حافلاً بالفوائد التاريخية والفنية والعلمية مشتملا على وصف الموسيقى منذ ٤٠ سنة قبل الميلاد ومنشأها وماهيتها وينبوعها وسرها وسحرها وعبده وعثمان والموسيقى فى العلاج واللهب الموسيقي و اللهب المتكام وصناعة الغناء والموسيقى القبطية والبيزنطية وعند الاسرائيليين والغناء والادب والموسيقى فى طلوع القمر وذكرى عبده الحمولى وآثار الخديوى اسماعيل باشا الباقية والموسيقى فى الشرق وأول عهد خليل مطران بك بعبده الحمولى وعبده الحمولى وفنه وعبده على مئذنة جامع سيدنا الحسين والحمولى والآنسة جورجيت والأذن وحِسّ السمع وغيرها وبيان طرق إصلاحها وما يتعلق بها ، وهو الكتاب الذى طالما كان الشرق عموماً والقطر المصرى خصوصاً فى حاجة الى مثله ، فما أحراه أن يتخذ نموذجاً يجرى بمقتضاه فى معالجة موضوع الموسيقى الشرقية واستخراج ما أودعته من الكنوز الثمينة أسوة بالموسيقيين الغربيين المحدثين الذين لايدخرون سعياً دون توسيع نطاق موسيقاهم التى بفعل ما استنبطوه من الوسائل وصلوا بها الى أبعد مدى دون أن يتركوا فيها مزيداً لمستزيد

فنثني على مؤلفه الفاضل ونرجو لمؤلفه هذا أن يصادف ما هو أهل له من الاقبال ، وهو يقع فى ١٨ صفحة من الحجم الكبير ومزين بصور فرعونيـة ورسوم جميلة وثمنه ثلاثون قرشاً صاغاً ، ويطلب من مؤلفه بمكتبه بشارع قطاوى رقم ١ بالبواكي ومن كافة المكاتب الشهيرة ومن محلات الراديو والفونوغرافات.

من عجائب الاميركيين

ذهبت سيدة الى احدى دور الاوبرا فى أميركا وابتاعت تذكرتين واحدة لها والاخرى لكلبها فسئلت فى ذلك أجابت انه يحب موسيقى الاوبرا ويجب أن يجلس لسماعها جلسة مريحة !

فهرست الكتاب

(انتهى الجزء الثالث وسيليه الجزء الرابع وهو تحت الطبع)

